

مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



ISSN 2311-5181

مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي
Liban - Tripoli: Branche Abou Samra P.O. Box 8 - jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com



العام الثالث - العدد 23 - أيلول 2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المشرفة العامة: د. سرور طالبي

المؤسس ورئيس التحرير: أ. جمال بلبكي

jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com

ISSN 2311-5181

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة تصدر دورياً عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دورياً في كل عدد.

اهتمامات المجلة و أبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية. تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر موقعها وكذا مركز جيل البحث العلمي، مع إضافتها لفهارس أغلب محركات البحث الجامعية، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية:

علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة من داخل الجامعات الجزائرية ومن خارج الجزائر مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

هيئة التحرير:

- أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا).
د. ديبش فاتح (جامعة ٨ ماي ١٩٤٥، قالمة، الجزائر).
أ.م.د. فليح مضحي أحمد السامرائي (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا).
د. سامية ابريغم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر).
أ.م.د. السيد محمد سالم سالم العوضي (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا).
د. رضوان شافو (جامعة الشهيد حمّه لخضر، الوادي، الجزائر).
رئيس اللجنة العلمية: أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة ٢، الجزائر).

اللجنة العلمية:

- د. نعموني مراد (جامعة لونيبي علي، البليدة ٢، الجزائر).
د. براك خضراء (جامعة تبسة، الجزائر).
أ.م.د. داود عبد القادر إيليغا (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا).
د. بوزيد مومني (جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، الجزائر).
د. بشرى سعدي (جامعة مولاي اسماعيل، المغرب).
د. مراد علة (جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر).
د. طيب العيادي (جامعة محمد الخامس الرباط، المغرب).
د. سامي سفيان (جامعة الطارف، الجزائر).
د. تاج الدين المناني (جامعة كيرالا، الهند).

أعضاء لجنة التحكيم الاستشارية لهذا العدد:

- أ.م.د. صلاح كاظم هادي العبيدي (جامعة بغداد، العراق).
د.م. إسرائ كاظم الحسيني (جامعة واسط، العراق).
د. حسان سخسوخ (جامعة سطيف ٢، الجزائر).
د. فاتن مبارك (جامعة قرطاج، تونس).
د. ليلى محمد العارف (جامعة المرقب، ليبيا).
د. مسلم فايز أبو حلو (جامعة القدس، فلسطين).
د. نوري محمد أحمد شقلابو (جامعة الزاوية، ليبيا).

التدقيق اللغوي:

- د. أحلام نعمه لفته (الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق).

شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

ISSN 2311-5181

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة ، أو مؤتمر في الوقت نفسه ، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - عنوان البحث.
 - اسم الباحث ودرجته العلميّة، والجامعة التي ينتمي إليها.
 - البريد الإلكتروني للباحث.
 - ملخّص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12.
 - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكونَ البحثُ خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائيّة.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
 - اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
 - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفًا مختصرًا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكتونونية حصراً على عنوان المجلة:

social@jilrc-magazines.com

الفهرس

الصفحة

- 9 • الافتتاحية
- 11 • الإعلام الدولي: الأسس و المفاهيم د.أبكر عبد البنات آدم/جامعة بحري، السودان
- 25 • الشباب والهوية الثقافية الجزائرية في ظل العولمة: بين جدلية القبول والرفض أ.حفيظة محلب/جامعة الجزائر3
- 39 • سوسبيولوجيا المشكلة البيئية د.نوار بورزق/جامعة العربي التبسي، تبسة الباحث بوزيان خيرالدين/جامعة باجي مختار، عنابة
- 49 • التغيير الاجتماعي والثقافي في ظل تكنولوجيا الاتصال الحديثة أ.كريمة قلاعة/جامعة قسنطينة ٣
- 57 • الجريد وثورة ١٨٦٤ أ.هزار بريرة/جامعة صفاقس، تونس
- 71 • المخيال بين العقل، الإيديولوجيا والتاريخ د. عميرات محمد أمين/جامعة تلمسان
- 79 • دور الاشهار في الصناعة الثقافية في عصر مابعد الحداثة: دراسة في إشكالية الخصوصية الثقافية، إكرام بولقصيبات، طالبة دكتوراه/جامعة الجزائر٣
- 93 • آليات بناء المعاني الرمزية والنفسية للمنتج: مقارنة استخدام العواطف د.أحمد بوخاري/جامعة الجزائر٣
- 101 • طريقة تدريس العلوم الاجتماعية في ظل نظام ل م د وعلاقتها بالدافعية للتعلم لدى الطلبة: دراسة ميدانية بجامعة أم البواقي-الجزائر- د.نصراوي صباح/جامعة أم البواقي، الجزائر
- 121 • قراءة في مشروع أكسل هونيث السوسبيولوجي: الاعتراف لفهم وتفسير باتولوجيا المجتمعات المعاصرة لأجل ترقية براديفم العيش المشترك أ.بوعبد الله محمد/جامعة الجزائر٢
- 133 • أسباب العنف المدرسي(النفسية، التربوية، الاجتماعية)من وجهة نظر الأساتذة أ.بوراس كاهينة/جامعة مولود معمري تيزي وزو
- 145 • الإرشاد والتوجيه في المدرسة الجزائرية بين الراهن والمأمول د.مصباح محمد/المركز الجامعي، تيسمسيلت

- 155 • مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة د.عمر الريماوي/جامعة القدس، فلسطين
- 169 • تاريخ وخصوصيات الإعلام الشعبي بدارفور د.آدم محمد حسن ابكر/جامعة نيالا، السودان أ.فاروق احم يحي حسن/جامعة الجنيينة، السودان

مقالات باللغات الأجنبية

- 181 • La question de la santé reproductive dans le monde L'énorme disparité entre le nord et le sud Dr.Lakrouf Ali/Université de Batna

الإفتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى من أتبع هديه إلى يوم الدين أما بعد:

لهو من فضل الله وكرمه أن نصل إلى العدد الثالث والعشرين من مجلة «جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية»، هذا العدد مزين بألوان علمية متنوعة كلها تضي نوراً على موضوعات مهمة تمس قضايا واقعية، حيث ضم هذا العدد جملةً متنوعةً من المواضيع التي تتكامل فيما بينها لتعالج إشكاليات نتعايش معها في زمننا الحاضر أو إشكاليات مضت نستفيد من دروسها، بحيث يعكس هذا التنوع الأهداف المسطرة التي تطمح المجلة لتحقيقها، وهذه الأخيرة تعتبر وسيلةً لنشر الأوراق العلمية المحكمة من قبل أصحاب الاختصاص من مختلف الدول، كل ذلك قصد المساهمة في تطوير البحث العلمي وتحقيق درجة عالية من الجودة.

تضمن العدد مجموعةً من المقالات والأبحاث موزعةً عبر تخصصات متباينة، وبما أن مقصدنا الدائم هو تحقيق التميز النوعي وليس الكمي في البحث العلمي شكل العدد مركب للحقول المعرفية لتصل المجلة إلى قمة المصداقية.

يبقى المبدأ الأساسي للمجلة هو النجاح الدائم، وهذا لن يتم إلا ببحوثكم وأعمالكم العلمية، لذلك كلنا شرف باستقبال جل الأعمال سواءً من طرف أساتذة أو طلبة الدراسات العليا.

والله ولي التوفيق والنجاح

رئيس التحرير / أ. جمال بلبكاي

تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز

جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي © 2016

الإعلام الدولي: الأسس و المفاهيم

د.أبكر عبد البنات آدم/جامعة بحري.السودان

ملخص:

تناولت الدراسة الإعلام الدولي من حيث مفهومه وسماته في المحيط المحلي والإقليمي والدولي والكشف عن دوره في صياغة المجتمع بشقيه الفردي والجماعي للوصول إلى مصاف العالمية من خلال تنمية وتطوير القدرات البشرية، وتوفير الإمكانيات المادية التي تتحكم في نجاح تدفق المعلومات عبر الفضائيات المختلفة، ثم معرفة علاقة الإعلام الدولي بالسياسة الخارجية لكل دولة، وكيف يمكن التفاعل معه في ظل المتغيرات الدولية الراهنة، أيضاً هدفت الدراسة إلى معرفة مدى تأثير الرسالة الإعلامية في تربية وتهذيب النفس من خلال توفير فهم مشترك للتفاعل الدولي والمحلي لربط الواقع التاريخي وبما يجري من الأحداث التي تحاك بالعالم اليوم. استخدم الباحث المنهج الوصفي التاريخي والتحليلي لاستقراء تدفق المعلومات وأثرها على الدول النامية، وقد خلصت الدراسة إلى أن للإعلام الدولي علاقة وثيقة في بناء العلاقات الدولية.

الكلمات المفتاحية: الإعلام الدولي - الاستعلامات - الانفجار الإعلامي - الاطار الإنساني- الاطار التكنولوجي- التدفق الإعلامي.

مقدمة:

يعتمد الإعلام الدولي على دراسة الأوضاع العالمية بصورة انتقائية على افتراض أن النظام الاجتماعي والسياسي هو الذي يحدد شكل المشاكل والتحديات التي تواجه الدول دون مراعاة لحرية الأديان أو لحرمة الأوطان أو الشعوب. ومن هنا درجت الحكومات الغربية إلى استخدام التقييم النقدي لإستغلال الوضع المتدهور في الدول النامية من خلال بلورة الرسائل الإعلامية عبر وكالات الأنباء الدولية والإذاعات الموجهة، لمعرفة مدى قابلية تلك الشعوب واستجابتها للمعلومات المتدفقة. وفي خضم هذا التطور اكتسبت تكنولوجيا الاتصالات الحديثة أهمية ومكانة كبرى في ثورة الاتصالات المعلوماتية التي لا تقل مكانة عن أهمية اختراع الطباعة والثورة الصناعية في القرون التي خلت. وفي هذا السياق تبحث الورقة عن آثار تكنولوجيا الاتصال الحديثة وأدوارها في تقديم المعلومات عن استراتيجيات كل دولة في بناء علاقاتها الدولية من خلال فهم أهمية الإعلام الدولي التي تطورت داخل أروقة المنظمات الدولية التي تتحدث عن كيفية صياغة العالم على ضوء تطور مفهوم النظام العالمي الجديد للمعلومات. وعلى الرغم من التباين الواضح في مفهوم الإعلام الدولي على مستوى المؤسسات والدول إلا أن ممارسة الإعلام في الإطار الدولي بغية مسايرة العالمية ينبغي علينا نقل من طبيعة وعمق التغيرات الثقافية والفكرية التي طرأت في المجتمعات الغربية في الوصول إلى عصر التنوير (١٦٤٠-١٨٠٠)، أما اليوم فإننا في أمس الحاجة لمعرفة كيف يحدث التفاعل والتفاهم منه خلال الاتصال الدولي بموجب التغيرات الأساسية التي طرأت على التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسة والتجارة والتربوية وغيرها، هذا بالإضافة إلى التغيرات في مفاهيم البيئة المجتمعية على الرغم من أن أس المشكلة تكمن في قطاع الدول المركزية أو تلك التي استفادت من الثروة الصناعية والتي أسهمت بقوة في تفجير المعلومات.

وقد لعبت المؤسسات الإعلامية المختلفة دوراً كبيراً في صناعة وصياغة الرسائل الإعلامية التي توافقت حاجة الدول الغربية، والمساس بحق الدول النامية دون أساس منطقي. لذلك يقوم الاعلام الدولي على أساس النظرية التبعية الغربية التي تفترض المشاكل وتحللها دون إعتبار لحقوق السيادة الوطنية. كما تعمل النظرية التبعية على تحليل العلاقات بين الدول المتقدمة والدول النامية على أساس إشباع حاجات الدول المتقدمة عن طريق السيطرة والسلطة واستغلال الموارد الطبيعية والبشرية. أيضاً تناولت الورقة الآثار الاقتصادية الناجمة جراء تطبيق معيار الإعلام كرابط دولي، في الوقت الذي لا يمكن الفصل بين الإعلام الدولي والمناظرات السياسية والفكرية والثقافية التي تتناولها الشركات والمؤسسات المستقلة والتجارية التي تتنافس بشراسة وعدائية فيما بينها. ومن المهم الإشارة هنا أيضاً إلى أن هذه الوسائل لها تأثيرات دولية على المناخ الاعلامي داخل وخارج حدودها الوطنية، وبالتالي من الضروري بمكان فهم تاريخ تطور النظام العالمي الجديد للمعلومات والإعلام والآثار الاقتصادية للإعلام الدولي. وهذا يشكل جزء من الاستلاب العقلي الذي يقوم على الآتي:

- دراسة وتحليل الإطار التاريخي للمجتمعات التي تقطن في بقعة واحدة، أو معرفة مدى المواءمة بين الرسالة الإعلامية المرسل والمستقبل. وهنا يتطلب معرفة نوعية وثقافة القوى البشرية وعلاقتها بالمجتمع.
- معرفة دور القوى السياسية والعوامل التي تتركس التخلف والامية والعنصرية في المنطقة.
- التحيز الى القوى الأكثر فاعلية، أو الذي يلعب دوراً محورياً في المجتمع كالحركات الثورية، أو استغلال الكوارث الطبيعية أو النزاعات القبلية وغيرها.

استخدم الباحث المنهج الوصفي والتاريخي والتحليلي للكشف عن أهمية الإعلام الدولي في صياغة الرسائل الإعلامية بشقها الداخلي والخارجي، ومعرفة مدى تأثير تلك الرسائل على الدول النامية التي لا تملك التكنولوجيا الحديثة سواءً في البث أو في الاستقبال.

مفهومه: الاعلام الدولي هو: عملية إتصالية يقوم بها عدد كبير من وكالات الأنباء والاتحادات الدولية للاذاعات والتلفزة والبث المباشر بمختلف مسمياتها لتحقيق الأهداف الاستراتيجية لكل دولة¹. ويعرفه محمد علي العويني بقوله: "إنه وسيلة من وسائل السياسة الخارجية التي تسعى إلى تحقيق المصلحة الوطنية للدولة في المقام الأول، وتختلف هذه الأهداف باختلاف وزن الدولة ودورها في النظام الدولي"². كما عرفه أحمد بدر: بأنه هو تزويد الجماهير في الدول الأخرى بالمعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة بقصد التأثير على الجماهير واقناعها بعدالة قضايا الدولة³. بينما يرى آخرون بأنه هو الإعلام الذي يسهم به مجتمع أو جماعة أو هيئة أو مؤسسة معينة في نقل المعلومة إلى جميع أفراد المجتمع. لذلك فإن التعدد في تعدد مفهوم الإعلام الدولي يعكس حيرة واضطراب عند بعض الباحثين. ويرجع ذلك إلى عدة عوامل أهمها:

١. تداخل العمليات الإعلامية في الدعاية الدولية.

٢. الاندماج والترابط الشديدين بين وسائل الإعلام الجماهيرية من صحف وإذاعة وتلفزيون ووسائل الاتصال الحديثة... وغيرها، وهذا الترابط الشديد جعل من الصعوبة الفصل بين الإعلام والاتصال أو حتى التمييز بينهما، فالقائم بالاتصال في الإعلام والاتصال الدولي يمكنه استخدام كل وسائل الإعلام بصورة متفاوتة.

¹ - Barlow David, K, (1963). The press of communication and introduction theory and practice, Winston. p22.

^٢ - العويني، محمد (بدون تاريخ). الإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق. دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط١ ص٦٠.

^٣ - بدر، أحمد (٢٠١٠م). الاتصال الدولي والإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق. الدار المصرية السعودية، ١ ص٣٣١.

٣. إن التقدم التكنولوجي في الاتصالات الحديثة والترابط بين الإعلام ووسائل الاتصال قد قلصت الفروق بين الإعلام القومي والوطني والمحلي والدولي، حيث يمكن لأي نوع من هذا الإعلام أن يتجاوز الحدود السياسية للدولة المعنية^١.

ومن خلال تلك المفاهيم الذي تم ذكره فإن الإعلام الدولي يمر بخمسة مراحل أساسية وهي:

٤. رسائل اتصالية^٢. وسيلة^٣. قنوات. مصدر الرسالة.

٥. الهدف.

فالإعلام الدولي في إطاره المحلي والدولي فإنه يعنى بنشر المعلومات بعد جمعها وانتقائها، وهذا ما يعرف بالاستعلامات، وهو بمثابة عملية تزويد الناس بالأخبار والمعلومات والحقائق التي تساعد في تكوين الرأي العام في الأحداث التي تقع بين الفينة والأخرى، أو هو التبليغ والتوعية والتوجيه عن طريق الاتصال بالجمهور^٢. وفي مجمله هو محاولة التأثير على الآخرين بشكل معين، أي الاتصال بغرض الاقتناع من خلال مؤسسات إعلامية بغية تحقيق أهداف السياسة الخارجية لكل دولة في الميدان الدولي مراعاة للمؤثرات التالية:

- الموقع الجغرافي.

- الإرث التاريخي.

- الامكانيات الاقتصادية.

- عدد السكان.

- الامكانيات العسكرية.

وبناءً على تلك المعطيات السالفة الذكر فإن الإعلام الدولي هو أداء من أدوات السيطرة والسلطة والقوة في كثير من دول العالم على الرغم من اختلاف الوسائل والأساليب المستخدمة في العملية الاتصالية. لأن ما صاحب العالم بعد خروجه من قبضة الاستعمار بقوة السلاح أصبح الإعلام هو محور المصادمات، مما دفع بعض الشعوب إلى الاهتمام بالرسالة الإعلامية التي تتحدث عن القومية والتعددية^٣. ويتقدم البشرية نمت العملية الاتصالية على قرار بأن العالم أصبح عبارة عن قرية كونية مما أدى الى ظهور إشكالية في مفهوم الإعلام الدولي الذي يسعى كثيراً إلى بلورة فكرة الهيمنة والسيطرة على الموارد الطبيعية والبشرية^٤. وعلى هذه الشاكلة بدأت الدول المتقدمة في استقلال التقدم التكنولوجي في التأثير على الرأي العام العالمي لخلق حدود للإعلام الدولي كوسيلة لتنفيذ أهداف السياسة الخارجية لكل دولة، من خلال صنع القرارات الدولية للحفاظ على مصالح الدول المتقدمة بناءً على تطوير سياستها الخارجية اعتماداً على المنظمات والجمعيات التي تعمل في مجال المساعدات الإنسانية، وهذا ما يسمى بالانفجار الإعلامي. وهذه الصياغة للإعلام الدولي هو وسيلة من وسائل السياسة الخارجية يعمل على تحقيق الأهداف الاستراتيجية لكل دولة من خلال الآتي:

١ - بدر، أحمد (١٩٧٤م). الاتصال الدولي والإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق. الدار المصرية السعودية، ط١ ص٢٣.

٢ - شرف، عبدالعزيز (١٩٩٩م). وسائل الإعلام ومشكلة الثقافة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١ ص٤٣.

٣ - علي جريشة (١٩٩٠م). الاتجاهات الفكرية المعاصرة. دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط٣ ص٥٧.

٤ - Serno kennth, K, (1970). Foundation of communications. Harper. p45.

- تحقيق المصلحة الوطنية للدولة في المقام الأول، وتختلف قوة هذه الأهداف من دولة إلى أخرى حسب إمكانياتها وموقعها من النظام الدولي.
 - تفعيل إمكانيات الدولة السياسية والاقتصادية والعسكرية والخصائص السيكولوجية نحو السياسة الخارجية.
 - التعرف على المتغيرات السياسية العالمية واعطاء الرموز والمعاني للأوضاع القائمة في كل دولة.
 - ربط الكوادر المؤهلة بالسياق العالمي والذي كثيراً ما يساعد في تقوية الدور الاتصالي، وزيادة التفاهم الدولي والتحول الثقافي.
 - خلق الكراهية بين الانظمة التي تخالف النظام العالمي، وهذا ما يعرف بالتخطيط الدعائي للإعلام.
 - تكييف الرسائل الدعائية بين المؤسسات الإعلامية الدولية.
 - المساهمة في تحقيق أهداف المنظمات الدولية التي تسعى جادة في خلق عدم التوازن بين القوميات، والحفاظ على الأمن القومي للدول، والاهتمام بالقضايا المثيرة دولياً.
 - معالجة بعض القضايا المؤثرة في الاستقرار والأمن الدوليين، وهنا يبرز دور البناء النفسي للأفراد والجماعات.
 - تحقيق أركان الدعاية من خلال الاهتمام بالأوضاع الاقتصادية والعسكرية والسياسية والدبلوماسية.
 - تحقيق مفهوم التفاهم والتفاعل الدولي اللذان يشكلان محور التحول الثقافي بين الانظمة التقليدية والدولية.
 - الحفاظ على صداقة الصديق والحصول على تعاون المحايدين، وتعبير آخر يعمل على تعبئة الكراهية وتحطيم الروح المعنوية للعدو، وهذا يتوقف على أبعاد التخطيط الدعائي.
- كذلك يؤدي الاعلام الدولي العديد من المهام والوظائف التي تخدم مصالح الدول على النحو الآتي:
١. نشر المعلومات والأفكار التي تحقق للدولة صورتها الإيجابية.
 ٢. التعبير عن سياسة الدولة وتفسير مواقفها إزاء القضايا والشكالات الدولية، والعمل على الإقناع بسلامة هذه المواقف وأهميتها.
 ٣. التصدي للدعاية المضادة التي تحدث بين الدول جراء اختلاف الانظمة.
- وبناءً على تلك الوظائف السالفة الذكر تختلف ممارسة عملية الاتصال في المنظمات والمؤسسات ذات الصلة باختلاف طبيعة الأنشطة التي يؤديها والأغراض التي تسعى إلى تحقيقها، وغالباً ما تنصب الجهود الاتصالية على نشر كل ما يخدم هذه الأغراض ويحققها. ومن العوامل التي تتحكم في نجاح العملية الإعلامية هي:
١. التخطيط العلمي والمنظم للإعلام الدولي.
 ٢. الربط المحكم بين الإعلام الدولي والعمل الدبلوماسي.
 ٣. ضبط لغة المصالح والابتعاد عن لغة العواطف والإنفعالات باعتبار أن الإعلام الدولي يسعى إلى خلق علاقة المنفعة، واصطناع أدوات الارتباط بالمصالح الكلية للدولة.

٤. الإندماج والإرتباط والتنسيق المتكامل بين الذين يمارسون المهنة وبين العوامل التي تحقق المصالح الكلية، والتي منها: التبادل الثقافي، والانفتاح الحضاري، وسياسة المعونات الاقتصادية وتقديم المعونات الفنية... وغيرها.

سمات الإعلام الدولي: للإعلام الدولي عدة سمات يمكن أن نجعلها في الآتي:

١. التفاعلية: تطلق هذه السمة على الدرجة التي يكون فيها للمشاركين في العملية الاتصالية تأثير على أدوار الآخرين عن طرق تبادل المنافع والمصالح.

٢. الجماهيرية: وتعني بدرجة تحكم في نظام الاتصال حيث تصل الرسالة مباشرة من منتج الرسالة إلى مستقبلها لمعرفة أثر التغذية الراجعة حتى يستطيع كل فرد فك الرموز دون انفعالية.

٣. التزامنية: وتعني إمكانية إرسال الرسائل واستقبالها في وقت مناسب للفرد المستخدم ولا تتطلب من كل المشاركين أن يستخدموا نظاماً واحداً في الوقت نفسه، فمثلاً في البريد الإلكتروني ترسل الرسالة مباشرة من منتج الرسالة إلى مستقبلها في أي وقت كان دونما حاجة لوجود واسطة.

٤. قابلية التحرك: وهي وسائل اتصالية يمكن لمستخدمها الاستفادة منها في الاتصال من أي مكان إلى آخر أثناء حركته مثل التلفون النقال أو تلفون السيارة وغيرها.

٥. قابلية التحويل: وهي قدرة وسائل الاتصال على نقل المعلومات من وسيلة لآخر، كالتقنيات التي يمكن تحويل الرسالة المسموعة إلى رسالة مطبوعة وبالعكس.

٦. قابلية التوصيل: وهي إمكانية توصيل الأجهزة الاتصالية بغض النظر عن الشركة أو البلد الذي تم فيه الصنع.

٧. سرعة الانتشار: ويعني به الانتشار المنهجي لنظام وسائل الاتصال حول العالم وفي كل طبقة من طبقات المجتمع.

٨. الكونية: ويقصد بها البيئة الأساسية التي تتم فيها الاتصال، والتي يستطيع مرسل الرسالة تتبع مسارات نقل الرسالة عبر الحدود الدولية من أقصى مكان في الأرض إلى أدناه إلى جانب تتبع القنوات العالمية التي تنقل الأحداث الدولية في أي مكان في العالم.

وعلى ضوء تلك المعطيات فإن من أهم وظائف الإعلام الدولي هي:

١. الاتصال بالجماعات المؤثرة في النظم السياسية المختلفة، كالأحزاب وجماعات الضغط والجماعات المصلحية وأعضاء البرلمان ومختلف المؤسسات المؤثرة في صناعة القرار السياسي، ومعرفة درجة الموقف السياسي للدولة من تأييد تام والحياد وغيرها.

٢. الاتصال بالجماهير: يتم إعلام الجماهير بغير قنوات الاتصال المباشر وغير المباشر من خلال المحاضرات والمؤتمرات الصحفية والمنشورات والراديو والتلفزيون والمسرح والمعارض... وغيرها.

وبناءً على تلك الوظائف يمكن تحديد حدود الإعلام الدولي من خلال إطارين أساسيين هما:

● الإطار الانساني: وهو الذي يتعلق بانتقال الإنسان من مكان لآخر وفقاً لتنوع الثقافات. ومن أهم أساليها:

١. إصدار النشرات والمطبوعات المختلفة التي تقدم الصورة الإيجابية للدولة تاريخياً وحضارياً وثقافياً واجتماعياً وصناعياً.

٢. إقامة الندوات والمؤتمرات والمحاضرات حول مختلف الموضوعات السياسية والفكرية والفنية والثقافية والتاريخية والأدبية والتي تخدم أهداف الدولة إعلامياً ودعائياً.
 ٣. عرض الأفلام التسجيلية والروائية التي تعكس الصورة الإيجابية للدولة من خلال إنجازاتها وتقديمها وحضارتها وكل ما تنفرد به أو تتميز به على الساحة العالمية.
 ٤. تزويد وسائل الإعلام في الدول المستهدفة بالمواد الإعلامية والدعائية عن طريق تبادل المعلومات.
 ٥. تنظيم برامج لتبادل الزيارات بين الوفود الممثلة للمنظمات السياسية والفنية والثقافية والفكرية والإعلامية والشخصيات الشهيرة في هذه المجالات.
 ٦. تزويد رعايا الدولة من المواطنين المقيمين خارج الدولة بالمعلومات حول ما يجري في الوطن من قضايا وأحداث، وتفسير سياسة الدولة إزاء الأحداث الجارية محلياً وإقليمياً وعالمياً.
- الإطار التكنولوجي: وهو التطور التكنولوجي الذي صاحب العالم في كافة المجالات ومن أهم أساليب هذا الإطار:
١. الإذاعة: لا زالت الإذاعة من أهم الوسائل المستخدمة في مجال الإعلام الدولي نظراً لخواصها الفريدة في نقل الأحداث بطريقة فورية خارج الحدود، وعبر مسافات شاسعة لجمهور المتلقين.
 ٢. التلفزيون: بدأ التلفزيون يخطو خطوات واضحة من خلال قدرته على اجتياز حاجز المسافات بواسطة الأقمار الصناعية.
 ٣. الصحف: يرتبط انتشار الصحف بموافقة الدول على اختراق حدودها.
 ٤. وكالات الأنباء: وهي أدوات ووسائط لجمع الأخبار ونقلها وتوزيعها على مستوى العالم.
 ٥. الانترنت: وهي من الوسائط الإعلامية الحديثة التي تخطت الظروف الزمانية والمكانية.
- وقد تميز العقدان التاسع عشر والعشرون بتصاعد الاهتمام بعمليات الاتصال بإعتباره أحد الأسلحة التي يعتمد عليها الغرب في الاستلاب العقلي والفكري والثقافي، من خلال الآتي:
- ١- تطور تكنولوجيا الاتصال المضطرد ، وما صاحب هذا التطور من تضخم في حجم تدفق المعلومات دون مراعاة لأحوال الشعوب المغلوبة علي أمرها.
 - ٢- ازدياد الوعي بأهمية الرسائل الإعلامية المتدفقة عبر تكنولوجيا الاتصال، وخطورة سيطرة الغرب عليها وتأثيرها علي الاستقلال السياسي والاجتماعي والثقافي والفكري دون مراعاة لتغير انماط الحياة المختلفة^١.
 - ٣- نمو وازدهار المؤسسات الدولية المتعددة الجنسيات العاملة في مجال الاتصال الدولي.
 - ٤- تصاعد وتيرة الحوارات الدولية السياسية والاقتصادية، إذ شكلت هذه اللقاءات الدولية منابر للسيطرة والهيمنة الغربية على دول العالم الثالث.

^١ - ثابت، أحمد (١٩٩٩م). العولمة والخيارات المستقبلية-المستقبل العربي العدد ٢٤ فبراير، ص ١٥٧.

٥- جاء الاهتمام بالإعلام الدولي في إطار ظهور ما يعرف بالاستلاب العقلي التي ساهمت في إنشاء علاقات غير متكافئة بين العالمين المتقدم والنامي

وفي هذا الاطار تتنوع الحاجات الأساسية للإنسان من خلال تطور وسائل وأساليب الاتصال، لأن الاتصال هو عبارة عن موقف سلوكي يقوم بنقل الرسالة من المصدر الى المتلقي أو المستقبل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ويتطلب ذلك الجهد تحقيق حاجات أساسية منها:

* الحاجات البيولوجية . *حاجة الانتماء . * حاجة اعتبار الذات. *حاجات الأمن.

ولتحقيق تلك الأهداف لابد من توفر بعض الحقائق القانونية والسياسية لبعض المؤسسات الإعلامية التي تلعب دوراً كبيراً في بلورة الرسالة الإعلامية والتحكم فيها عن طريق المراقبة الالكترونية أو الوكالات المتخصصة مثل: الاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية والمنظمة الدولية للملكية الفكرية، ومنظمة اليونسكو ومنظمة الأمم المتحدة، هذا بالإضافة إلى مراكز البحوث الفنية والاستراتيجية التي تعنى بدراسة واقع كل دولة من دول العالم^١. وعلى هذا المنوال فإن للإعلام الدولي أغراضه الاستراتيجية التي لا تخرج عن حاجة الإنسان النفسية المشتاقة الى العلم والمعرفة، فإذا كان الإعلام هو عملية الاتصال وتبادل المعلومات بين الأفراد والجماعات، فإن فك الرموز لمعرفة مضمون الرسالة، يستوجب توفر القدرة الفائقة لدى المستقبلين.

وعلى ما ذكر، فإن هنالك فرقا بين الإعلام الدولي الذي يعنى: تزويد المتلقين بالأخبار والمعلومات والحقائق التي تساعد على تكوين الرأي العام الجماهيري، بينما الاتصال الدولي الذي هو بمثابة "مجموعة لأنشطة والجهود التي تقوم بها دولة أو جماعة أو هيئة للإقناع بأهدافها خارج الدولة التي تنطلق منها هذه الأنشطة وذلك لتحقيق أغراض سياسية أو اقتصادية أو فكرية أو دينية من خلال نشر الأفكار والمعلومات والآراء. ويعتبر مصطلح الاتصال الدولي أكثر شمولاً واتساعاً ودقة من مصطلح الإعلام الدولي حتى وإن ارتبط بأهداف سياسية، لذلك فإن تحقيق الأهداف السياسية لا يقتصر على استخدام الإعلام فقط بل يعتمد على كافة وسائل وأساليب وفنون الاتصال. وعلى الرغم من أن معظم الأبحاث والكتابات غير العربية تستخدم مفهوم الاتصال الدولي وليس الإعلام الدولي. ويعرف (فورتز) الاتصال الدولي على أنه العملية الاتصالية التي تحدث عبر الحدود الدولية أو هو الاتصال العابر عبر الحدود^٢، ويرى (ألين) أن الإعلام الدولي يختلف عن الاتصال الدولي حيث أن الاتصال أكثر اتساعاً وشمولاً من الإعلام الدولي على الرغم من التداخل والترابط بين المصطلحين مما جعل من الصعب التمييز بين الإعلام الدولي والاتصال الدولي^٣. وقد توجد عدة سمات أو خصائص تميز الاتصال الدولي عن غيره من عمليات الاتصال الأخرى، ومن أهم هذه السمات هي^٤:

١. القصدية: وهي أن تقصد المؤسسات التي تعمل بالاتصال في المجال الدولي الوصول إلى جمهور محدد لتحقيق هدف بعينها.

١ - جيهان رشدي (١٩٨١م). الإعلام الدولي. دارالفكر، بيروت، ط١ ص١٤٣.

٢ - بدر، أحمد (١٩٧٤م). الاتصال بالجماهير والدعاية. دار القلم، الكويت، ط١ ص١٢.

٣ - نصر، الكندي، حسني محمد، عبدالله (٢٠١٠م). الإعلام الدولي (النظريات-الاتجاهات-الملكية). دار الكتاب الجامعي، الرياض، ط١ ص١٢٢.

٤ - نصر، الكندي، حسني محمد، عبدالله (٢٠١٠م). الإعلام الدولي (النظريات-الاتجاهات-الملكية). دار الكتاب الجامعي، الرياض، ط١ ص١٢٢.

٢. استعمال أدوات إتصال جماهيري: تتسم الإتصال الدولي باستخدام التكنولوجيا المتطورة لنقل الرسائل بوضوح إلى الجمهور المستهدف.

٣. تنوع المضامين: تتنوع مضامين الإتصال الدولي لتلبية احتياجات ورغبات قطاعات واسعة من الجمهور، وفي هذا الإطار يمكن أن تشتمل هذه المضامين على برامج أو أخبار... وغيرها.

٤. السمات الثقافية: ويقصد بها أن أية عملية تتم في إطار الإتصال الدولي لقياس الرأي العام يجب أن تحمل رموزاً لها معاني تنبع من الموروث الثقافي.

٥. السمات السياسية: ويقصد بها الجوانب السياسية للإتصال الدولي، وتشمل الأهداف السياسية المباشرة وغير المباشرة للإتصال الدولي وأثاره ونتائجه على بناء العلاقات الدولية بين الدول.

٦. السمات الاقتصادية: ويقصد بها اقتصاديات الإتصال بمعنى تكلفة امتلاك وسائل اتصال قادرة على اختراق الحدود الدولية.

ومع تطور الأحداث الدولية ارتبط للإعلام الدولي بالصراعات والنزاعات والحروب الدولية، لأن لكل صراع أبعاده الداخلية والإقليمية والدولية خاصة عندما يتفاعل مع عناصر القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية. لذلك نجد أن صانع القرار يبني قراره على توقعات ملموسة وغير ملموسة، ومن العناصر غير الملموسة الخصائص النفسية لصانع القرار من جانب العدو والحالة المعنوية لقوات الصراع، واللذان يشكلان محور من محاور القرارات المصيرية في عملية استعمال الدعاية بين الأطراف المتصارعة^١. من المشاكل التي تواجه إدارة الصراع وجود أكثر من طرف في طرفي الصراع على سبيل المثال: (الصراع العربي الإسرائيلي، والصراع الليبي الليبي، والصراع السودان مع جنوب السودان)... وغيرها. لذلك نجد أن معالجة جذور الصراع عملية معقدة وشاقة، فالقضية ليست أخذ كل شيء أو خسارة كل شيء. وقد تقتضي عناصر القوى إلى اللجوء إلى القوة العسكرية التي تبني على استخدام القوة الاقتصادية والسياسية والتمثيل الدبلوماسي أو استخدام الثلاثة معاً في وقت واحد أو تقديم قوة على الأخرى، وربما يحتاج الأمر إلى التنسيق بينهما. وبموجب تلك المفاهيم فإن دور الإعلام الدولي في إدارة الصراع هو عملية انتقال الصراع إلى المستوى العالمي عندما تتفاعل عناصر القوى التي يتمتع بها كل طرف في الصراع.

التدفق الإعلامي:

يقصد بالتدفق الإعلامي بأنها عملية تكنولوجية تستهدف زيادة القدة على نقل المعلومات والصور والصوت بسرعة فائقة معتمدة في ذلك على منظومة متكاملة من الأقمار الصناعية والشبكات الأرضية التي تضم محطات الإرسال. وبالتقدم التكنولوجي أصبحت صناعة الإعلام تحتاج لإمكانيات كبيرة وملايين من الدولارات، مما جعل الدول المتقدمة والغنية تنبؤاً مواقع قيادية وريادية في هذا المجال، بل أصبح عدد كبير من المؤسسات الرأسمالية والاقتصادية الغربية تسيطر على السوق العالمي لإنتاج وتوزيع السلع والخدمات الإعلامية في سبيل إنتشار المعلومات والمعارف من المصدر إلى المتلقي عبر قناة بسرعة أكثر فاعلية من دول العالم الثالث^٢.

١ - أبو الحمام، عزام (٢٠١٥م). الإعلام والمجتمع. دار أسامة للتوزيع والنشر، القاهرة، ط١.

٢ - دياب هنري، صالح (١٩٩٨م). أثر وسائل الإعلام على الطفل. دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ط٢ ص١٢.

أيضاً أكدت بعض الدراسات الإعلامية على أن هنالك مؤثرات أو متغيرات تطرأ على الرسالة الإعلامية منها داخلية وأخرى خارجية وهي كالآتي:

١. الملكية: أي من أين تبث الرسالة الإعلامية، هل من مؤسسة علمية أو ملكية أو عامة أو خاصة.
 ٢. الامكانيات الاقتصادية: كثيراً ما تؤثر الناحية الاقتصادية في قوة الرسالة الإعلامية من حيث المضمون والمحتوى.
 ٣. مستوى تكنولوجيا الاتصال: تكمن قوة الرسالة الإعلامية في مدى تطور الأجهزة المستخدمة (القنوات الفضائية).
 ٤. مضمون الرسالة: يشكل مضمون الرسالة الجانب الأهم في تقييم كافة المستويات التي تؤثر في حياة الإنسان على الجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعسكري والفكري وغيرها.
 ٥. قنوات التوزيع: تلعب هذه التغييرات دوراً كبيراً في توزيع الرسائل الإعلامية في مناطق مختلفة من العالم، ويرجع ذلك الى قوة الرسالة والموجات الصوتية المستخدمة في البث سواء كانت موجات قصيرة أو متوسطة أو طويلة، ومن هنا نلاحظ الفرق في درجة قوة الرسالة من دولة الى أخرى.
- وفي ذات السياق يعتبر نموذج التدفق الاعلامي مرحلة أساسية في تكوين الرسالة الإعلامية من خلال عدة وسائط الغرض منها صنع القرارات الدولية وبلورة مفهوم السيطرة والهيمنة من خلال مفاهيم مختلفة كحقوق الانسان والإرهاب والتطرف والتعصب الديني... وغيرها. لذلك فإن استخدام الفضاء الخارجي للأقمار الصناعية حسب مفهوم (آرثر كلارك) والذي مهد إلى امكانية ربط العالم بأقمار صناعية، إلا أن فكرة كلارك لم تؤخذ على محمل الجد إلى أن جاءت ثورة الاتصالات الرقمية التي تحددت المشاكل البشرية والطبيعية. ومع تطور عملية التدفق الإعلامي بمحاورها المختلفة ظهر عدد من الاتحادات الإذاعية والجمعيات التي لعبت دوراً كبيراً في نقل وتوزيع الرسائل الاتصالية، منها على سبيل المثال:
- * المنظمة الدولية للراديو والتلفزيون (OIRT) * اتحاد الاذاعات الاوروبية (EBU). * اتحاد هيئات الراديو والتلفزيون الوطنية الافريقية (UNRTOA). * اتحاد اذاعات آسيا والمحيط الهادي (ABU). * منظمة الايبرو امريكية (OAT). * اتحاد إذاعات دول الكاريبي (CUBU). * المؤتمر الإذاعي لدول الكمنولث البريطاني (CBA). * الرابطة الفرنسية لبرامج الراديو (CFRP). * الرابطة الدولية الكاثوليكية للراديو والتلفزيون (ICART). * الرابطة الدولية للإذاعيين المسيحيين (ICB).
- كل هذه الاتحادات والمنظمات ليست مستقلة، وإنما تدار بواسطة مراكز استراتيجية تسعى إلى تحقيق الأطماع الغربية بصورة عامة^١. وقد عانت دول العالم الثالث من التقدم التكنولوجي المذهل، والتي استغلها الغرب في تنفيذ سياسة الهيمنة الثقافية والفكرية اعتماداً على نموها السياسي والاقتصادي والثقافي. مع العلم بأن هنالك مؤسستان دوليتان في العالم تعملان في مجال الاتصال هما: الانتلسات وسبوتنك، ويرجع تأسيس النظام الأول الى عام ١٩٦٦م أي بعد سنتين من نقل إشارات التلفزيون بين الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا. وفي عام ١٩٧٧م تم إبرام اتفاقيتين قضت بموجهما تعديل الوضع القانوني لنظام الانتلسات للهيمنة على العالم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية أو ما يعرف (بنظام الأحادي القطبية). أما نظام سبوتنك فهي نظام حكومي تضم الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية. ثم توالى ظهور الأقمار الصناعية عندما حاولت كثير من دول العالم الخروج من قيود النظام الأمريكي والسوفيتي، وعلى ضوء تلك المحاولات ظهرت الأنظمة التالية:

^١ - جيهان رشدي (١٩٨١م). الإعلام الدولي. دارالفكر، بيروت، ط ١ ص ٢٧٨.

* نظام سمفوتيبين فرنسا وألمانيا. * نظام أنيكالكندي. * نظام بوتلسات الاوربي (البث المباشر). * نظام أنسات الهندي. * نظام انمارسات للاتصالات الملاحية. * نظام ساكورا الياباني.

كل هذه الانظمة لها نشاطات وأهداف استراتيجية حسب مفهوم التدفق الإعلامي، وعلى هذا المنوال بدأت انتشار الأقمار الصناعية ممثلة في الآتي:

* القمر الفرنسي TDF-1 * القمر الألماني TVSAT-2 * القمر الأوربي OLYMPUS * القمر البريطاني BSB * القمر الاسباني SSS

أما القنوات التي تعمل على مدار هذه الأقمار الاصطناعية منها:

● سي ان ان CNN: والتي تبث من اطلنطا على مدار الساعة وتستخدم الاقمار الصناعية حسب الموقع الجغرافي لكل دولة في العالم.

● الشبكة الدولية WN: وهي شبكة امريكية تبث على أكثر من ٥٧ دولة في العالم.

● القناة الممتازة SC: وهي قناة انجليزية تعمل على مدار الساعة عبر القمر الأوربي ESS-1 التي تعمل بنظام الشبكات الأرضية.

● القناة الفرنسية FC الخامسة والثقافية FCL. * القناة الألمانية GC * قناة الأعمال الأوروبية UC.

وفي هذا السياق كثيراً ما تستخدم الأقمار الصناعية للوصول إلى كل منزل في العالم لخدمة الأهداف الاستراتيجية الدولية، والسيطرة على الرأي العام الجماهيري بمستوياته المختلفة مثلاً في: (حرب الخليج-الأزمة الدارفورية- الثورات العربية- بوكوحرام- عاصفة الحزم والحوثيين في اليمن... وغيرها)، فالذي يملك التكنولوجيا المتقدمة في الاتصال هو الذي يملك أداة الغزو. وخلاصة يمكن القول، بأنه على الرغم من من اهتمام دول العالم الثالث بالفضاء الخارجي، وإطلاق العديد من الأقمار الاصطناعية إلا أنها لم تصل إلى مصاف العالمية لأنها لم تهتم بإنشاء المحطات الأرضية التي تقوم بتزويد تلك الأقمار بالاعمال التي تخدم شعوبهم. ولا شك أن ممارسة الإعلام من خلال الأقمار الصناعية زادت من رقعة التغطية وتبادل الاخبار والبرامج بين الجمهور المستهدف، كما أثر في عملية صنع القرارات الدولية، وأيضاً قلل من أثار العوة بين ما هو محلي ودولي. ومن الأثار السالبة للتدفق الإعلامي الدولي:

المشاكل السياسية: توجد عدة حواجز تلعب دوراً أساسياً في تدفق المعلومات الإخبارية منها: التكتلات الدولية أو الخلافات الايدولوجية بين دول العالم. وعدم التكافؤ بين ميزان القوى الاقتصادية بين دول المحور الغربي والشرقي، مما جعل دول العالم الثالث تتولى عملية التلقين والاستقبال فقط من غير أن تكون هنالك مناحاً مواتياً للإنتاج الإعلامي². ومن المشاكل السياسية التي تواجه الاتصال الدولي، ضخامة الرسائل التي تبث من خلال هذه القنوات، ومدى تأثيرها على الجمهور، وتصارع الدول الغنية للغربنة. كل هذه الافتراضات خلقت واقعاً جديداً في السياسة الخارجية لكل دول في المنطقة العربية والإسلامية.

^١ - عبده، محمد (١٩٤٨م). أقمار الفضاء غزو جديد. مؤسسة الرسالة، الرياض، ط١ ص٤٩.

^٢ - ابن ناصر، عبدالله (١٩٩٢م). التأثير المتوقع للبث المباشر على الأطفال وسبل المواجهة، دار الثقافة للنشر، جامعة بن سعود الاسلامية، المدينة المنورة، ط١ ص٢١٣.

وفي هذا الصدد فإن الإعلام الدولي يعمل لخدمة سياسات قد لا تتماشى مع المعايير الدولية التي تدعو إلى التفاهم والتعايش الدولي. فكثيراً ما يبتعد الإعلام عن الموضوعية والدقة في عرض الوقائع والأحداث. فإذا نظرنا إلى الحروب والصراعات التي تحدث في العالم نجد كثيراً ما يستخدم الإعلام كوسيلة من وسائل الدفاع عن الأيدولوجيات أو معارضته لها، أو تأليب الرأي العام على الحكومات الوطنية لعدم التوافق بين الطرفين في الأيدولوجيات السياسية والثقافية والفكرية، لأن ما تعرضه الاعلام الدولي أكثر تعقيداً لأهداف الوحدة الوطنية والتعايش المشترك.

المشاكل الاقتصادية: يصنع الاعلام في كثير من الأحيان للسيطرة على رؤوس الأموال لا سيما بعد التطور الذي صاحب التقدم التكنولوجي، ولهذا انعكست درجة التقدم الاقتصادي على تطور وسائل الاتصال كالكالات الدولية والإذاعات المتخصصة والصحف والمجلات وغيرها¹. وعلى الرغم من امتلاك الدول النامية لعدد غير قليل من وكالات أنباء محلية إلا أنها ضعيفة لا تستطيع المواكبة والمسايرة، وبإل هي في مجملها فقيرة من حيث الإمكانيات والكوادر والتكنولوجيا، مما دفع بعض الدول إلى الاعتماد على الغرب عن طريق التعاون مع الشركات الأجنبية في الحصول على تكنولوجيا الاتصال². وعلى هذه الشاكلة نجد أن الدول النامية تعتمد على الاخبار الخارجية الأكثر صلة بقضاياها ومشاكلها الآنية، ففي الوقت الذي يحتاج الجمهور على الاخبار الداخلية التي تعكس مشاكل الحياة اليومية. وللخروج من هذه الدائرة الضيقة يجب التركيز على التقدم التكنولوجي والاهتمام بالثروة المعلوماتية عن طريق التنمية الصناعية، وتوفير المادة الاعلامية المحلية التي تساعد في حفظ الموروثات الثقافية والحضارية.

مشاكل البيئة الاجتماعية: تعتبر البيئة الاجتماعية من أهم العناصر التي تكون العملية الاتصالية، حيث تعدد الاعتبارات البيئية التي تختلف من دولة الى أخرى، ومن قارة الى أخرى، ولهذا كلما كانت البيئة متعاوية من الأمراض الاجتماعية كلما مكن الاعلام الدولي من إحراز قدر كبير من التقدم والنجاح³. ففي المجتمعات التقليدية التي تسود فيها الجهل والامية والفقر تستخدم وسائل الاتصال بصورة تقليدية لا تشبه العالمية، ولا يمكن أن نطلق عليها الدولية، لذلك كلما تقدم المجتمع انخفضت فيه مظاهر الأمية وبالتالي تبرز قيم ومعتقدات جديدة تواكب العالمية. وعلى ضوء هذه المعطيات استخدم الغرب الإعلام الدولي للتعرف على عقلية الشرق أوسطية والأفريقية، ومدى استجابتها لفاعلية الرسائل المرسله، وإلى أي درجة تسهم تلك الرسائل في تحقيق الأهداف الاستراتيجية المنوطة بتغيير المجتمعات. ومن هنا تختلف المشاكل البيئية باختلاف درجات التقدم لكل دولة، علماً بأن العالم اليوم تكتنفه أنظمة متعددة وثقافات مختلفة.

مشاكل اللغة: تعتبر مشكلة اللغة من أهم المشاكل التي تواجه التدفق الإعلامي، حيث يشكل استقبال أي رسالة إعلامية المحور الأساسي في معرفة لغة المرسل والجهة التي أرسلت الرسالة والغرض منها، وذلك عن طريق التحكم في انتاج وتوزيع الرسالة الاعلامية عبر المساهمين أو المستويات المختلفة وهم: أفراد أو مؤسسات قارية أو مؤسسات متعددة الجنسيات أو حكومات. كل هذه المصادر أثرت في توجيه الخطاب الإعلامي وفي تدفق المعلومات من خلال الوسائط الإعلامية المختلفة الغرض منها إحداث تغييرات نمطية في الانظمة الاجتماعية عبر تكنولوجيا الاتصال⁴، ونظراً لأهمية نقل المعلومات من المصدر إلى المتلقي يرى بعض خبراء الإعلام ضرورة توفر الخصائص الاخبارية التالية:

- ١ - جيهان رشدي (١٩٨١م). الإعلام الدولي. دارالفكر، بيروت، ط١ ص٨٥.
- ٢ - صابات، خللي (١٩٨٢م). وسائل الاتصال نشأتها وتطورها. الانجلو المصرية، القاهرة، ط٢ ص٤٥.
- ٣ - راسم الجمال (١٩٨٩م). مقدمة في وسائل الاتصال. مكتبة صباح، جدة، ط١ ص١٢٣.
- ٤ - إمام، ابراهيم (بدون تاريخ). الإعلام الاذاعية والتلفزيونية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، ط١ ص١٣٨.

- التوقيت: أي لحظة وقوع الحدث.
 - الإثارة: أي أن يكون الحدث مثيراً من الناحية السيكولوجية (ويكيليكس).
 - الضخامة أو الحجم: فالخبر الضخم هو الذي يثير اهتمام أكبر عدد من القراء (الربيع العربي).
 - الصراع: أي أن يكون الخبر مجارياً لأحداث الصراع والنزاع.
 - الفائدة أو المصلحة الشخصية: وهو الخبر التي تتناول مصالح أكبر عدد من الجمهور (الهجرة).
 - المنافسة بين شركات الاتصالات.
 - الأهمية أو النتائج: وهي الاحتمال الذي ينتظره القارئ من الخبر المثير.
- وللخروج من هذه الإزدواجية يجب على دول العالم الثالث الآتي:
- التعاون بإنشاء وكالات أنباء متخصصة تهتم بالسيادة الوطنية لكل دولة.
 - إيجاد صيغة توافقية في الصراع الأيديولوجي التي تجوب العالم اليوم.
 - توفير الامكانيات البرمجية التي تعنى بالتحليل ومضمون الخبر.
 - ارتفاع مستوى وعي الجماهير.
 - عقد ورش ومؤتمرات وحوارات لتبادل الرأي والمشورة مع المختصين في مجال تكنولوجيا الاتصالات.
 - محولة انتاج برامج يرضي أذواق المشاهدين والمستمعين.

خاتمة:

من خلال الدراسة والتمحيص تبين أن للإعلام الدولي أهمية بالغة على ضوء التطور المذهل الذي طرأ على وسائل الإعلام خلال القرون التي خلت، وما صاحبه من تدفق المعلومات حتى أصبح العالم عبارة عن قرية كونية. ورغم التقدم التكنولوجي إلا أن العالم الثالث مازال يعاني من ويلات التدفق الإعلامي الذي ما عاد لا يلتزم بالظروف الزمانية والمكانية لكل دولة. وعلى الرغم من كثرة المؤسسات الإعلامية الدولية، إلا أن هنالك عدم التوازن في تدفق المعلومات أو الأخبار فالواقع يؤكد أنه من الصعب توحيد الخطاب الإعلامي لكل دول العالم.

كما كشفت الدراسة أن الكثير من دول العالم الثالث لازالت تحت نير سياسة إعلامية غريبة تقوم على تمويه المتلقين، الأمر الذي أدى إلى انعدام الثقة بين الرأي العام والإعلام الوطني. كذلك لم تستوعب نسبة كبيرة من دول العالم الثالث أبعاد ثورة الاتصالات أو التكنولوجيا الحديثة، بل استمرت تعمل بوسائل تقليدية للأسباب التالية:

- ١ - عدم التعاون مع بعضها البعض للاستفادة من التقنية المعلوماتية التي انتشرت في العالم.
- ٢ - فقدان الثقة بين كثير من الاقطار (اختلاف الأنظمة).
- ٣ - تفشي الأمية والجهل أدى إلى غياب العلمية والابتكار والمواكبة.
- ٤ - زيادة الهيمنة الغربية على وسائل الإعلام العالمية.

٥- ترنح وسائل الإعلام المحلي تحت سلطة الحكومات، وفرض سيطرتها، وعدم القبول بالنقد الموضوعي. وإذا أردنا المواكبة علينا الآتي:

- ضرورة الاهتمام بالثروة المعلوماتية، وتوسيع نطاق التبادل الفكري والثقافي والتعاون بين دول العالم الثالث.
- تسهيل نشر أو توزيع المعلومات بصورة موضوعية وواقعية.
- ملء الفجوة القائمة في نظم المعلومات، وتوفير الوكالات المتخصصة والاتحادات والمنظمات الوطنية التي تعنى بالتعاون الإعلامي.
- الاهتمام بالخطاب الإعلامي المحلي، والترقي إلى مصاف العالمية.
- التخلص من المشاكل التنظيمية الضيقة التي تتمسك بها كثير من الدول، وتعتبرها خطأً أحمر لا يمكن الفكك منها.
- ضرورة الاهتمام بالرسالة الإعلامية من حيث المضمون والمحتوى.
- تدريب الكوادر الوطنية المؤهلة وفق الأنموذج الدولي لمجابهة المخاطر.
- وفي كل ما ذكر، فإن للتدفق الإعلامي الدولي سلبيات جمّة منها:
- احتكار الدول العظمى لوكالات الأنباء وتوزيعها حسب الأهداف الاستراتيجية.
- إنتاج أفلام ومسلسلات تحمل قيم وأفكار تتعارض مع المجتمع المسلم.
- المحافظة على الأمن الداخلي فقط.
- الأحادية في نقل الاخبار.
- الاهتمام بأخبار الكوارث والصراعات والنزاعات وبرمجتها وفق المصلحة الغربية.

قائمة المراجع :

١. ابن ناصر، عبدالله (١٩٩٩ م). التأثير المتوقع للبحث المباشر على الأطفال وسبل المواجهة، دار الثقافة للنشر، جامعة بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، ط١.
٢. أبو الحمام، عزائم (٢٠٠٩ م). الإعلام والمجتمع. دار أسامة للتوزيع والنشر، القاهرة، ط١.
٣. إمام، ابراهيم (بدون تاريخ). الإعلام الاذاعية والتلفزيونية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١.
٤. بدر، أحمد (١٩٩٧ م). الاتصال بالجماهير والدعاية. دار القلم، الكويت، ط١.
٥. بدر، أحمد (١٩٩٧ م). الاتصال بالجماهير والدعاية. دار القلم، الكويت، ط١.
٦. بدر، أحمد (٢٠٠٩ م). الاتصال الدولي والإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق. الدار المصرية السعودية، ط١.
٧. ثابت، أحمد (١٩٩٩ م). العولمة والخيارات المستقبلية-المستقبل العربي العدد ٢٤ فبراير.

٨. جيهان رشدي (١٩٨١ م). الإعلام الدولي. دارالفكر، بيروت، ط١.
 ٩. حسين، سمير (١٩٨١ م). الإعلام التلفزيوني والتنمية الشاملة. الرياض، ط١.
 ١٠. دياب هنري، صالح (١٩٩٩ م). أثر وسائل الإعلام على الطفل. دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان.
 ١١. راسم الجمال (١٩٨١ م). مقدمة في وسائل الاتصال. مكتبة صباح، جدة، الطبعة الاولى.
 ١٢. سعد عمر، منتصر (٢٠٠٩ م). فاعلية الاتصال الذاتي. مجلة علوم الاتصال، مطابع السودان للعملة، الخرطوم، ط٢.
 ١٣. شرف، عبدالعزيز (١٩٩٩ م). وسائل الإعلام ومشكلة الثقافة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١.
 ١٤. شرف، عبدالعزيز (١٩٩٩ م). وسائل الإعلام ومشكلة الثقافة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١.
 ١٥. صابات، خليل (١٩٨١ م). وسائل الاتصال نشأتها وتطورها. الانجلو المصرية، القاهرة، ط١.
 ١٦. عبده، محمد (١٩٩٤ م). أقمار الفضاء غزو جديد. مؤسسة الرسالة، الرياض، ط١.
 ١٧. علي جريشة (١٩٩٩ م). الاتجاهات الفكرية المعاصرة. دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط٣.
 ١٨. العويني، محمد (بدون تاريخ). الإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق. دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط١.
 ١٩. نصر، الكندي، حسني محمد، عبدالله (٢٠٠١ م). الإعلام الدولي (النظريات – الاتجاهات - الملكية). دار الكتاب الجامعي، الرياض، ط١.
 ٢٠. نعمان، أحمد (١٩٨١ م). الاتصال الجماهيري-المنظور الجديد. دار الشئون الثقافية، بغداد، ط١.
21. **Barlow** David, K,(1963).The press of communication and introduction theory and practice, Winston.
 22. **Serno** kennth,K, (1970). Foundation of communications. Harper.

الشباب والهوية الثقافية الجزائرية في ظل العولمة: بين جدلية القبول والرفض

أ. حفيفة محلب/ جامعة الجزائر ٣

ملخص:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على مفهوم الهوية الثقافية ومحددات الهوية الثقافية الجزائرية التي كانت ولا تزال قبل كل شيء تعبير عن الانتماء، الانتماء إلى حضارة ميزتها الأمازيغية والعربية الإسلامية، في ظل تداعيات العولمة الثقافية والإعلامية، في عصر يتسم بالتقدم التكنولوجي والانفجار المعرفي والانفتاح الثقافي والمتغيرات السريعة في العديد من المجالات المادية والتقنية والاقتصادية والثقافية، لنعرض في الأخير سبل تعزيز الهوية الوطنية للشباب عن طريق تعزيز انتمائه وإحساسه بواجبه نحو ذاته ومجتمعه وتحصينه من الأفكار الهدامة، وذلك من خلال توقي سلبات عصر المعلوماتية واستثمار إيجابياتها بما يشبع حاجاته مما يساعده في عملية دعم الهوية من جميع الجوانب الحياتية: الاجتماعية، الثقافية والنفسية مما يسهل على الشباب تحقيق هويتهم الشخصية والثقافية السوية.

الكلمات المفتاحية: الهوية الثقافية، العولمة الثقافية والإعلامية، الشباب.

مقدمة:

تواجه العديد من الدول بصفة عامة ودول العالم الثالث بصفة خاصة مشاكل وأزمات خطيرة تهدد وحدتها الوطنية بالانهيار، ومن أخطر هذه الأزمات بل وأكثرها جدلا أزمة الهوية الثقافية التي تتعلق بتكوين شعور مشترك بين أفراد المجتمع الواحد بأنهم متميزون عن باقي المجتمعات، فللهوية من أهم السمات المميزة للمجتمع، فهي التي تجسد الطموحات المستقبلية في المجتمع، وتبرز معالم التطور في سلوك الأفراد وإنجازاتهم في المجالات المختلفة، بل تنطوي على المبادئ والقيم التي تدفع الإنسان إلى تحقيق غايات معينة، وعلى ضوء ذلك فالهوية الثقافية لمجتمع ما لا بد وأن تستند إلى أصول تستمد منها قوتها، وإلى معايير قيمية ومبادئ أخلاقية وضوابط اجتماعية وغايات سامية تجعلها مركزا للاستقطاب العالمي والإنساني¹، كما شغلت قضية الهوية الثقافية بالهكرين والعلماء والمثقفين والقادة في دول العالم، خاصة في عصر العولمة الذي ترك آثارا نفسية نتج عنها تحول في الهوية.

وقد أشار "محمود العالم" إلى أهمية الهوية في تشكيل الشخصية الفردية والمجتمعية²، وهذا ما أكد عليه "عابد الجابري" حين رأى أنه "لا تكتمل الهوية الثقافية ولا تبرز خصوصيتها، ولا تغدو هوية ممثلة قادرة على نشدان العالمية إلا إذا

¹ - عبد الودود مكرم، قيم هوية وثقافة الإنماء، مدخل لتحديد دور التعليم العالي في بناء مستقبل الأمة العربية، المؤتمر العلمي العشرون " مناهج التعليم والهوية الثقافية"، مجلد ٤، جامعة عين شمس، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، ٣٠ - ٣١ يوليو ٢٠٠٨، ص ١٣٧٥.

² - محمود أمين العالم، الفكر العربي بين الخصوصية والكونية، القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٩٦، ص ١٩.

تجسدت مرجعيتها في كيان تتطابق فيه ثلاثة عناصر: الوطن (الجغرافية والتاريخ)، الدولة (التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة)، والأمة (النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة)¹، كما أشار "الجابري" في موضع آخر إلى أن "الهوية الثقافية هي حجر الزاوية في تكوين الأمم، لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل، فلا يمكن تحقيق الوحدة الثقافية بمجرد قرار، حتى لو توفرت الإرادة السياسية"².

إن الحديث عن الهوية الثقافية الوطنية العربية والإسلامية، والتحديات التي تواجهها من طرف الحضارة الغربية ليس وليد بروز ظاهرة العولمة، وإنما يرجع إلى بدايات عهود الاحتكاك العسكري والثقافي مع هذه الحضارة قبل قرنين من الزمان تقريباً، لكن ما يميز ظاهرة العولمة هو كون هذه التحديات قد أخذت بعداً آخر في ظلها، أكثر شمولية وخطورة لأن الثقافة الغربية امتلكت وسائل تقنية هائلة وأدوات قادرة على الوصول إلى عقل الإنسان العربي بشكل دائم ومستمر ومؤثر، وقد تداخلت مع عدد كبير من المجالات، فهذه العولمة شاملة وليست ثقافية فقط وإنما اقتصادية وسياسية، فهذان العنصران يدعمان الثقافة بشكل كبير لأنها بدورها تساعد على التجذر والتعمق، باعتبارهما خيارات حضارية تستجيب لحتمية التطور.

ومن خلال تفحص الموقف الحضاري المعاصر، نجد أن ثمة خطراً يترصد بشبابنا ويتمثل في تهديد هويته الثقافية، ومصدر هذا الخطر يكمن في سطوة العولمة بتجلياتها الثقافية والإعلامية، وتراجع قيم الولاء والانتماء، مما يشكل ضغوطاً وصراعات نفسية تصل أحياناً إلى أزمات حادة تؤدي إلى اضطرابات سلوكية مسببة أزمة للنمو في مرحلة الشباب، ففئة الشباب يتعرضون في مختلف المستويات إلى كثير من التفاعلات والاضطرابات النفسية والاجتماعية والثقافية التي يكون بعضها معوقاً يحول دون تحقيق متطلبات النمو السليم لعدم التوازن في القدرة العقلية والعقائدية لديهم، ما يجعل شريحة الشباب أكثر عرضة للاختراق الثقافي.

والدفاع عن هويتنا لا يتحقق من خلال الحفاظ عليها كما هي، بل من خلال إعادة بنائها في إطار العولمة والثورة العلمية التقنية، أي بناء العالمية منها في أفق التعددية الثقافية³، فالعالمية هي البديل الشرعي للعولمة على حد قول الجابري، ونشدان العالمية في المجال الثقافي كما في غيره من المجالات طموح مشروع ورغبة في التعاون والحوار، إنها طريق الأنا للتعامل مع الآخر بوصفه أنا ثانية⁴، فحاجتنا إلى تجديد ثقافتنا واغناء هويتنا والدفاع عن خصوصيتنا لا تقل عن حاجتنا إلى اكتساب الأسس والأدوات التي لا بد منها لممارسة التحديث ودخول عصر العلم والتقانة، فنحن بحاجة إلى الانخراط في عصر العلم والتقانة كفاعلين مساهمين، والحفاظ على الهوية والدفاع عن الخصوصية مشروط- أكثر من أي وقت مضى- بمدى عمق عملية التحديث الجارية "عملية الانخراط الواعي النامي والمتجذر في عصر العلم والتقانة"⁵.

وعلى ضوء ما سبق تتحدد مشكلة دراستنا في بحث واقع الهوية الثقافية الجزائرية للشباب والتحديات القائمة في ظل تحديات العولمة.

¹ - محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، ع ٢٢٨، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، فبراير ١٩٩٨، ص ١٤ - ٢٢.

² - محمد عابد الجابري، مسألة الهوية، العروبة والإسلام والغرب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥، ص ١٢.

³ - برهان غليون، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٩، ص ٥٥ - ٥٨.

⁴ - محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، مرجع سبق ذكره، ص ١٧.

⁵ - المرجع نفسه، ص ٢٢.

أولاً: مفهوم الهوية الثقافية:

كان مفهوم الهوية يقتصر فيما مضى على مجموعة من الباحثين والمفكرين المتخصصين في مجال الفلسفة والمنطق الذين يعتمدون في مناهجهم على التجريد ومناقشة المفاهيم والتصورات الفلسفية، أما ونحن نعيش هذا العصر بكل ما فيه من تناقضات فإن التحدث عن الهوية بشكل عام وعن الهوية الثقافية الجزائرية العربية الإسلامية بشكل خاص من الموضوعات الثقافية الهامة ومن قضايا الفكر الاجتماعي والسياسي، فالهوية التي تعبر عن ذاتية المجتمع واستقلاله وأصالته، وبوصفها مرجعا للحفاظ على تلك الذاتية في وسط التغيرات التي تحدث حاليًا، ولما كان المفهومين (الثقافة والهوية) من بين المفاهيم المتشابكة ببعضها البعض، وهو ما يجعلنا نطرح السؤال التالي: ما المقصود بالهوية الثقافية؟

إن مفهوم الثقافة من الناحية الدلالة اللغوية تعني كلمة أو مصطلح "ثقّف" في اللغة العربية قوّم الشيء، أي قومه عندما كان معوجا و غير سوي، فقال العرب "ثقفت الرمح" أي قومته¹، أي جعلته على أحسن صورة، و أيضا يأخذ المصطلح معنى الإصلاح وإعادة الشيء على حاله وأيضا التصحيح.

أما اصطلاحا: فتعني مجموع الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرسائل أولي في الوسط الذي ولد فيه، ولتكون هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته والطرائق والأساليب والأشكال التي يبدها الإنسان من ابتكارات يعزز بها إنسانيته وينظم حياته الاجتماعية والخاصة الفكرية والروحية والجمالية، وتشمل الثقافة مجموع النشاط الفكري والفني، وتنظيم جميع السمات المميزة للأمة من مادية وروحية وفكرية وفنية ووجدانية، وتشمل مجموع المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني، و سير السلوك و التصرف والتعبير و طراز الحياة كما تشمل تطلعات الإنسان للمثل العليا.²

وفيما يخص الهوية لغة، هي كلمة مركبة من ضمير الغائب " هو " مضاف إليه ياء النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه و مميزاته التي يعرف بها، و الهوية بهذا المعنى هي اسم الكيان و الوجود على حاله، أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة كما هي بناء على مقومات ومواصفات و خصائص معينة، مكن من إدراك صاحب الهوية بعينه دون الأشباه، و المسألة في هذه القضية تتعلق بنوعية تلك الصفات و المقومات و الخصائص.³

وكذلك تستعمل كلمة هوية في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى كلمة Identity بالإنجليزية و Identité بالفرنسية، والتي تعبر عن خاصية المطابقة، مطابقة الشيء لنفسه أو مطابقتها لمثيله.

وتتحدد الهوية اصطلاحا على أنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب⁴، أي تلك الصفة والثابتة والذات التي لا تتبدل ولا تتأثر ولا تسمح لغيرها من الهويات أن تصبح مكانها أو تكون نقيضا لها، فالهوية تبقى قائمة ما دامت الذات قائمة و على قيد الحياة، و هذه الميزات هي التي تميز الأمم عن بعضها البعض و التي تعبر عن شخصيتها و حضارتها و وجودها.

١ - أسعد السحمراني، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، ط ١، دار النفائس، 2002، ص ٨٢.

٢ - حسن عبد الله العابد، أثر العولمة في الثقافة العربية، بيروت، دار النهضة العربية، ٢٠٠٤، ص ٢٣.

٣ - أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية، الحقائق والمغالطات، الجزائر، دار الأمة، ١٩٩٦، ص ١٩.

٤ - الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥، ص ٢٥٧.

أما فيما يخص الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم فهي القدر الثابت والجوهري والمشارك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى.¹

و على هذا المستوى تقسم الهوية إلى نوعين:

أ- هوية فردية: هي التي تمثل المميزات والخصائص الجسدية التي تميز الإنسان، من حيث كونه فردا، عن بقية الأفراد سواء داخل مجتمعه أو خارجه و لعل أبرز مثال على ذلك بصمات أصابع اليد.

ب- هوية وطنية أو قومية: وهي جملة الصفات والخصائص التي تطبع أمة من الأمم، يشترك فيها مجموع الأفراد الكونون لها، فيتعرفون على بعضهم البعض من خلال هذه الصفات، و يتميزون بها كذلك عن غيرهم من أفراد الأمم الأخرى.²

والهوية الثقافية الجزائرية تعني في هذه الدراسة كل ما يميز هذه الهوية عن غيرها من الهويات الكونية الأخرى، من بعد أمازيغي ومن عقيدة إسلامية ولغة عربية ومن موروث ثقافي من نتائج الأمة العربية من عادات وتقاليد وقيم وأخلاق وغير ذلك.

ولا شك أن هذه المقومات هي التي تجعل من الهوية الجزائرية متميزة عن غيرها، أو بالأحرى مختلفة عن هويات الأمم الأخرى، أي أن مفهوم الهوية الثقافية الجزائرية والتي تنضوي في إطار ثقافتنا العربية الإسلامية هي الامتياز عن باقي الثقافات من النواحي كافة.

ثانيا: محددات الهوية الثقافية في الشخصية الجزائرية:

قبل أن تكون الثقافة الجزائرية انعكاسا لعادة، أو ترجمة لعمل فكري، كانت ولا تزال قبل كل شيء تعبيراً عن الانتماء، الانتماء إلى حضارة ميزتها العربية والأمازيغية والإسلامية، وهي السمات الأساسية للشخصية الوطنية الجزائرية التي حفظتها من محاولات استعمارية لسحبها كلية من ذاكرة الأمة الجزائرية ومن حياتها اليومية، وعليه تتكون الهوية الثقافية الجزائرية من محددات ومقومات ترتكز عليها، سنبينها كالآتي:

أ- البعد الزمني المكاني: تحتل الجزائر مركزا جغرافيا هاما وموقعا استراتيجيا بين قارات العالم القديم والمتمثلة في إفريقيا، أوروبا، آسيا، الجزائر بلد إفريقي وجزء من إقليم حوض البحر المتوسط، حيث إنبعثت على ضفاف هذا الحوض عدة حضارات كالفينيقية، اليونانية والرومانية، وهي ليست بعيدة عن أوروبا، سواحلها قريبة من سواحل أوروبا، ومن جهة أخرى أن الجزائر جزء من الوطن العربي، ومهد الحضارات الإنسانية، أهمها الحضارة العربية الإسلامية، ومهبط الوحي ومكان الديانات السماوية (اليهودية والمسيحية والإسلامية)، وموطن مبعث الرسول (ص) في الجزيرة العربية ونزول القرآن، وانتشار الإسلام وقيام العرب بفتحات³.

¹ - عبد العزيز بن عثمان التويجري و آخرون، العولمة والهوية، الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي في ضوء فلسفة حوار الأديان والحضارات، الدورة الأولى، الرباط، المملكة المغربية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1997، ص 166.

² - أحمد بن نعمان، مرجع سبق ذكره، ص ص 21 22.

³ - محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983، ص 73.

إن الحدود السياسية للجزائر في القرن 20 لم تكن ثابتة، ولم تكن تطلق كلمة الجزائر إلا على مدينة ساحلية صغيرة ولم تكن تعني القطر الجزائري المعروف الآن، فهذا المفهوم لكلمة الجزائر، لم يعرف إلا منذ القرن العاشر، أي أثناء الحكم العثماني، بل إن عبارة المغرب الأوسط لم تكن تعني بالضبط حدود الجزائر الحالية، لأن هذه العبارة وأمثالها (المغرب الأدنى - المغرب الأقصى)، كانت كلها غامضة¹.

كما أن الجزائر قبل ١٨٣ كانت متشعبة ومتأثرة بنفس القيم الروحية والأخلاقية في كل من: المغرب و تونس، وحتى خارج حدود هذه البلدان من شرق ليبيا إلى غاية غربها، كما كان الجزائريون يتنقلون بسهولة من بجاية إلى القيروان ومراكش، وطرابلس، القاهرة ودمشق وبغداد، وكأنهم ذاهبون من الجزائر العاصمة إلى تلمسان، ولهذا فإن رسم الحدود المكانية للهوية الوطنية الجزائرية لم تكن معروفة قبل الاحتلال الفرنسي كما هي عليها الآن، ولم تكن الحدود تعرف بين سكان المغرب العربي².

ب- البعد الأمازيغي: لا يشكل الأمازيغ وحدة ترابية متواصلة جغرافيا، إذ يتوزعون على عدة دول في المغرب العربي ومنطقة الساحل الأفريقي جنوب الصحراء الكبرى، وقد ظلوا منذ القدم في تواصل مستمر مع عدة ثقافات أخرى، ولو أخذنا مثلا لذلك المغرب العربي، حيث يتركز الجزء الأكبر منهم، فإن التزاوج بين السكان الأصليين والوافدين العرب بلغ من العمق درجة تجعل التمييز بين ما هو "ثقافة أصيلة" وما هو ناتج عن التأثير العربي أمرا عسيراً³.

وإذا بحثنا عن مكونات الثقافة الجزائرية لوجدنا أن الأمازيغية مكون رئيسي لهذه الثقافة، ويمكن أن نلخص هذه الفكرة في النقاط التالية:

- تواصل الأمازيغ المستمر منذ التاريخ البعيد مع عدة ثقافات أخرى أبرزها الثقافة العربية الإسلامية.

- تتجلى الجذور الأمازيغية للثقافة العربية الشمال إفريقية في مبادئ عدة كالموسيقى والرقص والحكايات الشعبية وفن الزخرفة والصناعات الحرفية، كما تتجلى طبعا في اللهجات العربية المغاربية، إذ يقول عالم اللسانيات الجزائري فضيل شيريقان: "إذا كانت عربية شمال إفريقيا قد استعارت جزءا كبيرا من مفرداتها من العربية الفصحى، فإن بنيتها النحوية والصوتية تعود بأصولها إلى تمازيغت"⁴.

- إن أسماء الأعلام التي يدرسها علم الأونوماستيك (Onomastique)، هي أحد الشواهد الصارخة على ديمومة الأمازيغية حتى في المناطق التي لم تعد تستعملها منذ عهد بعيد، فرغم وجود اللغتين العربية والفرنسية القوي في الجزائر والساحل الإفريقي، إلا أنه مازالت قرى بلاد القبائل تدعى بأسمائها القديمة.

ج- البعد اللغوي: إن اللغة من أهم أبعاد الهوية الوطنية التي تعبر حول الثقافة الوطنية من أفكار ومعتقدات للأفراد، واللغة هي التي تجعل وجودا للثقافة و تناقلها من فرد لآخر و من جيل لآخر أمرا ممكن الحدوث.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (١٦-٢٠م)، الجزء الأول، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٥، ص ٢٨.

² - Kamel bouchama, Algérie terre de foi et de culture, Alger, casbah, édition, Houma, 2000, p p 41 42.

³ - http://www.aljazeera.net/NR/exeres/10/01/2016_14:30h.

⁴ - فضلي شيريقان، بين لغة البعض ولغة البعض الآخر، الجزائر، منشورات القصة، ٢٠٠٢، ص ١٩.

وما نلاحظه أن الجزائر احتفظت بلغتها العربية الفصحى من جهة، فاللغة العربية هي اللغة الأم للثقافة الإسلامية¹، ومن جهة أخرى لم تتخلى عن لغتها الدارجة التي لا تعتبر مجرد لهجات، بل كثيرا ما تستعمل في نوع من الثنائية اللغوية المفيدة في التعامل والتفاهم، حيث أن اللغة العربية الفصحى كانت تدرس في كافة جهات القطر بل حتى في المناطق التي لا تستعمل فيها العربية الدارجة، ويتخاطب سكانها بالأمازيغية (البربرية)، في الحياة الاجتماعية التقليدية العادية تظهر الأساليب التربوية التقليدية الواسعة في: الاتجاه الشعبي، وفي الطرق التعبيرية، في الأمثال والحكم الشعبية والأدب الشعبي².

د- الدين الإسلامي: إن الدين الإسلامي هو أحد مقومات الثقافة الجزائرية العربية، وبقدر ما يقوم الدين بتشكيل الثقافة يقوم أيضا بشحنها بالرموز و الضامين و القيم و هو يفضي إلى تعبئة المخيال الاجتماعي برموز و قيم و عادات و تقاليد و من شأنه استثمارها في الحقل الثقافي³.

فالإسلام هو الدين الجامع المانع الملم لكافة الدول العربية و معلم من معالم الثقافة العربية حيث أن الاعتقاد الديني هو الأصل الذي تقوم عليه الثقافات إذ جاء الدين الإسلامي ليقدم صورة جديدة و متكاملة من المعتقدات و تفرعات هذه المعتقدات مما لا يقع تحت الحصر⁴.

هـ- العادات والتقاليد: إن العادات والتقاليد هي فعل اجتماعي متوارث يرتكز على تراث يدعمه ويغذيه، لها قوة معيارية، وتتطلب الامتثال الاجتماعي، والطاعة الصارمة، وتكون مرتبطة بظروف المجتمع الذي تمارس فيه⁵، وتتجسد العادات والتقاليد الجزائرية العربية الإسلامية بالملايس التي يرتدونها الجزائريون، وبالعلاقات والقيم الاجتماعية الأصيلة كاحترام الوالدين وكبار السن والكرم، كما تظهر العادات والتقاليد الجزائرية بالتيدين والعبادات.

ثالثا: العولمة: مفهومها ومظاهرها

أ- مفهوم العولمة: فالعولمة في اللسان العربي من العالم ويتصل بها فعل (عولم) على صيغة فوعل وهي من أبنية الموازين الصرفية العربية، ونلاحظ عن دلالة هذه في الصيغة أنها تفيد وجود فاعل يفعل، وهذا ما نلاحظه على صيغة (zation) في الإنجليزية على خلاف صيغة (ism) في (Globalism) التي تعني العالمية هذا في اللغة.

أما في الاصطلاح فالعولمة تعني جعل الشيء على مستوى عالمي أي نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة، والمحدود هنا هو أساسا الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية وديمغرافية صارمة، تحفظ كل ما يتصل بخصوصية الدولة وتفردتها وتميزها عن غيرها، أما اللامحدود فالمقصود به العالم أي الكرة الأرضية⁶.

¹ - يوسف القرضاوي، الصحو الإسلامية وهوم الوطن العربي والإسلامي، الأردن، منتدى الفكر العربي، ١٩٩٨، ص ١٨.

² - Nafissa zerdouni, enfant d'hier, paris, François Maspero, 1988, p 59.

³ - عبد الغني عماد، سوسبولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات، من الحداثة إلى العولمة، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦، ص ١٣٨.

⁴ - أمين سعيد عبد الغني، الثقافة العربية والفضائيات، ط١، القاهرة، ايتراك للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص ٧٢.

⁵ - نادية محفوظ مصطفى، خصائص الثقافة العربية الإسلامية في ظل حوار الثقافات، ط ١، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ص ٢٢.

⁶ - باسم علي خريسان، العولمة والتحدي الثقافي، بيروت، دار الفكر العربي للطباعة، ٢٠٠١، ص ١٨.

ب- مظاهر العولمة:

- العولمة الاقتصادية: يشير مفهوم العولمة من المنظور الاقتصادي إلى تحول العالم إلى منظومة من العلاقات الاقتصادية المتشابكة التي تزداد تعقيدا لتحقيق سيادة نظام اقتصادي واحد، فيه يتبادل العالم اعتماد بعضه على بعضه الآخر في كل الخدمات والسلع والمنتجات والأسواق ورؤوس الأموال والعمالة والخبرة، حيث لا قيمة لرؤوس الأموال من دون استثمارات، ولا قيمة للسلع دون أسواق تستهلكها¹.

- العولمة السياسية: العولمة السياسية هي عكس سيادة الدولة، أي فقدان الدولة لسيادتها، ودورانها في عجلة العالمية، وهو هدف تحاول الدول الراعية للنظام العالمي الجديد تحقيقه تحت مسمى العولمة وحدوث ذلك يؤدي إلى فقدان الدول نفوذها وتأثيرها في عالم السياسة².

- العولمة الثقافية والإعلامية: وهي محور دراستنا، فالعولمة الثقافية هي محاولة لوضع شعوب العالم في قوالب فكرية موحدة وذلك لسلبها عن ثقافتها وموروثها الحضاري، "فالعولمة نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن، نظام يريد رفع الحواجز والحدود، إنه نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية للأمة من أي محتوى، ويدفع إلى التفتيت والتشتيت ليربط الناس بعالم اللاوطن واللامأمة واللاذولة"³.

أما العولمة الإعلامية فيقصد بها "العملية التي تهدف إلى التعظيم المتسارع والمستمر في قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفضل ما توفره التكنولوجيا الحديثة، التكامل والاندماج بين وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات، وذلك لدعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية، وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصالات والمعلومات العملاقة متعددة الجنسيات على حساب تقليص سلطة ودور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي من ناحية أخرى"⁴.

أيضا أن "من أهم مظاهر العولمة الإعلامية التي جعلت العالم يشبه ضاحية صغيرة في مدينة كبيرة هو الانفجار المعلوماتي أو البؤرة المعلوماتية التي سيرتها الثورة الاتصالية"⁵.

رابعا: الهوية الثقافية والعولمة وأزمة الاختراق الثقافي:

تطرح قضية الهوية الثقافية نفسها في ظل تحولات العولمة، والتي تثير أزمة اختراق الثقافة والنظر إلى هذه الأخيرة يكون من منطلق "أنها ظاهرة تتعرض لها مختلف الثقافات الوطنية بما في ذلك ثقافات أوروبا ناهيك ثقافات البلدان الواقعة تحت نفوذ الغرب وهيمنتته بلدان عالم الجنوب"⁶، ففعل اختراق الثقافة هو سلب للخصوصية وهو فعل اعتداء على الآخر، حيث

¹ - السيد أحمد مصطفى عمر، إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك، العدد ٢٥٦، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦، ص ٧٤.

^٢ - أحمد كنعان، العولمة والبحث العلمي واقعا طموحا، ندوة العولمة والتعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، تونس، جامعة العلوم والتقنيات والطب، اتحاد الجامعات العربية، ٢٠-٢٣/١١/٢٠٠٠، ص ٩.

^٣ - محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، مرجع سبق ذكره، ص ١٩.

^٤ - محمد شومان، عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي، مجلد ٢٨، العدد ٠٢، (د.م.ن)، مجلة عالم الفلئو، أكتوبر- ديسمبر ١٩٩٩، ص ١٦١.

^٥ - مؤيد عبد الجبار الحديدي، العولمة الإعلامية والأمن القومي العربي، ط ١، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، ص ٢١٨.

^٦ - محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، ط ٢، العدد ٢٥، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية، مارس ١٩٩٩، ص ٢٠٩.

أن الاختراق الثقافي يستهدف اختراق الهوية الحضارية للأمم و الشعوب من خلال اختراق المنظمات المكونة لثقافتها منظومات التفكير والتمثيلات ومنظومات القيم ومنظومات التعبير ومنظومات السلوك¹.

وبشكل عام يتضمن مفهوم الاختراق الثقافي الأبعاد التالية²:

- تبعية ثقافة الدولة المستقبلية لثقافة الدولة البائدة، واعتمادها عليها اعتمادا بنويويا في إنتاج القيم و المعاني والأفكار والمعارف التي تحتاج إليها، سواء أكان ذلك بسبب تفوق ثقافات الدولة المخترقة و قدراتها أم بسبب انعدام الثقة في النفس لدى الثقافات المستقبلية.

- وضع العقبات أمام الجهود التي تبذلها الدول النامية لتمثيل دعائم استقلالها الثقافي وضمان سيادتها.

- تعطيل الإرادة الوطنية للدولة التابعة ثقافيا وفقدان سيطرتها على إعادة تكوين ذاتها وتجديدها.

ويمثل التحالف بين الثقافة والتقانة ذروة القدرات التي تقدمها العولمة في الحقل الثقافي، فهي تمكنت فعليا من اختراق الحدود الثقافية انطلاقا من مراكز صناعة و ترويج النماذج الثقافية ذات الطابع الغربي، وألغت بالتالي إمكانيات التناقص كخيار يعني الانفتاح الطوعي للمنظومات الثقافية المختلفة عبر آليات التأثير والتأثير، والتفاعل المتبادل³.

وايدولوجيا الاختراق الثقافي تقوم على نشر وتكريس جملة من الأوهام، يمكن حصرها في الأوهام الخمسة التالية⁴:

وهم الفردية: أي اعتقاد الفرد أن حقيقة وجوده محصورة في فرديته و أن كل ما عداه أجنبي عنه لا يعنيه، إنما يعمل هذا الوهم على تخريب وتمزيق الرابطة الجماعية التي تجعل الفرد يعي أن وجوده إنما يكمن في كونه عضوا في جماعة وفي طبقة وأمة، وبالتالي وهم الفردية هذا يهدف إلى إلغاء الهوية الجماعية والطبقية والوطنية والقومية وكل إطار جماعي آخر ليبقى الإطار العالمي بل العولمي هو وحده الموجود.

وهم الخيار الشخصي: يرتبط بالأول ويكمّله، إنه باسم الحرية يكرس النزعة الأنانية ويعمل على طمس الروح الجماعية، سواء كانت على صورة الوعي الطبقي أو الوعي القومي أو الشعور الإنساني.

وهم الحياد: ليدفع بالأمر خطوة أخرى في الاتجاه نفسه فما دام الفرد وحده الموجود و ما دام حر فهو محايد وكل الناس والأشياء إزاءه محايدون أو يجب أن يكونوا كذلك وهكذا تعمل هذه الايدولوجيا من خلال وهم الحياد على تكريس التحلل من كل التزام و ارتباط بأية قضية.

الاعتقاد في الطبيعة البشرية التي لا تتغير: إنه يرمي إلى صرف النظر عن رؤية الفوارق بين الأغنياء والفقراء، بين البيض و السود، بين المستغلين وبين من هم ضحايا الاستغلال و قبولها بوصفها أمورا طبيعية، و بالتالي شل روح المقاومة في الفرد و الجماعة.

¹ - المرجع نفسه، ص ٢١٤.

² - محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، مرجع سبق ذكره، ص ١٧.

³ - عبد الغني عماد مرجع سبق ذكره، ص ٢٩٠.

⁴ - محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٢.

الاعتقاد في غياب الصراع الاجتماعي: هو التتويج الصريح للأوهام السابقة، غياب الصراع الاجتماعي معناه إذا قبلناه وسلمنا به وقمنا بالاستسلام للجهات المستغلة، من شركات و وكالات و غيرها من أدوات العولمة، وبعبارة أخرى التطبيع مع الهيمنة والاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري يأتي فقدان الشعور بالانتماء للوطن، أو أمة أو دولة و بالتالي إفراغ الهوية الثقافية من كل محتوى.

والجزائر بهويتها الأمازيغية العربية الإسلامية تعيش حالة من تغلغل لتأثيرات سلبية للعولمة الإعلامية والثقافية، ذلك أن تدفق الرسائل الإعلامية والثقافية المعولمة من المراكز الرأسمالية بكل قوتها وعنفوانها وقدراتها تصب في دول الأطراف كمجتمعات العالم الثالث، والتي تصبح في الواقع مجرد مستقبلية لهذه الرسائل الإعلامية والثقافية بكل ما فيها من قيم، بعضها يعتبر في نظر هذه المجتمعات قيما سلبية وأحيانا مدمرة، وهي في جميع الحالات تحمل أخطار الغزو الثقافي مما يهدد الخصوصيات الثقافية لهذه المجتمعات!

خامسا: الشباب والهوية، جدلية القبول والرفض:

إن مرحلة الشباب تعرف بناء نفسي وفكري وعقدي وهي مرحلة تتصف بالتمرد وحب التطرف والفضول والاطلاع، وتتصف أيضا بالبحث عن الترفيه والمتعة والابتعاد عن الصرامة، وهي الأكثر حبا وميلا لكل جديد، والشباب في البلدان العربية عامة وفي مجتمعاتنا يعيش أزمة هوية، وبعد الانتماء، حيث "تعد فئة الشباب من أكثر الفئات التي تتنوع استجاباتها اتجاه مكونات الهوية ما بين القبول والرفض، كما أنها أكثر الفئات تأثرا بالتحديات التي تواجه الهوية، عبر موجات وهجمات التغيير الثقافي المتتالية وذلك بحكم ما تتميز به مرحلة الشباب من ديناميكية، وقدرة عالية على الحركة والتفاعل مع بعضهم البعض ومع غيرهم من الأجيال الأخرى، وكذلك مع المؤسسات والنظم والقواعد العامة السائدة في المجتمع"²، وكلنا يلحظ ما يحدث من صراعات هويات لدى الشباب الذي أصبح يعيش بين قابل في أحيان قليلة ورافض في كثير منها لثوابته و يظهر ذلك جليا في الآفات الاجتماعية و التفكك الاجتماعي و الثقافي في المجتمع.

وأصل هذه الجدلية هو صراع لدى الشباب في أعلى سلم للثقافة، هو القيم والانتماء بالإضافة إلى ثوابتنا، وصراع القيم يكون بين قيم المجتمع المتقدم، والقيم التقليدية السائدة في مجتمعنا الأم الذي يؤدي إلى حالة من التذبذب في الانتماء الثقافي.

ويمكن القول أننا أمام فئات ثلاث من الشباب ذوي استجابات مختلفة، الفئة الأولى هي الأكثر ارتباطا بهويتها وعلى الخصوص الجزء الصلب أو القلب من الهوية، وهو القيم الدينية والأخلاقية، وهؤلاء يشعرون بأن هويتهم في خطر شديد وأن الحل الوحيد هو السعي لحماية هذه الهوية بأي وسيلة، والمشكلة الأكبر أن هذه الفئة من الأصل كانت تعاني من أزمة هوية وطنية، فالهوية عندها لم ترتبط بوطن بقدر ما ارتبطت بدين، أما الاستجابة الثانية فهي استجابة متطرفة و ترتبط في الغالب بفئات الشباب الذين يعانون من الحرمان، وفي نفس الوقت يقعون تحت وطأة ثقافة الاستهلاك بشدة، مما يجعلهم يبحثون عن الوسائل التي تشبع احتياجاتهم سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة، كما يشعرون بالنقمة على الدولة والمجتمع، اللذين تسببا في حرمانهم من أدنى حقوقهم، أما الفئة الثالثة وهي الفئة المتغربة من الأصل، والتي تعيش على أراضي أوطانها على المستوى المادي ولكنها بمشاعرها وميولها وثقافتها تعيش في مجتمعات أخرى، فهذه الفئة وهي شريحة

¹ - حسن عبد الله العابد، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٣ ١٠٤.

² - هويدا علي، الشباب والهوية والعولمة، جدليات القبول والرفض، العدد ١٣٢، مجلة شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ٢٠٠٧، ص ٨٥.

قليلة من الشباب ميسورة الحال بدرجة كبيرة، تعاني من أزمة هوية مواطنة عن الأصل بحكم عدم رضاها عن واقع مجتمعاتنا وعدم تقبلها للقيم السائدة في هذه المجتمعات¹.

وأصل أزمة الهوية في مجتمعنا هو تلاقي الثقافات، التي تكون في نظر الشباب خاصة في مجتمعنا أنها ثقافة عصرية بالمقارنة مع قيم و ثقافتهم التقليدية، وبذلك يتحقق الاغتراب الذي هو تعبير عن عدم الرضا وعن الرفض للمجتمع وثقافته، وجوهره الشعور بالفقدان²، أي أن هذه الأزمة خلقت ما يسمى بالاغتراب الثقافي والتغريب، ولكن لا يمكننا أن نعمم هذا، ذلك انه أثبتت الأحداث والدراسات الميدانية أن قطاعات واسعة من الشباب العرب، قد توحى مظاهرهم و خطاباتهم بأن حسهم الوطني قد توقف أو انحرف، لكن عندما تمر أوطانهم و أمتهم بهزة سياسية أو عسكرية أو اقتصادية أو حتى مناخية، ترى الكثير منهم ينفذ غبار العربة ويرفع الأقفعة الزائفة ويكشف عن حالة وجدانية فياضة، ويبيدي استعدادا مفاجئا للتفاعل الثقافي والاجتماعي بل إن بعضهم يتجاوز لغة الاحتجاج ليبيدي رغبة صادقة و عميقة في الحراك الاجتماعي³.

ولكن رغم ذلك هناك أزمة هوية يعاني منها الشباب، وهي متأصلة في مجتمعنا خاصة مع هذه القيم والثقافات الوافدة من مجتمعات أكثر تقدما، ومع ما تعانيه مجتمعاتنا من ضعف وتخلف على كافة الأصعدة أمام النماذج الحضارية الأخرى المقدمة له، ما يؤدي إلى استهلاك قيم وثقافة هذه المجتمعات، والذي أصبح رمزا من رموز المكانة الاجتماعية، وهذا ما يؤدي إلى البحث عن كل ما هو أجنبي، الأمر الذي يؤدي إلى تحولات في البنية القيمية و الثقافية.

سادسا: سبل تعزيز الهوية الثقافية الوطنية للشباب في ظل تحديات العولمة:

إن الجدل الدائر حول سبل حماية الهوية الثقافية استمر لوقت طويل و مازلنا حتى الآن مشغولين بالتصدي لعملية التآكل الثقافي، وزاد طرح هذه القضية اليوم أكثر من أي وقت مضى، حيث أدت ثورة المعلومات وما نجم عنها من توسع فرص حصول الأفراد على المعلومات إلى تهديد الثقافات القومية والمحلية بطرق عديدة، فهي قد تؤدي إلى التخلي عن القيم والأعراف التقليدية، وفي معرض حديثنا عن تأثير العولمة في الهوية الثقافية سنتعرض إلى بعض الاقتراحات والتوصيات نراها كفيلة للتخفيف من أثارها ومواجهتها، وذلك بالقيام بمايلي:

١- ضرورة مراجعة السياسات الثقافية الرسمية والمحلية والعالمية وتطوير استراتيجيات جديدة لبناء الوعي والضمير الإنساني من قبل المثقفين وصانعي الثقافة أيضا.

٢- ترسيخ مشاعر الاعتزاز بالتراث الأمازيغي والعربي والإسلامي لدى الشباب وتوفير البنى الأساسية اللغوية التي تؤهل للغة الأمازيغية والعربية للتفاعل مع لغات العالم الآخر، سواء من حيث تنظيرهما لا تعليمهما، أو إعداد معاجمهما أو برامج استخدامهما عبر وسائط التقنية الحديثة.

٣- تقديم قراءة جديدة للتراث تماشى مع متغيرات العصر، بحيث يكون عاملا من عوامل الإبداع، وذلك عن طريق تأهيل الإنسان القادر على التعامل مع المتغيرات العولمية دون انغلاق على الذات أو رفض الآخر، ودون انفتاح أو تبعية تنطلق من

^١ - صلاح الدين الجورشي، الشباب العربي والانترنت، هروب من السياسة أم محاولة لإعادة بنائها؟، العدد ١٨٢، مجلة شؤون عربية، الأمانة العامة الجامعية للدول العربية، ٢٠٠٧، ص ٩٦.

^٢ - صالح أبو أصيب، تحديات الإعلام العربي، دراسة الإعلام، المصادقية، الحرية، التنمية، والهيمنة الثقافية، ط ١، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص ٥٣.

^٣ - صلاح الدين الجورشي، مرجع سبق ذكره، ص ٨٠.

انهزام حضاري، بل تأهيله في إطار أصيل ينطلق من الثوابت والقيم الأصيلة التي تحفظ هويته، وفي نفس الوقت يتوافق مع المتغيرات المعاصرة بالإفادة من ثمارها.

٤- التحرك لإبراز الهوية الثقافية، وعدم البقاء مكتوفي الأيدي وانتظار الاختراق الثقافي الغربي من أجل استهلاكه والاعتراف به.

٥- الدفاع عن الهوية الثقافية ومقاومة الغزو بالعقلانية و بالديمقراطية ، بإعادة الاعتبار للهوية الوطنية و تنشيط عناصر الهوية في النسيج المجتمعي لأنها تساهم في معرفة التطور الحاصل بإدراك و وعي.

٦- التركيز في المناهج الدراسية على ظاهرة العولمة بما لها وما عليها وبيان أثرها على مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، والتركيز على أثرها في الهوية الوطنية.

٧- إنماء الإحساس في نفسية الشباب بالخصوصية الثقافية و ميزات الهوية الثقافية و الحضارية بالتفاعل المدرك مع الثقافات الأخرى على أساس التعاون و التكامل دون تبعية ثقافة إلى ثقافة أخرى.

٨- دعم السبل والطروحات الحضارية بين الشباب خاصة التي تدعو إلى الحفاظ على الهوية الوطنية، مع الاعتراف والقدرة على التعامل الإيجابي مع حقيقة التعددية الفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية بين مجتمعات العالم، لأن الحفاظ على الهوية الوطنية لا يتحقق من خلال الحفاظ عليها كما هي، بل من خلال إعادة بنائها في إطار العولمة والثورة العلمية والمعلوماتية والتقنية وتكنولوجيات الاتصال.

خاتمة:

إن الهوية الثقافية هي أساس وجود الفرد وبقائه وهي انعكاس لقيمه وعاداته وأخلاقه وانتمائه، فالهوية الثقافية تحدد بناء على توفرها على عدة مقومات كالقيم والتقاليد واللغة، إذا كان التمسك بالهوية الثقافية مسؤولية تقع على عاتق الجميع فإن الحفاظ عليها هو التحدي الأكبر الذي يقع على عاتق الشباب، باعتبارهم صناع المستقبل والتغيير وبناء الوطن. فمعاناة الشباب من الاختراق الثقافي و سطوة العولمة تؤدي إلى عدم القدرة على التصرف وفق المقاييس المتعارف عليها أخلاقيا واجتماعيا والشعور بالبعد عن الأهداف الحضارية والثقافية لمجتمعهم ووطنهم، ولا يمكن التغلب على المشكلات والتحديات التي تطرحها العولمة وثورة الاتصال على المجتمعات العربية برفضها أو الهرب منها أو إدانتها وإنما بخلق الشروط الاقتصادية والسياسية والثقافية التي تسمح بالسيطرة على آلياتها والاستفادة منها لإعادة بناء هذه المجتمعات نفسها وإعادة الثقة لقواها الاجتماعية والثقافية.

قائمة المراجع:

- ١- أبو أصبع صالح، تحديات الإعلام العربي، دراسة الإعلام، المصداقية، الحرية، التنمية، والهيمنة الثقافية، ط١، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩٩
- ٢- الجابري محمد عابد، مسألة الهوية، العروبة والإسلام والغرب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥
- ٣- الجابري محمد عابد، المسألة الثقافية في الوطن العربي، ط٢، العدد ٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية، مارس ١٩٩٩

- ٤- الجرجاني الشريف علي بن محمد، التعريفات، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥
 - ٥- الحدبتي مؤيد عبد الجبار، العولمة الإعلامية والأمن القومي العربي، ط١، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥
 - ٦- السحمراني أسعد، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، ط١، دار النفائس، ٢٠٠٥
 - ٧- العابد حسن عبد الله، أثر العولمة في الثقافة العربية، بيروت، دار النهضة العربية، ٢٠٠٥
 - ٨- العالم محمود أمين، الفكر العربي بين الخصوصية والكونية، القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٩٦
 - ٩- الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٣
 - ١٠- بن نعمان أحمد، الهوية الوطنية، الحقائق والمغالطات، الجزائر، دار الأمة، ١٩٩٦
 - ١١- خريسان باسم علي، العولمة والتحدي الثقافي، بيروت، دار الفكر العربي للطباعة، ٢٠٠٥
 - ١٢- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (١٠٩١م)، الجزء الأول، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٥
 - ١٣- شيريقان فضيل، بين لغة البعض ولغة البعض الآخر، الجزائر، منشورات القصبة، ٢٠٠٥
 - ١٤- عماد عبد الغني، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات، من الحداثة إلى العولمة، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥
 - ١٥- عبد الغني أمين سعيد، الثقافة العربية والفضائيات، ط١، القاهرة، ايتراك للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥
 - ١٦- غليون برهان، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٩
 - ١٧- مصطفى نادية محفوظ، خصائص الثقافة العربية الإسلامية في ظل حوار الثقافات، ط١، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥
- ب- المجلات والدوريات:
- ١- الجابري محمد عابد، العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، ٢٢٥، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، فبراير، ١٩٩٩
 - ٢- الجورشي صلاح الدين، الشباب العربي والانترنت، هروب من السياسة أم محاولة لإعادة بنائها، العدد ١٨، مجلة شؤون عربية، الأمانة العامة الجامعية للدول العربية، ٢٠٠٥
 - ٣- شومان محمد، عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي، مجلد ٢، العدد ٥، مجلة عالم الفكر، أكتوبر- ديسمبر، ١٩٩٩
 - ٤- عمر السيد أحمد مصطفى، إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك، العدد ٢٥، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥
 - ٥- علي هويدا، الشباب والهوية والعولمة، جدليات القبول والرفض، العدد ١٣، مجلة شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ٢٠٠٥

ج- الملتقيات والمؤتمرات:

- ١- التويجري عبد العزيز بن عثمان و آخرون، العولمة والهوية، الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي في ضوء فلسفة حوار الأديان والحضارات، الدورة الأولى، الرباط، المملكة المغربية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩١
 - ٢- القرضاوي يوسف، الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، الأردن، منتدى الفكر العربي، ١٩٩١.
 - ٣- عبد الودود مكرم، قيم هوية وثقافة الإنماء، مدخل لتحديد دور التعليم العالي في بناء مستقبل الأمة العربية، المؤتمر العلمي العشرون " مناهج التعليم والهوية الثقافية "، مجلد ٤، جامعة عين شمس، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، ٣١-٣٠ يوليو، ٢٠٠٠
 - ٤- كنعان أحمد، العولمة والبحث العلمي واقعا طموحا، ندوة العولمة والتعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، تونس، جامعة العلوم والتقنيات والطب، اتحاد الجامعات العربية، ٢٠٠١/١٠/٢٣٢
- ١- Kamel bouchama, Algérie terre de foi et de culture, Alger, casbah, édition, Houma, 2000.
- 2- Nafissa zerdouni, enfant d'hier, paris, François Maspero, 1988.
- ١- <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/.htm> consulté le 10/01/2016, 14:30h).

سوسيولوجيا المشكلة البيئية

د.نوار بورزق/جامعة العربي التبسي، تبسة و الباحث بوزيان خيرالدين/طالب دكتوراه/جامعة باجي مختار، عنابة

ملخص:

يهدف التعرف عن مشكلة البيئة من وجهة نظر علم الاجتماع، فإنه سيتم تحليل هذا المفهوم الذي يشير إلى ذلك الخلل الذي يمس النظم الطبيعية والاجتماعية، ويؤدي إلى عجز البيئة عن أداء بعض وظائفها أو كلها. ويتجسد في استنزاف مواردها، واتساع ظاهرة التلوث لتشمل كافة مناحي الحياة، وكل ذلك يؤدي إلى اختلال التوازن البيئي. أما أسباب ذلك ترجع بدرجة أولى إلى العوامل البشرية، ثم العوامل الطبيعية. وهو ما سيتم إبرازه في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: المشكلة البيئية، العوامل الاجتماعية، مظاهر المشكلة البيئية.

مقدمة:

منذ أن وجد الإنسان على سطح هذه الأرض وهو يعتمد في حياته على البيئة المحيطة به، وعلى ما فيها من موارد طبيعية طيلة مختلف المراحل التاريخية التي مر بها، بداية من مرحلة الرعي مروراً بمرحلة الصيد وصولاً إلى مرحلة الصناعة والتقدم التكنولوجي، وهو ما انعكس على التحسن التدريجي في مستوى حياته تماشياً مع تلك المراحل، لكن إسرافه في استخراج المواد الأولية، واستغلاله للموارد الطبيعية واستهلاكها من دون روية أدى إلى تدهور حالة البيئة وتراجع في مقدراتها ومواردها، وانعكست آثارها السلبية على نوعية حياته، حتى أصبح الإنسان مهدداً بالموت والهلاك، وبدأ يعيش أزمات صحية واجتماعية ونفسية واقتصادية... لم يسبق وأن عاشها من قبل، وقد ترتبت عن استنزاف الموارد البيئية وتلوثها واختلال التوازن البيئي، وشكلت آثارها المدمرة قضية خطيرة سميت "المشكلات البيئية"، أضحت من أهم انشغالات العالم في نهاية القرن العشرين، وبداية القرن الواحد والعشرين. وهذه الظاهرة تشعبت مظاهرها وصورها، وتعددت عوامل حدوثها، ولهذا سيتم مناقشة هذا الموضوع في إطار رؤية سوسيولوجية، بمعنى التعرف على المشكلة البيئية، وعواملها الاجتماعية خاصة، وذلك بالإجابة عن التساؤل المركزي التالي:

سماهي المشكلة البيئية من النظرة السوسيولوجية؟

وهو السؤال الذي تمت تجزئته إلى التساؤلات الفرعية التالية:

سماهي المشكلة البيئية؟

سماهي مظاهر المشكلة البيئية؟

سماهي عوامل المشكلة البيئية؟

وهذا الموضوع يكتسي أهمية بالغة يستمدّها من خطورة الوضع الذي آلت إليه البيئة، حيث باتت مهددة، ومعها أصبحت الحياة في خطر، إذ يتطلب ذلك تضافر جهود الجميع من أجل الاسهام في حلحلة هذا الوضع، والخروج به إلى بر النجاة، ولما كانت لكل العلوم اسهاماتها في ذلك فإن لعلم الاجتماع وما يتضمنه من أهمية في الرقي بالحياة الاجتماعية خاصة، دور في بارز في ذلك، وهذا الموضوع يندرج ضمن الطرح، مما يجعله على درجة عالية من الأهمية.

وجاء هذا الموضوع قصد تحقيق جملة من الأهداف تتمحور حول:

-التعرف عن دلالة المشكلة البيئية.

-التعرف عن مظاهر المشكلة البيئية وأنواعها.

-التعرف عن العوامل الاجتماعية والطبيعية للمشكلة البيئية.

١ مفهوم المشكلات البيئية: للمشكلة البيئة عدة تعاريف، فمنهم من يعرفها بأنها:

"كل ما يطرأ عليها من عطل في أداء مهماتها في إنماء الحياة، ورعايتها. وعلى رأسها حياة الإنسان، وذلك بأي سبب من الأسباب، سواء أكان انهيارا في مكوناتها أو اختلالا في توازنها أو اضطرابا في نظامها"¹.

وتعرف أيضا بأنها: "كل تغير كمي أو كفي لحق بأحد الموارد الطبيعية في البيئة، بفعل الإنسان أو أحد العوامل الفيزيائية، فينقصه أو يغير من صفاته، أو يخل من توازنه بدرجة تؤثر على الأحياء التي تعيش في هذه البيئة وفي مقدمتها الإنسان تأثيرا سلبيا"².

وتعرف أيضا بأنها: "إخلال في التوازن الطبيعي للأنظمة البيئية، هذا الإخلال ينجم عن تغير في واحد أو أكثر من الخواص الفيزيائية أو الكيميائية أو الحيوية، لكل أو بعض مكونات الغلاف الحيوي، كالماء والتربة والهواء والغابات وغيرها، بواسطة المواد التي تنطلق في الجو، نتيجة لنشاط الإنسان، وغالبا ما يؤدي هذا التغير إلى حدوث آثار ضارة على صحة الإنسان ورفاهيته، وعلى صحة الحيوان والنبات، وأحيانا على المواد غير الحية النافعة"³.

وتعرفها موسوعة ويكيبيديا بأنها "أي تغير كيميائي أو نوعي في المكونات البيئية الإحيائية واللا إحيائية على أن يكون هذا التغير خارج مجال التذبذبات لأي من هذه المكونات بحيث يؤدي إلى اختلال في اتزان الطبيعة، ترتبط المشكلات البيئية بصورة رئيسية بالتلوث"⁴.

فالمشكلة البيئية حصرتها تقريبا كل التعاريف المعروضة سلفا في الشق المادي متناسية أو متجاوزة الشق المعنوي والاجتماعي، وعليه يمكن صياغة التعريف الإجرائي الآتي لأجل معالجة النقص الذي ظهر في المفاهيم السابقة بالقول أن: المشكلة البيئية هي: خلل في النظم الطبيعية والاجتماعية، يؤدي إلى عجز البيئة عن أداء بعض وظائفها أو كلها جراء التغيرات التي تلحق بعناصرها، والناجمة عن عدة عوامل طبيعية وبشرية.

(عمر عبد الحميد النجار: قضايا البيئة من منظور إسلامي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الدوحة، قطر، ط ١٩٩٩، ص ٤٥.

(حسين عبد الحميد أحمد رشوان: البيئة والمجتمع، دراسة في علم اجتماع البيئة، المكتب الجامعي الحديث الأزاريطة، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٢١.

(إيداد عاشور الطائي ومحسن عبد علي: التربية البيئية، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط ٢٠١٠، ص ٣١-٣٢.

(الموسوعة الإلكترونية ويكيبيديا على الموقع <http://ar.wikipedia.org>، يوم ١٤-٠٧-٢٠١٦، في ٢٧:٠٨.

٢ - مظاهر المشكلات البيئية: تتمثل مظاهر المشكلات البيئية في:

٢-١: مشكلة استنزاف الموارد البيئية:

يقصد بالموارد البيئية: "كل ما هو موجود في البيئة الطبيعية، ويعتمد عليه الإنسان في حياته لسد حاجاته ومتطلباته، ويقصد باستنزاف الموارد حتى اختفائها أو تقليل قيمتها في أداء دورها العادي في شبكة الحياة، بأي طريقة كان ذلك الاستنفاد أو التقليل من قيمة الأداء"^١. ويأتي هذا الاستنزاف كنتيجة للاستخدام المفرط للبيئة وعناصرها من قبل الإنسان، بل وتأثرها بما يترتب على العمليات الإنتاجية الصناعية الغزيرة التي يقوم به الإنسان أيضا تلبية لحاجاته ومتطلباته، زيادة على تأثير العوامل الطبيعية. إذ يمكن القول أنه في الوقت الذي بدأ فيه الإنسان يكثف جهوده للسيطرة على النظام البيئي الطبيعي واستغلال الموارد البيئية بدأت الكرة الأرضية تواجه أخطارا وكوارث وأزمات بيئية أخذت في التزايد^٢، ومن أمثلتها مشكلة الماء حيث أصبح الإنسان اليوم يواجه مشكلة كبيرة وخلالها واضحا في معادلة الطلب والعرض على الماء، بسبب الزيادة الكبيرة في عدد السكان وبالتالي كثرة الاستعمال بالإضافة لسوء الاستخدام^٣.

وبصفة عامة يسجل المتأمل في بيئة اليوم تحول الكثير من المراعي إلى صحاري، وتراجع المساحات الغابية، وانخفاض مستوى المياه، ناهيك عن الخطر المهدد للتنوع البيولوجي باختفاء العديد من الأحياء الحيوانية والبرية والبحرية. فقد تحولت مساحات شاسعة من الغابات إلى استعمالات أخرى كالمزارع والمراعي وزراعة أشجار النخيل،.... وكذلك تعرضت الغابات إلى مخاطر النيران والتدمير، بالإضافة إلى قطع الأشجار وفتح الطرق وما إلى ذلك، وكله أحدث ضررا بيئيا بعيد المدى، فقد فقدت الكثير من النباتات والحيوانات قابليتها للحياة والنمو الطويل الأمد من خلال التغير في الصفات الوراثية والانقراض^٤. وكل ذلك يدفع إلى استنزاف مقدرات البيئة ومواردها، جراء الاستغلال غير العقلاني لها، والمدفوع بالجشع والأنانية الناجمة عن المنافسة الشرسة بين الدول والمؤسسات قصد زيادة ثرواتها المادية في الوقت الحاضر، لأن ذلك من مصادر القوة التي تسمح لها بالبقاء وفرض هيمنتها.

٢٢: التلوث البيئي: بعد التلوث من أشهر المشكلات البيئية وأبرزها وأخطرها. ويعرف على أنه كل تغير كمي أو كيميائي في مكونات البيئة الحية وغير الحية لا تقدر الأنظمة البيئية على استيعابه دون أن يختل توازنها^٥. ومشكلة التلوث التي تطرح نفسها اليوم على المجتمع التكنولوجي الحديث بحدة كبيرة، قديمة قدم الإنسان نفسه، ولو أنها لم تكن تتجاوز في الماضي حدود النظام البيولوجي العام، إلا أنها اليوم تعددت وتعقدت وتغير جوهرها. فقد اتخذت أبعادا من حيث الكمية والكيف تدعو إلى القلق وأصبحت تفلت من كل تقدير أو توقع، لكونها تنطوي على مواد طبيعية وكيميائية سامة خطيرة على صحة الإنسان، ومن جهة أخرى تزايد إنتاج الفضلات باستمرار، في مقابل عجز الإنسان- مثل الطبيعة - عن تحويلها أو التخلص منها بما يقلل من أضرارها على الأقل، وذلك ليس بسبب ازدياد الفضلات الصناعية فحسب، بل وأيضا بسبب تدهور الطبيعة والظروف العامة المحيطة بحياته. فالتقدم الذي سجله في مجال التكنولوجيا وفي المجال الاقتصادي والاجتماعي،

١) عمر عبد المجيد النجار: مرجع سابق، ص ٤٩.

٢) سامح الغرابية، يحيى الفرحان: المدخل إلى العلوم البيئية، دار الشروق للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٢، ص ٣٥.

٣) راتب السعود: الإنسان والبيئة، دراسة في التربية البيئية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٤، ص ١٢٠.

٤) أيمن سليمان مزاهرة، علي فالح الشوابكة: البيئة والمجتمع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ١ ط، ٢٠٠٣، ص ٢٠٤.

٥) عمر عبد المجيد النجار: مرجع سابق، ص ٥٥.

يحمل في طياته جرثومة القضاء على رخائه وسعادته التي يحق له أن يتطلع إليها¹. والتلوث تعددت أسبابه الحقيقية وخاصة الأخلاقية منها، كالتسابق نحو التسلح، وما ترتب عليها من إنتاج أسلحة فتاكة من طرف الدول الصناعية، وقيامها بالتجارب النووية دون مراعاة لقضايا البيئة. كما أن العديد من هذه الدول الصناعية قامت بدفن نفاياتها المشعة والسامة في بعض بلدان العالم الثالث².

فالتلوث عموما يمثل مظهرا من مظاهر اختلال التوازن البيئي، مما يؤثر على البيئة ومواردها من ناحية، وعلى الإنسان من ناحية أخرى. فالتعامل العدواني للإنسان مع البيئة أو أحد موارده يؤدي إلى خلل في التوازن البيئي، ومثال ذلك فالإنسان عند حرقه لأشجار الغابات، إن ذلك سياترب عليه خلل في التربة والهواء والغطاء النباتي، ويتواصل تأثيره ليشمل الإنسان والحيوان معا. كما أن التصرف غير الرشيد من الإنسان إزاء بيئته يؤدي أيضا إلى خلل. ومثال ذلك توفير أراضي زراعية شاسعة، من أجل المزيد من الموارد الغذائية، إلا أن ذلك سياترب عليه ضرر بكائنات أخرى لها دوره في حفظ التوازن البيئي. فالإنسان من خلال عدوانه على البيئة إنما يضر بالبيئة ويسبب إلى نفسه في ذات الوقت، ويحرم الأجيال القادمة من حقها في الموارد البيئية³. والتلوث بهذه المفاهيم هو ناتج أو محصلة لسلوك الإنساني الخاطئ. لكن هناك تلوث طبيعي لا دخل للإنسان فيه، وهو ناتج عن مكونات البيئة نفسها، كالغازات والأتربة التي تقذفها البراكين، وأكاسيد النيتروجين التي تتكون في الهواء نتيجة للتفريغ الكهربائي وحبوب اللقاح لبعض النباتات...وما إلى ذلك⁴. وبصفة عامة يمكننا إجمال أنواع وأنماط التلوث في الجدول الآتي:

جدول رقم 01: يوضح أنواع التلوث البيئي⁵.

التلوث المعنوي			التلوث المادي		
تلوث فكري ونفسي	تلوث ضوضائي	تلوث كهرومغناطيسي	تلوث التربة	تلوث الماء	تلوث الهواء
ثقافي	ضوضاء التكنولوجيا	محطات كهربائية	تربة المدن	الأنهار	هواء المدن
إعلامي	ضوضاء الانفجارات	محطات البث	التربة الزراعية	البحيرات	هواء الريف
أخلاقي	ضوضاء مصادر طبيعية	محطات الانصال	تربة النظم البرية	الأمطار	هواء النظم البرية
نفسي				مياه جوفية	

¹ أحمد عروة: "فلسفة البيئة"، ترجمة اسماعيل العربي، مجلة الثقافة، وزارة الاعلام والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 32، مايو 1975، ص ص 108-105.

² فتحي دردار: البيئة في مواجهة التلوث، دار الأمل، الجزائر، 2002، ص 85.

³ أحمد حسين اللقاني، فارعة حسن محمد: التربية البيئية، واجب ومسؤولية، عالم الكتب، مصر، ط1، 1999، ص ص 38-39.

⁴ رجاء وحيد الدويدري: البيئة مفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي، ط1، دار الفكر، دمشق، 2004، ص 200.

⁵ محمد ذياب عبد الحفيظ: البيئة، حمايتها، تلوثها، مشاكلها، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2005، ص 37.

يوضح هذا الجدول أن التلوث على نوعين مادي وهو المشهور، ومعنوي والذي كثيرا ما تهمله البحوث والدراسات، خاصة في شقه المتعلق بالتلوث الفكري والرفسي. مع العلم أن آثاره تؤثر في أسس هوية المجتمع، ويترتب عليه خلل في العلاقات الاجتماعية خاصة. وبالضرورة فإن ذلك سيؤدي إلى غياب الرادع الأخلاقي لحماية البيئة خاصة للمجتمعات الإسلامية التي تستمد من عقيدتها عوامل وأسس حماية البيئة، كما أنه يعد العامل الحقيقي للتلوث المادي.

أما ما يمكننا استنتاجه من وراء معطيات هذا الجدول، هو أن البيئة أصبحت تعيش تحت رحمة المؤثرات التكنولوجية الحديثة، ومعها أصبح الإنسان يعيش في جو مرطب ومكيف ويأكل إلا المصبرات، وتتأثر سلوكياته وتنقاد أهواءه وراء أوراق مكتوبة أو موجات مسموعة تحكمها أضرار كهربائية، فالتلوث كما هو ناتج لظواهر طبيعية، فهو مظهر من مظاهر أثر الإنسان على البيئة التي غير الكثير من معالمها مما ترتب على ذلك اختلاف أنماط الحياة في كثير من مناطق العالم¹، وقد امتد أذى التلوث إلى كل مجالات الحياة البشرية، مادية وصحية ونفسية واجتماعية مما أدى إلى حالة تعرف "بالتمزق البيئي"، جعلت الإنسان يعيش في دوامة من القلق والاضطراب².

وعليه نستطيع القول بأن ما حققه الإنسان من انجازات حضارية كانت على حساب صحته وراحته وحتى على مستقبل حياته لأنه أهمل البعد الأخلاقي في تطوره وتقدم التقني.

٢-٣: اختلال التوازن البيئي: كنتيجة للمظهرين السابقين من مظاهر المشكلات البيئية، ينشأ مظهر جديد يتمثل في اضطراب التوازن الذي وجدت عليه البيئة، مما يؤدي إلى عجزها عن أداء دورها. ويتمثل اختلال التوازن البيئي في:

١٣-٢: ظاهرة الغازات الدفيئة: ثمة جزء من الإشعاع الشمسي الذي يصل إلى سطح الأرض. يعاد إشعاعه بموجات أكثر طولاً، وتمتصه جزئياً الغازات الموجودة في الغلاف الجوي. ويؤدي امتصاص الطاقة هذا إلى زيادة في درجة حرارة الغلاف الجوي ويكون ظاهرة الغازات الدفيئة³. وهو ما يترتب عليه بروز ظاهرة الاحتباس الحراري، والتي تتمثل في ارتفاع درجة حرارة سطح الأرض كنتيجة لزيادة استهلاك الطاقة، مما يترتب عليه ظهور الأعاصير والعواصف شديدة القوة وبصورة مستمرة⁴. كما أن زيادة درجات الحرارة تحدث تمرداً في كتلة الماء، ومن ثمة ارتفاع في مستوى سطحه بمقدار يتراوح بين (٢-١٢٤ سم)، مما ينتج عليه خطر يهدد المناطق الساحلية عامة، حيث المدن وأماكن السكن التي يقطنها ثلث سكان المعمورة⁵. والتي تكون حينها معرضة لظاهرة الفيضانات وما يمكن أن ينجر عنها من فقدان للأرواح البشرية وما تخلفه من دمار تكون عواقبه وخيمة على الحياة عامة.

٢٣-٢: ثقب طبقة الأوزون: تكتسب طبقة الأوزون أهمية قصوى في استمرار الحياة على كوكب الأرض. لأنه لولم تكن طبقة الأوزون موجودة لكانت الكائنات الحية جميعها قد احترقت منذ زمن بعيد. بسبب التعرض الزائد للأشعة فوق

(١) أحمد النكلاوي: أساليب حماية البيئة العربية من التلوث مدخل إنساني، جامعة نايف للعلوم الأمنية، ١٩٩٩، ص ١٥.

(٢) رشيد الحمد ومحمد صباريني: البيئة ومشكلاتها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد ٢٢ من سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أكتوبر ١٩٧٩، ص ١١٩.

(٣) أيمن سليمان مزاهرة، علي فالح الشوابكة: مرجع سابق، ص ٥٥.

(٤) محمد ذياب عبد الحفيظ: مرجع سابق، ص ٢٧.

(٥) رجاء وحيد الدويدري: مرجع سابق، ص ٢١١.

البنفسجية^١. إلا أن طبقة الأوزون تعرضت وتتعرض لعوامل من صنع الإنسان تحدث فيها تهتكاً يندرج بخطر كبير يصيب الحياة على الأرض، إذ يسمح ذلك التهتك - الثقب-بتسرب الأشعة فوق البنفسجية إلى الأرض فتأتي حينئذ على ما عليها ويقع عندئذ الفناء^٢. وقد تبين أن ثقب طبقة الأوزون ناتج عن النشاط الإنساني، مع مساعدة الظروف الطبيعية على تكوينه، ومن الآثار السلبية لاتساع ثقب طبقة الأوزون، إعاقة إنتاج بعض النباتات وانتشار بعض الأمراض السرطانية. وإضعاف درجة المناعة عند الإنسان^٣. مما سيؤدي إلى خلل في سير بعض النظم البيئية، نتيجة لعجز العناصر البيئية عن أداء دورها. ومن ثم اختلال التوازن البيئي.

إن عرضنا لمظاهر المشكلات البيئية في ثلاث محاور لا يعني أننا قمنا بعملية مسح لكل مشاكلها، لأن تحت كل مظهر يمكننا إدراج العديد من المشاكل البيئية التي غيرت من نمط حياة البشرية جمعاء. إلا أنه يمكننا أن نخلص إلى أن المشكلات البيئية هي عبارة عن النتيجة السلبية لما بلغته الحضارة الإنسانية من تقدم وتطور وهذا في جانبها التقني والاجتماعي، كما أن هذه المشكلات ستترتب عليها آثار جانبية وهامشية تنغص الحياة الإنسانية من جانبها النفسي كالاكتئاب، والصحي كالمرض العضوي على مختلف درجاته... الخ، ومنه ندرك معنى قوله عز وجل "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين"^٤، فالله عز وجل نهي عباده عن الفساد. لكن لإنسان وإن كان لم يكن قاصدا للإساءة للبيئة، فحاجاته ورخائه لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن حيث يقول عز وجل: "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون"^٥.

والحقيقة إن المشكلات البيئية لا تميز بين مجتمع نام وآخر متقدم، على الرغم من أنها تبدو أكثر حدة وتفاقماً في ضوء ظروف المجتمعات النامية، لقلّة إمكاناتها في مواجهة هذه المشكلات، بل أن ذلك يسهم بقسط كبير في تفاقم هذه المشكلات. يزيد من تأثيراتها السلبية على الإنسان^٦. والأكيد والثابت أن لهذا الوضع عوامل وأسباب تحتاج إلى تمحيص وتوضيح.

٣- عوامل المشكلات البيئية: بعد أن تعرضنا إلى مظاهر المشكلات البيئية فإنه حري بنا التطرق إلى أسبابها، فكما رأينا أن المشكلات البيئية تتميز عن بعضها البعض، فكذلك أسبابها تتنوع بين البشرية والطبيعية وهي:

٣-١ العوامل البشرية: وتتمثل في:

أ- النمو السكاني: لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهل النمو السكاني في تحليل المشكلات البيئية، فنمو السكان يزيد من الطلب على السلع والخدمات مما يؤدي إلى زيادة الأضرار البيئية، كما يزيد من الأعباء الإضافية على الموارد الطبيعية في

^١ حسين عبد الحميد أحمد رشوان: مرجع سابق، ص ٢٧.

^٢ عمر عبد المجيد النجار: مرجع سابق، ص ٥٥.

^٣ رجاء وحيد الدويدري: مرجع سابق، ص ٢١٧.

^٤ سورة الأنعام، الآية ٨٥.

^٥ سورة الروم، الآية ٤١.

^٦ مریم أحمد مصطفى، إحسان حفظي: قضايا التنمية في الدول النامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠١، ص ٢٧٥.

الوقت الذي تتفاقم فيه المشاكل الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على الفقر^١. إذ ينعكس أثر النمو السكاني سلبيًا على كافة عناصر التنمية كما يتضح فيما يلي:

- نقص الغذاء: تشير الإحصائيات إلى وفاة حوالي ١^٢ مليون نسمة سنويًا بسبب الجوع، ناهيك عن سوء التغذية.

- نقص الماء الصالح للاستهلاك البشري: تشير الإحصائيات إلى أن ٥% من سكان الدول النامية لا يتوافر لديهم الماء الصالح للاستخدام الآدمي

- التلوث: ويشمل كافة عناصر البيئة الأساسية من هواء وتربة وماء، فالمياه تلوث بفضلات الإنسان ونشاطاته الصناعية، والتربة تلوث من خلال الاعتداء على الأراضي الزراعية لبناء المساكن، أو إرهابها عن طريق زراعتها أكثر من مرة في السنة، أما الهواء فيلوث جراء الاستخدام المتزايد لوسائل النقل البرية والجوية والبحرية وتكاثر الأنشطة الصناعية وما تلقىه من مواد سامة.

- استنزاف موارد البيئة: من خلال الاستخدام غير العقلاني والمتزايد للموارد البيئية مثل النفط والغاز الطبيعي، الحديد والنحاس... ومع تزايد عدد السكان فقد أدى ذلك إلى تقلص الموارد المتجددة، مثل الغابات. فما بالك بالموارد غير المتجددة^٢.

ب- نقص المعرفة البيئية: وهو الأمر الذي يترتب عليه عدم فهم المشكلات البيئية التي تزداد اتساعًا يوماً بعد يوم. ويصبح من الصعب إيجاد حلول لهذه المشكلات نظراً لعدم وضوح العلاقة القهائلة بين الإنسان والبيئة.

ج- الاستغلال غير الرشيد للتكنولوجيا في البيئة: والذي يترتب عليه الإخلال بتوازن البيئة عن طريق استنزاف مزيداً من الموارد الطبيعية في الصناعة. وما يرتبط بها من تلوث الهواء والماء والتربة والغذاء والضوضاء.

د- اختلال القيم والاتجاهات: وتعتبر لب المشاكل البيئية. لأن اختلال القيم والاتجاهات انعكاس لمشكلات البيئة. كما أن القيم والاتجاهات تكتسب الصفة الاجتماعية من سلوك الناس تجاه بيئتهم.

هـ- اختلال البيئة الاجتماعية: وهي الخاصة بممارسات الإنسان المتعلقة بالتنمية الاقتصادية دون مراعاة لإمكانات البيئة، والتي تنعكس على السلوك الاجتماعي والاقتصادي والسياسي تجاهها^٣.

وعليه يتضح أن العامل البشري يتعلق بالإنسان وتكوينه الثقافي والاجتماعي، إذ كلما تزايد عدد السكان إلا وارتفعت حدة المشكلة البيئية. وتتفاقم أكثر كلما صاحبت تلك الزيادة جهل بأساليب حماية البيئة وأهمية ذلك، فيتضاعف الاستغلال السيء لمنتجات الحضارة والتقدم العلمي، والمفضي إلى الأضرار بالبيئة، خاصة مع الاختلال المنظومة القيمية التي توجه السلوك الإنساني وتضبطه وتحكم فيه. مما يجعل البيئة وحالتها رهينة لهذه القيم التي أصبحت تخضع للأناية وامتلاك وسائل القوة. لفرض الهيمنة وتحقيق الأغراض الخاصة دون مراعاة للمصالح العامة، على الرغم من أنها شعار يرفع في كل مناسبة.

٢٣ العوامل الطبيعية: فإن كانت المشكلات البيئية سببها بشري بالدرجة الأولى فهناك أسباب طبيعية لكنها ذات تأثير كبير، مثل الزلازل والبراكين والأعاصير وغيرها، فهي تتسبب في وقوع خسائر بشرية ومادية، مخلفة وراءها القتلى والمعوقين

(١) المرجع نفسه، ص ٢٧٤.

(٢) راتب السعود: مرجع سابق، ص ٤٥-٤٨.

(٣) حسين عبد الحميد أحمد رشوان: مرجع سابق، ص ٢١-٢٢.

واليتامى. وهدم وتدمر المنشآت الأساسية والقاعدية... الخ. وهي سبب في التلوث خاصة للمياه والهواء ولعل أن أقرب مثال إلينا إعصار تسونامي، إذ خلال دقائق كان الماء الهائج قد أهلك الحرث والنسل، الكائنات والبيوت والشجر، فكل ما وقع في طريقه مات أو اقتلع، وسويت الأرض عن بكرة أبيها، وعادت الأمور إلى صورتها الأولى، بقاع من الخواء، موت ووبوار، إنها إبادة جماعية للبشر¹.

ومهما قيل عن الأسباب الطبيعية تبقى الأسباب البشرية هي الأكثر تأثيرا في البيئة لاستمراريتها، وبهذا تبقى محل الدراسة لأن الإنسان يسأل عما قام به لمواجهة الكوارث أو لأجل حماية البيئة. وبالنظر إلى أهمية البيئة في حياة الإنسان على مر المراحل التاريخية التي عرفها، والمشاكل البيئية التي طبعت هذه المراحل. فقد احتلت البيئة مكانة رائدة من بين اهتمامات الإنسان.

خاتمة:

يمكن القول أن المشكلة البيئية هي عبارة عن المنظومة التي يعيش فيها الانسان، وتتمظهر في عدة صور. إذ تعد كل من مشكلة استنزاف الموارد البشرية، جراء الاستخدام المفرط لها من قبل الإنسان. ومشكلة التلوث البيئي بكافة أشكالها، والمتربة عن السلوك الإنساني الخاطئ. ومشكلة اختلال التوازن البيئي كنتيجة للمشكلتين السابقتين، أحد أهم مظاهر المشكلة البيئية والمعبرة عن اختلال في النظام الاجتماعي والفيزيقي للبيئة. وهي المشكلة التي ترتبط عواملها بدرجة كبيرة بالسلوك الإنساني وممارسته نحو بيته. وتعد الخلفية الثقافية والقيمية أهم محرك لذلك. وفي هذا السياق يمكن ربط سوسيولوجيا المشكلة البيئية بعواملها الاجتماعية. والمتمثلة أساسا في:

التزايد السكاني الذي يتسبب في حدوث اختلال التوازن، لأنه يدفع إلى زيادة الطلب الذي يصحبه تأثير سلبي على التنمية الاجتماعية. وخاصة لما يرافق ذلك جهل بخطورة المشكلات البيئية جراء غياب المعارف البيئية. وكذا الاستغلال غير الرشيد للتكنولوجيا في البيئة، والذي يترتب عنه استنزاف مزيدا من الموارد الطبيعية في الصناعة. وما يرتبط بها من تلوث. فضلا عن اختلال منظومة القيم والاتجاهات، واختلال البيئة الاجتماعية. على الرغم من أثر العوامل الاجتماعية في حدوث التلوث البيئي، إلا أن للعوامل الطبيعية دور كذلك في حدوث المشكلة البيئية، مثل الزلازل والبراكين وغيرها.

قائمة المراجع:

- ¹ عمر عبد المجيد النجار: قضايا البيئة من منظور إسلامي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الدوحة، قطر، ط ٩، ١٩٩٩.
- ² حسين عبد الحميد أحمد رشوان: البيئة والمجتمع، دراسة في علم اجتماع البيئة، المكتب الجامعي الحديث الأزاريطة، الإسكندرية، ٢٠٠٩.
- ³ إياد عاشور الطائي ومحسن عبد علي: التربية البيئية، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط ١، ٢٠٠١.
- ⁴ الموسوعة الإلكترونية ويكيبيديا، على الموقع <http://ar.wikipedia.org>، يوم ١٦/١٠/٢٠١٦، في ٢: ٠٨.
- ⁵ سامح الغرايبية، يحي الفرحان: المدخل إلى العلوم البيئية، دار الشروق للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٩.
- ⁶ راتب السعود: الإنسان والبيئة، دراسة في التربية البيئية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٩.

¹ زكرياء عبد الجواد: "تسونامي، جيروت الماء"، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، ع ٥٥١، أوت ٢٠٠٥، ص ٣٨.

- ^٧ (أيمن سليمان مزاهرة، علي فالج الشوابكة: البيئة والمجتمع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٣، ط٣).
- ^٨ (أحمد عروة: "فلسفة البيئة"، ترجمة اسماعيل العربي، مجلة الثقافة، وزارة الاعلام والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد ٣٢، مايو ١٩٧٧).
- ^٩ (فتحي دردار: البيئة في مواجهة التلوث، دار الأمل، الجزائر، ٢٠٠٢).
- ^{١٠} (أحمد حسين اللقاني، فارعة حسن محمد: التربية البيئية، واجب ومسؤولية، عالم الكتب، مصر، ط١٩٩٩).
- ^{١١} (رجاء وحيد الدويدري: البيئة مفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي، ط١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠).
- ^{١٢} (محمد زياب عبد الحفيظ: البيئة، حمايتها، تلوثها، مشاكلها، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٠).
- ^{١٣} (أحمد النكلاوي: أساليب حماية البيئة العربية من التلوث مدخل إنساني، جامعة نايف للعلوم الأمنية، ١٩٩٩).
- ^{١٤} (رشيد الحمد ومحمد صباريني: البيئة ومشكلاتها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد ٢٢ من سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أكتوبر ١٩٧٩).
- ^{١٥} (مريم أحمد مصطفى، إحسان حفطي: قضايا التنمية في الدول النامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٠).
- ^{١٦} (زكرياء عبد الجواد: "تسرونامي، جبروت الماء"، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، ل٥٥، أوك٢٠٠٠).

التغير الاجتماعي والثقافي في ظل تكنولوجيا الاتصال الحديثة

أ.كريمة قلاعة/جامعة قسنطينة²

ملخص:

تختص هذه الورقة البحثية بالتطرق إلى مسألة التغير الاجتماعي والثقافي الذي يطرأ على المجتمع بفعل تأثير تكنولوجيا الاتصال الحديثة، وما صاحبها من مخاطر للعولمة، والتي تمس جميع المستويات السياسية، الاقتصادية، الثقافية والاجتماعية، بما في ذلك التأثير على العلاقات الاجتماعية ما بين الأفراد، وكذا على القيم الدينية والثقافية للمجتمع ككل، من خلال ما يتلقاه الفرد من مضامين إلكترونية، وعلى إثر التفاعل والاندماج في مجتمعات عالمية لا تمتد بصلة للمجتمع الأصلي المحلي بكل جوانبه المختلفة.

مقدمة:

عملت وسائل الاتصال الجماهيري منذ نشأتها على لعب دور محوري في إحداث التغير داخل مختلف المجتمعات وهذا باعتبارها جزءا من النظام الاجتماعي الذي تعمل البنيات الأساسية فيه إلى جانب وسائل الإعلام ضمن علاقات صراع أو تكامل، وتزايد هذا الدور الهام مع تطور تكنولوجيا الاتصال الحديثة خاصة الإنترنت التي غيرت من شكل وطبيعة العلاقات الاجتماعية، وحتى من نمط الاتصال الإنساني، الذي كان يركز فيما مضى على الاتصال الشخصي بالدرجة الأولى، غير أن هذا الاتصال أصبح يعلب عليه الطابع الافتراضي تبعا لسيادة الإنترنت كوسيلة اتصالية حديثة، ناهيك عن حالة الاغتراب الاجتماعي والثقافي التي يعيشها الشباب الجزائري تحديدا كأكثر شريحة مستخدمة لتكنولوجيا الاتصال الحديثة التي وبالرغم من ايجابيتها من ناحية جعل الفرد يلم بكل ما يحيط به من مستجدات ومعارف بأيسر السبل وفي أقصر وقت ممكن، إلا أنها من ناحية أخرى عملت على التأثير على قيم وعادات المجتمع، وثقافته، خاصة في ظل العولمة التي تعتبر وسائل الاتصال الجماهيري-الإنترنت خاصة- من بين الأذرع الرئيسية لإيصال مضامينها.

فالبث الفضائي والإنترنت يقومون بدور بارز لامتلاكهما قدرة فريدة على توصيل الرسائل والأفكار، وقد تجلت هذه القدرة التأثيرية في إسهامها جنبا إلى جنب مع التنظيمات الاجتماعية في تغير أو ترسيخ أو تعديل القيم، والتقاليد والعادات الاجتماعية. هذا كله يجعلنا نطرح جملة من التساؤلات المتعلقة بهذا الموضوع والتي نجد من أبرزها: ما هي مظاهر تأثير وسائل الاتصال الجماهيري على ثقافة الأفراد وقيمهم؟ أو ما هي مظاهر التغير الاجتماعي والثقافي الحاصل بفعل وسائل الاتصال الجماهيري؟

ضبط بعض المفاهيم الأساسية:

مفهوم التغيير الاجتماعي:

يُعرف التغيير الاجتماعي بأنه التحول التلقائي أو المخطط الذي يطرأ على البنى التحتية والفوقية للمجتمع، إذ تتحول هذه من نمط بسيط إلى نمط معقد ومتشعب يتماشى مع طموحات النظام الاجتماعي وأهدافه، وهو كل تحول يحدث في النظم والأنساق، والأجهزة الاجتماعية، سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة خلال مدة زمنية محدودة.

ويعرف جونسون (Johnson) التغيير الاجتماعي بأنه: "ما هو إلا تغيير في بناء النظام الاجتماعي من حالة كان فيها ثابتا نسبيا، كما أن هذه التغييرات البنائية ناتجة في الأساس عن تغيرات وظيفية في البناء الاجتماعي، وصولا إلى بناء أكثر كفاءة وأكثر مقدرة على تحقيق الإنجازات، أو هو التحول الذي يقع في التنظيم الاجتماعي (social organization) سواء في تركيبته أو بنيانه".¹

الثقافة كمفهوم:

يعرف كلايد كلكهون (C.Kluchohn) الثقافة بأنها: "وسائل الحياة المختلفة الظاهر منها والضمني، كما العقلي واللاعقلي التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ التي توجد في وقت معين وتكون وسائل إرشاد توجه سلوك الأفراد في المجتمع". كما يقول إدوارد تابور: "الثقافة هي ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات والمواقف والقيم، وكل القدرات التي يكتسبها الإنسان كعضو في جماعة"، كما يصف غي روشيه الثقافة بأنها: "كيان مركب من أساليب التفكير والشعور والعمل وهي أساليب منظمة إلى حد أو آخر يعتنقها ويعمل بموجبها عدد من الأفراد، فتحولهم موضوعيا ورمزيا إلى جماعة موحدة ذات خصائص مشتركة".²

كما ينظر العلماء إلى الثقافة بكونها: نظاما متكاملًا من العناصر، وقد تعددت الآراء حول ماهية هذه العناصر وطبيعة العلاقة بينها، لكننا في هذا الصدد تقديمًا مفصلاً وواضحاً الهالم للباحث جونسون (Johnson) حيث حدد العناصر التي تشتمل عليها الثقافة في:

المعرفة: المعارف الموضوعية التي تتعلق بطبيعة المجتمع.

العقائد: أنماط الإيمان التي تتصل بالحياة.

القيم والمعايير: العناصر الثقافية التي تحدد اتجاهات الجماعة، والقيم هي أحكام تتعلق بالخير والشر، الجيد أو الحسن، وتحدد موقف الإنسان من الوسط الذي يعيش فيه.

الرموز الثقافية: العلاقات الرمزية بين أفراد المجتمع.

العادات والتقاليد: نظام من الأفعال الاجتماعية.³

¹ فلاح جابر الغرابي، وسائل الاتصال الحديثة ودورها في إحداث التغيير الاجتماعي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد 8، العدد 2، 2009.

² إلين دمعة، التفكك العائلي: بين القيم الثابتة والقيم والمتبدلة، مجلة إضافات، العدد 2، 2008، ص 287.

³ فايز محمد الحديدي، ثقافة تربوية: التربية مبادئ وأصول، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط 1، عمان-الأردن، 2007، ص 165.

علاقة الثقافة بالقيم:

إن القيم كمجموعة مبادئ وقواعد توجه التفاعل داخل المجتمع وتضبط سلوكياته، وهي عنصر رئيسي في الثقافة لأي مجتمع، وعلاقة الشباب بالقيم والثقافة تخضع لعملية التنشئة الثقافية، هذه الأخيرة التي تتشكل من عدة روافد من بينها:

- يعتبر الدين الرافد الأول للثقافة بحيث يدعم الثقافة بمجموعة من المبادئ والقيم والأفكار التي تضبط سلوكيات الإنسان، وتعطي هذه القيم النابعة من الدين إطاراً لإضفاء معنى على الحياة وتصور ينبغي أن يتسق معه التنظيم الاجتماعي الواقعي.

- يمثل التراث الرافد الثاني للثقافة التي تشير إلى الخبرة المتراكمة لدى الأجيال المتعاقبة، وتضم العادات والتقاليد والأعراف والقيم والهاوير المنحدرة من الماضي.

- يشكل التفاعل الاجتماعي الرافد الثالث للثقافة والتي على أساس قيمها ومعاييرها يتفاعل الأفراد في واقعهم.¹

تكنولوجيا الاتصال الحديثة والتحول في القيم والعلاقات:

لقد توالى التغيرات الاجتماعية والثقافية على المجتمعات في العقود القليلة الماضية وخاصة على المجتمعات العربية، ولعل من أبرز هذه التغيرات ظاهرة العولمة وما رافقها من ثورة معلوماتية، حيث أحدثت تغيراً في الاتجاهات الأحداث، والقيم الإنسانية، وجعلت العالم أكثر اندماجا، وساهمت في انتقال المفاهيم، القنوات، الأذواق فيما بين الثقافات والحضارات.

إن هذه التغيرات كان لها دور كبير في تغيير الثقافة الموروثة للمجتمعات، حيث نجد الدكتور عويدات يقول: "لقد ترتب على هذه الثورة المعلوماتية حدوث تغير اجتماعي متسارع في القيم والمعايير والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية، والانفتاح الإعلامي الثقافي بفضل وسائل الإعلام، وتقف الأسرة العربية حائرة ما بين الثقافة الموروثة، وبين الثقافة الغربية"، فمن المتفق عليه أن أي مجتمع إنساني له خصوصياته الاجتماعية بفضل تاريخه الاجتماعي، إلا أن العولمة تطمح إلى صياغة ثقافة كونية شاملة تغطي مختلف النشاط الإنساني، كما تعمل وسائل الاتصال على زيادة التفاعل² الثقافي على المستوى العالمي، إلا أن الدول التي تملك القدرات التكنولوجية سوف تملك القدرة على بث ونشر الرسائل الثقافية بكل ما فيها من قيم وقد تحمل في بعض الأحيان غزوا ثقافيا قد يهدد الخصوصيات الثقافية ومن مظاهر التغير نجد ضعف الروابط الأسرية والتواصل الأسري حيث تشهد الأسرة الجزائرية مزيداً من التفكك بسبب تراجع سلطة الوالدين في السيطرة على ضبط سلوك الأبناء. فالإفراط مثلاً في استخدام التكنولوجيات الحديثة قد خلق أوضاعاً غير صحية، إذ رغم إيجابيات التكنولوجيا الحديثة إلا أنها تستتوف عقول الشباب وتسطحها عبر تدمير الأسرة فلقد قللت من الاندماج العائلي، وقللت فرص الحوار بين الأب وابنه، والزوج وزوجته وأبعدت الناس بعضهم عن بعض فعلاقة الآباء بالأبناء وعلاقة الرجل بالمرأة كانت تُحدّد على أساس النظام الأبوي والذي يتمثل في هيمنة الرجل على المرأة وهيمنة الكبار على الصغار بما يعني توزيعاً هرمياً للسلطة على محوري الجنس والسن، وتمثل قيم الشرف والاحترام والجماعية والطاعة عناصر أساسية في هذا النظام وتتصل قيمة الشرف بسلوك الفرد ولكنها لا تقتصر عليه بل تمتد لتشمل العائلة كجماعة تتوحد فيها المسؤولية

¹ السيد بومعيرة، أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب: دراسة استطلاعية بمنطقة البلدية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، إشراف بلقاسم بن روان، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم علوم الإعلام والاتصال، 2005-2006، ص 185.

² لطيفة طبال، التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 8، جوان 2012، ص 418-419.

وبتمائل فيها الذات مع الجماعة، وعلى وجه التحديد تربط هذه القيمة سلوك المرأة بشرف الرجل، فهذه القيم تلاشت وتغيرت النظرة إلى المرأة من خلال وسائل الإعلام من أجل تسويق المنتوجات وجني الأرباح، وبالتالي انتشرت القيم الاجتماعية السلبية كحبّ التباهي والمظاهر والنظرة المادية للحياة، وربط الزواج بالمصالح والشخصية، وربط العلاقات الاجتماعية بالمصالح، كما تراجعت وتغيرت القيم الأصيلة في الأسرة العربية لتحل محلها قيم ذات صبغة نفعية برغماتية، وهذا ما أكدته الكثير من الدراسات العربية لدى الشباب حيث برزت قيم النفعية وقيم الربح والكسب وقيم الاستهلاك... الخ وتبعاً لهذا انتشرت الإنحرافات السلوكية والأخلاقية عند الشباب في المجتمع العربي.¹

يزداد هذا الأمر حدة مع تطور الشبكات التقنية، وخاصة تلك المتعلقة بنقل ومعالجة المعلومات، هذا ما أدى تدريجياً إلى التحول في العلاقات بين الشبكات الاجتماعية، وفضاءاتها الواقعية المرجعية، مما يؤدي إلى حدوث بعض الإنحرافات الاجتماعية كما قلنا سابقاً، والروح الانعزالية والانفرادية، الناتجة عن الانسلاخ عن المجموعات التقليدية الأسرية الجوارية، والاندماج في شبكات اجتماعية أكثر مرونة، تنوع وتعقيد وانفتاح وافتراضية، وأقل انضباطاً وحميمية، بحيث تشكل هذه الشبكات مدينة اصطناعية يطلق على روادها في الثقافة المعلوماتية بالشوبيكيين (Netizens) قياساً على المواطنين (Citizens)، وبالتالي أصبح هذا المجال فضاء عمومي جديد يحل محل الفضاءات التقليدية.²

كما أن ضعف العلاقات الودية يؤدي إلى إضعاف الضبط الاجتماعي التقليدي في المنطقة الحضرية وبالتالي تتغير كثير من القيم لدى الأفراد بمجرد انتقالهم من المدينة كما تكون هناك قطيعة مع التقاليد والذي يؤدي إلى عدم الاستقرار الثقافي والتعرض إلى المعايير الاجتماعية المتناقضة، ويهيئ توبي (Toby) بأنّ البلدان المصنعة والسائرة في طريق التصنيع تزداد فيها الهوة بين المراهقين والكبار، فالتوجهات والإرشادات الموجهة إلى الأبناء من قبل الوالدين والجندات تكون غير مجدية ولا يخضعون لها هذا كون الجيل الجديد معرض لتأثيرات جديدة تعكس معايير وقيم التضرر والتصنيع.³

وبهذا كله تراجع دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية وبانفصال الفرد عنها واغترابه عنها غابت القيم الأصيلة التي تعتبر العائلة مصدراً لها، وهنا نجد خمسة اتجاهات قيمية تتصل اتصالاً مباشراً بالحياة العائلية:

- الزواج نحو التشديد على العضوية لا على الاستقلال الفردي: يعامل الفرد في العائلة على أنه عضو لا فرد مستقل، وبذلك تتوحد هويته بهويتها ويشاركها أفراحها وأتراحها، ويكون مسؤولاً بالتالي عن تصرفاته.

- الزواج نحو الإتكالية والطاعة على حساب الاعتماد على الذات: العائلة البرجوازية وخاصة الموسرة على الإكثار من حماية الأبناء وتجنبيهم الأخطار، عكس أطفال القرى يكتشفون محيطهم دون وجل.

- الزواج نحو التمسك بالقيم نتيجة لضغوط خارجية صارمة، ويعود ذلك لأساليب التنشئة الاجتماعية خاصة عند التشديد على العقاب أكثر من الإقناع، ومثل هذه النزعة الإمتثال بحضور السلطة وعدم الإمتثال في غيابها، والمسايرة في العلاقات وجهاً لوجه.

- الزواج نحو فرض سيطرة الرجل على المرأة.⁴

¹ المرجع نفسه، ص ٤٢٠.

² فضيل دليو، التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال: المفهوم- الاستعمالات والآفاق، ط ١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٠، ص ١٥١.

³ لطيفة طبال، التغيير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية مرجع سبق ذكره، ص ٤٢٢.

⁴ حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١، ص ٣٢٦.

كل هذه المؤشرات بدأت تضمحل موازاة مع تأثير مضامين وسائل الإعلام وكذا الإنترنت على الأفراد في المجتمع.

تحويل الثقافة إلى سلعة (الصناعات الثقافية):

يأخذ اللُّم موقع الأولوية بالنسبة إلى الكيف في الثقافة الراهنة، وتحوّل الثقافة إلى سلعة مرجعها السوق والربح والعرض والطلب. بحيث أن الثقافة الاستهلاكية هي التي أصبحت مسيطرة على الوضع بأكمله، فالتسليع أخذ بعدا جديدا في زمن العولمة التي بفعلها ظهرت رأسمالية إعلامية جعلت من الإعلام مجالا للاستثمار المتنامي الذي يملك دورا فاعلا في الحياة الاجتماعية، السياسية والثقافية، تحت شعار "الاستهلاك في خدمة الإنتاج" فالسيطرة الإعلامية المتحررة من قيود كثيرة أدت إلى خلخلة المعايير السابقة وذلك لإنتاج مستهلك مطيع يحيل الأمور إلى الوعي الزائف أو على التشيؤ، فرأس المال القيمي قوامه المعاني التي تندرج نظريا في الحراك الثقافي والاجتماعي من وجهة نظر الصناعة الإعلامية والمشرفين عليها.¹

يقول الدكتور جلال أمين في هذا الصدد أن اتصال ثقافة بأخرى هو ظاهرة قديمة جدا قد ترجع إلى بداية التاريخ الإنساني نفسه، وعلى الرغم من اقتباس أو تأثر ثقافة بأخرى كانا دائما جزءا من جوهر التقدم الإنساني، فإن اقتباس هذا التأثير بالقهر والإجبار لا بد أن يسبب بالضرورة بعض الانخفاض في مستوى الرفاهية الإنسانية، فبصرف النظر عن القيمة الذاتية لأي عنصر من عناصر ثقافة أمة، إذا كان هذا التخلي لا يحدث طوعا وبصورة طبيعية وبحرية تامة، إن هناك من صور القهر الثقافي لا تختلف كثيرا عن صور القهر السياسي أو الاقتصادي أو المادي.

مثلا: اللغة العربية تجري إزاحتها تدريجيا من مكانها في الحياة اليومية لحساب اللغات الأوروبية سواء في الخطاب الشفوي أو المراسلات، أو وسائل الإعلام، بل وحتى كلغة للتعليم في المدارس والجامعات.²

فاللغة القومية لا بد أن تعاني بالتدريج من انتشار الاحتقار إزاءها وإزاء أشياء أخرى تقترب هذه اللغة: كالمدراس التي تستخدمها في التعليم، أو حتى السلع الاستهلاكية المكتوبة بأسماء عربية، نفس الملاحظات يمكن إبدائها على الموسيقى والأزياء العربية، والأنماط العربية في المعمار، في استهلاك الغذاء، الترفيه... إلخ. نفس الحالة نشهدها لدى الشباب في المجتمع الجزائري.

فهذا الإبتعاد عن استعمال اللغة العربية يرجع إلى استبدالها بلهجات عامية ولغات أوروبية واستخدامها على نطاق واسع من قبل الشباب في الفضاءات الإلكترونية، هذا ما أشار إليه الدكتور صادق رابح أيضا حينما قال أن " من الأشكال الأخرى التي تروج لها الوسائط الإعلامية نجد أيضا الاعتقاد الواسع في تراجع المهارات اللغوية للشباب، كما تتجلى فيما يطلق عليه البعض لغة النت التي تحيل إلى استخدام الاختصار والأرقام فيما يتعلق باللغة العربية، وعدم احترام قواعد الإملاء في التبادلات التي تتخذ من الحاسوب وسيلة أساسية، وقد دفعت هذه الممارسات إلى عودت الخطابات القديمة للكبار حول الخوف من تراجع الكفايات اللغوية للشباب، وسيادة السجل اللغوي العامي، واعتبار ذلك دليلا على التردّي اللغوي، فالكثير من الوسائط الإعلامية ترى أن لغة غرف الدردشة مثلا تهدد مصير "اللغة العربية" من خلال مزجها مع لغات أجنبية واستبدال أحرفها بالأرقام.³

¹ نھوند القادري عيسى، الإستثمار في الإعلام وتحديات المسؤولية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ٣٦٨.

² جلال أمين، العولمة وثقافة التنمية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠١، بيروت-لبنان، ص ١١٧.

³ الصادق رابح، الهوية الرقمية للشباب بين التمثلات الاجتماعية والتمثل الذاتي، مجلة إضافات، العدد ١٩، ٢٠١٢، ص ٩٥.

لم يتوقف الأمر فقط على اللغة العربية التي تعتبر جزء من الهوية والثقافة العربية بل امتدت الظاهرة إلى أكثر الأشياء تقديسا، ف شهر رمضان مثلا يجري تحويله عاما بعد عام إلى مناسبة للترويج الكثيف والحاد لمختلف السلع، وتسام في ذلك بقوة وسائل الإعلام. حيث يتزايد إخضاع المشاعر الدينية للاستغلال كوسيلة من وسائل لتوسيع السوق بل وحتى لترويج أكثر الأشياء بعدا عن الدين، بينما يجري المزج بين الدين والعري في البرامج التلفزيونية على نحو لا بد أن يكون منفرا للغاية لشرائح واسعة من المجتمع، فمشاعر العري يمكن أن تكون فعالة للفت الأنظار إلى السلعة وترويجها.¹

في خضم كل هذا أصبح المجتمع العربي مجتمعا مغتربا، كان يعيش في حالة من الإغتراب الاجتماعي في البداية لأنه لا يستطيع السيطرة على موارده ومصيره، ويتداعى من الداخل حتى يكاد يفقد صميمه، فلا يملك إرادة وهدفا وتسيطر عليه مؤسساته بدل أن يسيطر عليها، ويستعمل المواطن ليحقق مصالحه الخاصة أكثر مما يخدم هذا المواطن ويخدم مصالح الخاصة، وبعد سيطرة وسائل الاتصال الحديثة على هذا المجتمع المغرب حدث له تغريب من نوع آخر.²

حيث تشير العديد من الدراسات العلمية الحديثة إلى أن الإنترنت مثلا قد أسهمت في اغتراب قيم اجتماعية أصيلة لدى الشباب الجزائري مثل الإيثار والتعاون لتحل محلها قيم الأنانية والتنافس والنفعية، كما أصبحت القيم المادية هي المسيطرة على علاقات الأفراد مما يؤدي إلى انهيار العلاقات الاجتماعية، والتمرد على قيم المجتمع والأسرة، والشعور بعدم الانتماء والعجز عن التوافق مع النفس أو مع الآخرين، وقد يؤدي هذا إلى انسحاب الفرد من الأسرة أو المجتمع ككل.³ كل هذا مرده اللجوء إلى استخدام الهويات الافتراضية أو الرقمية في مواقع التواصل الاجتماعي مما يؤدي إلى المزج بين الاحتفاء والتخوف، وهو موقف متناقض يكشف عن مأزق أخلاقي يتمحور حول الطريقة المثلى للتعامل مع هذا النوع من الفضاءات الإلكترونية، كما أنه يتضمن نوعا من التجاور بين التقييمات الايجابية والسلبية.⁴

فمختلف الأبحاث العلمية تؤكد أن فئة الشباب هي الأكثر استخداما للإنترنت، وهذه الفئة بالذات هي التي تتميز بحب الضمير والإثارة والفضول، وهي الفئة التي تحاول التمرد على المجتمع وتبني الجديد ومحاولة التأقلم معه، بل في بعض الأحيان الانسلاخ مما هو موجود، والبحث عما يأتي من الغير، ومن جهة أخرى تعزز الإنترنت الثقافات الفرعية عند الشباب على حساب الثقافة السائدة،⁵ ولا يكون هذا إلا بتغير القيم والتصورات الذهنية لديهم بحيث تصبح تختلف عما كان موجودا لدى الأجيال السابقة.

خاتمة:

الأمم التي تطورت لم تتطور إلا باعتمادها على ثقافتها المحلية، ولم تتطور إلا لأنها مثلما استعانت بما وصلت إليه الدول الأوروبية المتطورة من علم ومعرفة مثلما استعانت أيضا باحتفاظها وتمسكها بقيمتها ومبادئها وخصوصياتها، هنا يطرح السؤال نفسه: لماذا نُصِر ك شعوب متخلفة على التمسك دائما بسلبيات الأشياء بدل الاستفادة من ايجابياتها وهنا الإجابة تتطلب إقامة مشاريع بحثية جديدة لربما تشفي فضولنا للتعرف على الواقع بأبعدياته الحقيقية، حيث يعز علينا ما

¹ جلال أمين، العولمة وثقافة التنمية العربية، مرجع سابق، ص 118.

² حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي، مرجع سابق، ص 448.

³ يعقوب يونس خليلي الأسطل، المشكلات الن فس اجتماعية والانحرافات السلوكية لدى المترددين على مراكز الإنترنت، رسالة ماجستير في علم النفس، الجامعة الإسلامية، غزة، 2011، ص 46.

⁴ الصادق رابح، الهوية الرقمية للشباب بين التمثلات الاجتماعية والتمثل الذاتي، مرجع سابق، ص 105.

⁵ إعداد ماجد بوشليبي، يوسف عيداوي، ثقافة الإنترنت وأثرها على الشباب، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2006، ص 53.

وصلنا إليه اليوم من تخل على القيم والمبادئ واتساع للهوة الثقافية بين شباب اليوم والجيل السابق، حتى بات هذا المجتمع منقسما غير محدد الهوية ولهذا توجب علينا أن نقوم مثلا بترشيد استخدام الإنترنت والعمل على أن نكون مستخدمين مثلا لهذه التقنية وليس فقط مجرد مستعملين لها، نعاني من تبعية ثقافية معرفية، وكذا تكنولوجياية، نفس الأمر مع شاشة التلفزيون التي عادت اليوم تعتمد على كل ما هو مستورد وإن اعتمدت على المحلي فهذا الشأن لا يختص إلا بما هو ترفيهي لا غير، كل هذا يتطلب منا إعادة النظر في الاستراتيجيات المعتمدة لاستغلال وسائل الاتصال الحديثة بشكل يخدم المجتمع وثقافته لا أن يهددها.

قائمة المراجع:

- ١- فلاح جابر الغرابي، وسائل الاتصال الحديثة ودورها في إحداث التغيير الاجتماعي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد ٨، العدد ٩، ٢٠٠٩.
- ٢- إلين دمعة، التفكك العائلي: بين القيم الثابتة والقيم والمتبدلة، مجلة إضافات، العدد ٨، ٢٠٠٩.
- ٣- فايز محمد الحديدي، ثقافة تربوية، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط١، عمان-الأردن، ٢٠٠٩.
- ٤- لطيفة طبال، التغيير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد ٨، جوان ٢٠١٢.
- ٥- حلیم بركات، المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩.
- ٦- نهوند القادري عيسى، الإستثمار في الإعلام وتحديات المسؤولية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- ٧- جلال أمين، العولمة وبقافة التنمية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٩، بيروت-لبنان.
- ٨- الصادق رايح، الهوية الرقمية للشباب بين التمثلات الاجتماعية والتمثل الذاتي، مجلة إضافات، العدد ٩، ٢٠١١.
- ٩- يعقوب يونس خليلي الأسطل، المشكلات النفس اجتماعية والانحرافات السلوكية لدى المترددين على مراكز الإنترنت، رسالة ماجستير في علم النفس، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٩.
- ١٠- ماجد بوشليبي، يوسف عيدابي، ثقافة الإنترنت وأثرها على الشباب، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٩.
- ١١- فضيل دليو، التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال: المفهوم-الاستعمالات والآفاق، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ٢٠٠٩.
- ١٢- السعيد بومعيزة، أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب: دراسة استطلاعية بمنطقة البلدية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، إشراف بلقاسم بن روان، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم علوم الإعلام والاتصال، ٢٠٠٩، ٢٠٠٩.

الجريد وثورة ١٨٦٤

أ.هزار بريرة/جامعة صفاقس، تونس

ملخص:

مثل البحث دراسة تاريخية اجتماعية لمنطقة الجريد أثناء ثورة ١٨٦٤، هذه الثورة التي تناولها العديد من المؤرخين والباحثين بالدرس من داخل تونس أو خارجها. لكن تميزت الثورة في الجريد بخصوصية اختلفت فيها عن بقية المناطق. فعوض أن تتركز جهود الأهالي في مواجهة السلطة وعمالها، دخلت في صراع عروشي امتد إلى المناطق والقبائل المجاورة. هذا الصراع الذي مثل نقطة ضعف استغلته الزاوية الرحمانية بنفطة والسلطة المركزية والسلطة المحلية للقضاء على الثورة وإجبار الثوار على الخضوع والاستكانة والانتقام منهم وإذلالهم.

الكلمات المفتاحية: ثورة ١٨٦٤ - البلاد التونسية - منطقة الجريد - الجباية - الصراع العروشي.

مقدمة:

مثلت الأعباء الاقتصادية والممارسات السياسية ضغطا كبيرا على الأهالي بالبلاد التونسية عموما ومنطقة الجريد خصوصا بوصفها منطقة فلاحية يعتمد إنتاجها على التمر. فقد اعتمدت السلطة الحسينية سياسة ضريبية مجحفة أثقلت كاهل أهالي الجريد وتركت الأمر لعمالها خاصة "علي الساسي" مما خلق "فوضى جبائية". سببت هذه الفوضى تدمير اجتماعي كبير، وتكونت قوى رافضة لدفع الضرائب، وهو ما خلق لا توازن وأزمة بين الأهالي والسلطة المحلية في كامل الجريد. وقد كانت هذه الأزمة بمثابة إرهابات لمواجهة السلطة المركزية، فكانت ثورة "علي بن غدهم" ١٨٦٤ التي قد شملت كامل المناطق بما فيه الجريد.

وفي خضم الصراع بين الأهالي والسلطة المحلية، انضم سكان الجريد إلى الثورة في محاولة للتخلص من تسلط ممثلي السلطة والضرائب المفروضة عليهم. لكن اتخذت الثورة في منطقة الجريد طابعا مخصوصا وهو ما سنتبينه في تحليلنا. فكيف تجلت الأزمة الاجتماعية والاقتصادية بين أهالي الجريد والسلطة المحلية؟ وما هو الطابع الذي ميز الثورة بالجريد؟ وما هي نتائج الثورة في الجريد فيما يخص العلاقة بين الأهالي فيما بينهم وبين الأهالي والسلطة؟

I- منظومة العلاقات الأهلية والإدارية بين أهالي الجريد والسلطة المحلية ١٨٦٤-١٨٦٤

١- تجليات الأزمة الاجتماعية والاقتصادية بالجريد وآليات الصراع الاجتماعي

بدأت بوادر العصيان والتمرد ببلدان الجريد منذ ١٨٦٤^١ بعد أن قامت السلطة الحسينية بإحصاء ثان، بعد إحصاء سنة ١٨٥٢، لأعداد النخيل والهدف من ذلك جمع الأموال على حساب أصحاب الملكية المتوسطة والضعيفة، فعارض أهالي

^١ ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج ٤، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٩، ص ٢١٨.

الجريد الترفيع في ضريبة القانون وامتنعوا عن أداءها بعد أن أضرت بهم، خاصة وأنّ الأشخاص المكلفين بإحصاء عدد النخيل ليست لهم أي معرفة ودراية بأنواع النخيل، وتبين ذلك في هذه المراسلة بتاريخ ٤ مارس ١٨٥٠ "....من كافة مشايخ الحامة وأعيانها، الخليفة عثمان بن بلقاسم والشيخ عباس والشيخ سعد والشيخ بلقاسم بن أحمد الذهبي وعبد الحفيظ بن محمد وصالح بن عمار ومحمد بن عثمان ومحمد بن يوسف ومحمد بن الحاج صالح وإبراهيم بن صالح وعمار بن علي وكافة أهل البلد... بلغنا أن خديمكم السيد محمد الأمير الاي ومن معه يعدّون سواني أهل توزر عددا يضر بالرعية كل الضرر وذلك أنه دخل سانية عد جميع ما فيها ولم يعرف بين ما يحمل ومالا يحمل ولا المريضة اليائسة من الحمل ولا غيرها مما لا نفع فيه ولا بين الأشجار الضعيفة ولا القوية وما يثمر وما لا يثمر وأن معه جماعة من أهل نفطة لم يتركهم لنظرهم في معرفة الأشجار الغير منتفع بها مما قام به مانع من موانع الحمل وهذه العادة يفوز بها صاحب الأشجار القوية الراوية بالماء...".¹

فقامت السلطة الحسينية، حتى لا تنتشر بوادر العصيان والتمرد بين أهالي الجريد، إلى تسليط عقوبة على الممتنعين عن أداء هذه الضريبة بدفع خطية تقدر بستة خراب² على كل عشرة ربات وفي حالة أنه واصل في عدم امتثاله فإن السلطة ترسل له قوة عسكرية تجبره على الدفع بترفيع من ستة خراب إلى نصف ريال³، وهو ما أدى بالعديد من السكان إلى الهروب إلى الجزائر، والبقية بيعت أملاكهم من واحات وبساتين لتسديد ديونهم، وخلص المشايخ والمكلفين بالإحصاء. فالسلطة الحسينية لم تعر أهالي الجريد أي اهتمام وطلبهم بالقانون لميزانية ١٨٦١⁴، والبقايا من المطالب السابقة فوصل قانون الجريد⁵ إلى ٧٣٣٢ ريالاً⁴. وفي سنة ١٨٦٦، طالبت السلطة بقانون⁶ ١٨٦٦ قبل أوانه لتغطية عجزا الميزانية التونسية، كما قامت أيضا ببيع العديد من الواحات والسواني وتضعيف القانون بدون أي مبرر على النخيل الذي أخفاه أصحابه، فأزداد خوف الأهالي لعجزهم، ففرّ الكثير منهم إلى منطقة الهمامة والفراشيش خوفا من العقاب بالسجن⁵، وعمد البعض الآخر إلى إهمال النخيل وعدم تلقينه بالذكر⁶.

وتأججت بوادر التمرد بالجريد سنة ١٨٦٦ خاصة عندما رفع محمد الصادق باي قيمة المجبي من ٣٦ إلى ٧٢ ريالاً، فقد لاقت الفرق المكلفة باستخلاص الضرائب الرفض فلم يكن بمقدور الأهالي دفع المطلوب أمام تزايد مطالب السلطة وتعدد ضرائبها. ويمكن أن نؤكد ذلك من خلال المراسلة التي بعثها أهل الجريد إلى الوزير الأكبر مصطفى خزندار بتاريخ ١٨٦٦⁷ يرفضون فيها دفع سنتين مع بعضهما ويطالبون بتطبيق القوانين التي تأمر بدفع قانون واحد في السنة: "....والحال أنه ليس لازم لنا إلا قانون واحد وهو القانون الواجب...".⁷

¹ (أ، و، ت)، السلسلة التاريخية، ٢٢٨م، ٩١، بتاريخ ١٨٥٩.

² الخامس (محمد بيرم)، القطر التونسي في صفة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، تحقيق الدكتور علي الشنوفي، بيت الحكمة، قرطاج، ١٩٨٩، ص ٢٤١.

³ التوري (محمد)، الجريد قبل انتصاب الحماية ١٨٤٠-١٨٨١، شهادة تعمق في البحث، تونس ١٩٨٧، ص ١٤٣.

⁴ (أ، و، ت)، السلسلة التاريخية، ص ٩٢، ٨٢م، ٢١، ميزانية ١٨٦٠-١٨٦١.

⁵ المصدر نفسه، ص ٢٠، ٢٣١م، ٩٧، بتاريخ ١٨٦٥.

⁶ المصدر نفسه، ص ٢٣٣، ٢١-٢٢، بتاريخ ١٨٦٨.

⁷ (أ، و، ت)، ص ٢٠، م ٢٢٩، و ٣٢. بتاريخ ١٨٦١.

وقد استعان الباي بفرقة متكونة من ٦٠٠ جندي من عسكر المسرّحين من الخدمة وجمع من الحوانب والصبايحية ومزارقية دريد والهمامة وجلّاص^١ لتجبرهم على دفع الضرائب^٢، ما دفع أهالي الجريد إلى بعث العديد من المراسلات والشكاوي للوزير الأكبر يلتمسون فيها الرحمة والرفق بالحال "... فنحن كافة أهل الجريد لا نقدر على أكثر ما علينا لا سيما في عامنا هذا الزمة فيه غلطنا بالأمطار فمرغوبنا من سيادتكم مكتوب بإزالة ما في خاطرنا ولا نطلب إلا قانون واحد وإلا تأمرنا بالحضور لديكم ونتكلم بحجتنا^٣. إلا أنّ ذلك لم يمنع السلطة الحسينية المتمثلة في قايد (أولاد معمر) وخليفة (الجريد) علي الساسي من أخذ كميات هامة من التمر الأحسن نوعا وخصصه لمرتبات دريد وغيرهم من المزارقة وأجبرت السكان على بيع أو رهن أملاكهم ومصوغهم للمرابين^٤.

ازدادت الأوضاع سوءا بالمنطقة مع تتالي الإغارات من قبائل الهمامة التي بسطت نفوذها على الجريد،^٥ وخربوا واحات قفصة بقطع النخيل والزيتين وجعلوا بعض واحاتها مرعى للأغنام^٦. كما حاصرت القبائل من الغرب المنطقة وعطلت المسالك نحو الجزائر^٧ وسبّب الوافدون الجزائريون في غلاء الأسعار وفي تأزم العيشة بالشراء "...فهؤلاء الوافدين بالغوا في اكتيال النعمة وفي ابتياع السمن والشحم والجلد، فارتفعت الأسعار إلى أقصى حد وانعدم وجود غالبا بالبلد واشتد الضيق عليهم من أجل ذلك وتعسر الحال..."^٨. وزادت الأوضاع تأزما بظهور صراعات بين أعيان المنطقة الذي استغلته السلطة الحسينية لتطويعهم لصالحها وردهم عن مطالبهم خاصة مطلب إلغاء القانون وتحويلهم إلى أداة تخدم مصالح الحكم الحسيني^٩. فدخلت السلطة الحسينية في أزمة والسبب الفساد وعجز الأهالي عن دفع الضرائب العديدة خاصة ضريبة الإعانة التي اجتهدها "علي الساسي" في إتمام خلاصها: "... فبعد طرح أجر المشايخ على الخلاص وطرح حصتهم وحصّة الخلفاء وأعضاء المجالس من الإعانة وطرح إعانة العشائر الراجعين لعشايرهم خارج البلدان كدريد والهمامة فإنه لم يبق شيء لإرساله لخزينة السلطة الحسينية"^{١٠} التي أصبح حالها "...كحال البقرة إذا حلب ضرعها حتى خرج الدم، فهي الآن ينز ضرعها بالدم..."^{١١}. وللخروج من هذه الأزمة عمدت السلطة الحسينية إلى تضييف قيمة المجبي من ٣٦ ريالا إلى ٧٢ ريالا في ٢ نوفمبر ١٨٦٣^{١٢}، ونزل هذا الخبر كالصاعقة على السكان إذ هو بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس واندلعت من وراءها بوادر العصيان والتمرد في كل أنحاء البلاد.

١ ابن أبي الضياف، نفس المصدر، ج٦، ص ٣٦.

٢ سلامة (البشير)، ثورة بن غداهم، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٧، ص ٣٦.

٣ المصدر نفسه.

٤ (أ، و، ت)، ص ١٨، م ٢٠٥، و ١٦٤٧٦. بتاريخ ١٨٦٢-١٨٦٣.

٥ المصدر نفسه، ص ١٤١، م ٥١٢، و ١٧٤٥٩. بتاريخ ١٨٦٣.

٦ النوري (محمد الطيب)، الجريد... نفس المرجع، ص ٢٤٢.

٧ (أ، و، ت)، ص ١٨٤، م ١٠٣٧، و ٢٨. بتاريخ ١٨٦٤.

٨ المصدر نفسه، ص ١٤١، م ٥١٢، و ١٧٤٩٨. بتاريخ ١٨٦٤.

٩ المصدر نفسه، و ١٧٤٥٢. بتاريخ ١٨٦٣.

١٠ المصدر نفسه، ص ٢٠، م ٢٢٩، و ٧٧. بتاريخ ١٨٦٢.

١١ ابن أبي الضياف، نفس المصدر، ج٥، ص ١١٣.

١٢ ابراهيم (جمعة)، الاقتصاد والمجتمع في الإيالة التونسية من ١٨٦١ إلى ١٨٦٤ من خلال محاضر الجنائيات والأحكام العرفية، كلية العلوم

الإنسانية والاجتماعية بتونس، ٢٠٠٢، ص ٣٢٢.

٢- أهالي الجريد وثورة ١٨٦٤:

ارتفعت أصوات كل من خير الدين التونسي والجنرال حسين التي أكدت أنّ البلاد في خطر فهي لن تتحمل أي عبئ ثقيل أو مشروع جديد، لكن رغم المعارضة فقد طَبّق مشروع خزندار^١ وارتفعت قيمة المجبي من ٣٦ إلى ٧٢ ريالاً في ٢ نوفمبر ١٨٦٦ مفصلة على النحو التالي: فئة دنيا تدفع ٣٦ ريالاً وفئة متوسطة تدفع الضعف وفئة ثرية تدفع ١٠٠ ريالاً، باستثناء أهالي العاصمة^٢. فاندلعت ثورة عارمة ما فتئت أن عمّت كامل البلاد بقيادة علي بن غداهم ما عدا العاصمة^٣.

بالنسبة للجريد وعند اندلاع ثورة ١٨٦٦ اتفقت جميع القبائل على عدم دفع الضريبة الجديدة فدخلت البلاد في اضطراب، فقبائل اشترت السلاح والبارود^٤ وأخرى اعترضت القوافل والمسافرين^٥. وأصبح الثوار يشنون الغارات ويفتكون ممتلكات العمال المخلوعين الذين اعتبروهم السبب في سلمهم أموالهم وتفقرهم لإرضاء السلطة الحسينية التي تمنحهم أهم المناصب، "... هذا المال الذي بأيدي هؤلاء أصله مالنا فهو في الحقيقة لنا..."^٦. ففي الجريد تعرض المملوك أحمد زروق إلى التهديد وتحذيره من قبل الهمامة بالموت في حالة تعاونه مع الباي خاصة وأنّ هذا الأخير كان عاجزاً عن مدّه بالحراسة المسلحة اللازمة^٧. كما تعرضت واحة خليفة توزر "بلقاسم بن عثمان" إلى التعدي وأُتلف عدد هام من نخيله، وتعرض أخوه إلى إصابة في فخذه^٨. أما في الوديان فلم يتمكن الخليفة من السيطرة على الوضع كما تعرض شيوخها إلى الضرب وإجبارهم عن التنجى عن مناصبهم، وتعدّ أهالي سدادة بالجريد على شيخهم وافتكوا له أملاكه وقاموا بطرده من دياره، وقاموا بقطع نخيل واحته وبيعه^٩.

تأزمت العلاقة بين الأعيان وأهالي الجريد ولم تعد الرعية تشتكي من السياسة التي اتبعتها السلطة الحسينية، فكانوا ينادون "يحيا الباي بدون إعانة"، بقدر ما أصبحت توجه أصابع الاتهام إلى الأعيان وخاصة القياد وتحملهم ما حصل، وهو ما يظهر جلياً في المراسلة التي وجهها أهالي قفصة إلى محمد الصادق باي فيها "... إن اشتكيننا لم تقبل شكوتنا وإن بكينا لم يرحموا بكاءنا ولم يحنوا على فقيرنا وضعيفنا، القايد والعالم والقاضي والشاهد... فإن تكلم منا أحد وشكى ألم الضرر عوقب على ذلك عقوبة شديدة وحبسوه ونهبوا ما عنده... فلم يقدر أحد رفع أمره لسلطان..."^{١٠}.

أثار هذا الوضع مخاوف الأعيان والعمال فبعثوا بالعديد بالمراسلات إلى محمد الصادق باي، كما فعل مشايخ الوديان "... في الجريد كله... الناس معملة على الشر والحرب والحقوق ضاعت ونحن مشغولين إلا في تهدئة البلاد وقطع درك السفهاء على بعضهم بعضاً هذا الشيء لا نطيقوه ولا نعيشوا فيه ولا بقينا ناكلوا ولا نشربوا من شر هذا العام..."^{١١}.

^١ سلامة (البشير)، ثورة...، نفس المرجع، ص ٤٨.

^٢ ابراهيم (جمعة)، الاقتصاد...، نفس المرجع، ص ٣٢٤.

^٣ علي بن غداهم، ولد سنة ١٨١٤ وتوفي سنة ١٨٦٨، من قبيلة ماجر، لقب بباي الشعب وكان عمره ٥٠ عاماً عند اندلاع الثورة.

^٤ ابن أبي الضياف، نفس المصدر، ج ٥، ص ١٢٠.

^٥ سلامة (البشير)، نفس المرجع، ص ٥٥.

^٦ ابن أبي الضياف، نفس المصدر، ج ٥، ص ١٢٣.

^٧ سلامة (البشير)، نفس المرجع، ص ٥٥.

^٨ (أ، و، ت)، ص ١٨٤، م ١٠٣٧، و ٤١ بتاريخ ١٨٦٤.

^٩ المصدر نفسه، م ١٠٣٥، و ٥٠. بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٨٦٤.

^{١٠} النوري (محمد الطيب)، الجريد...، نفس المرجع، ص ٣٧-٣٨.

^{١١} (أ، و، ت)، ص ١٨٤، م ١٠٣٥، و ٥٠. بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٨٦٤.

انطلقت مظاهر العصيان في الجريد بداية ضد الأعيان الممثلين لسلطة الحسينية إلا أنها ما فتئت أن أخذت طابعا جريديا مخصوصا، فقد تحولت إلى صراع قبلي وتصفية حسابات بين العروش. وأكبر مثال الصراع الذي حصل بتوزر بين عرش الزبدة المتحالف والمؤيد للسلطة وبين أولاد الهادف أصحاب النفوذ السابقين^١ (١٨٤٢ و ١٨٤٣) والذي كان زعيمهم "الهادف بن بلقاسم بن علي بن محمد بن نصر بن كعب" والذي امتد نفوذهم من القرن السادس عشر إلى أواسط القرن التاسع عشر^١ عندما حدّت السلطة الحسينية من نفوذهم لشعورها بالخوف، محمّلين عرش الزبدة مسؤولية ما حصل لهم، فكان الصراع الدموي بتوزر.

فضم صف أولاد الهادف عرش أولاد الهادف وزاوية سيدي عبيد وأولاد بويحي وبلد الحضر، أما صف الزبدة فقد ضم أهالي الزبدة ومسغونة والهبيلة وهم ليس بأصلي المنطقة ولا يربطهم رابط دموي^٢. وكان لهم قدرة كبيرة في منطقة الجريد أكثر من الباي نفسه^٣.

ووقعت فتنة كبيرة قرب البركة بالجر بين العرشين، "... وفي اليوم الموالي استنجد أهالي الزبدة بأهالي دقاش وأهالي مسغونة بالهامة، قام أهل دقاش بحرق بعض المواقع في زاوية صحراوي بتوزر، أما في اليوم الثالث اشتبك الفريقين بالبارود والرصاص والسيوف فمات سبعة من الزبدة إضافة إلى عدد من الجرحى ومات من أهل دقاش أربعة وجرح إحدى عشر رجلا...^٤ فعمت الفوضى وأصر صف الزبدة على قطع الماء على واحات أولاد الهادف لتسوء وضعيتهم مما زاد في تعمق الأزمة.

كما نشب خلاف بين أهالي الشابية بين "أحمد بن عمار الشابي" شيخ بيت الشريعة وأخوه "محمد بن عمار الشابي" الذي امتنع مع أناس من الشابية عن دفع مال الإعانة فبعث الشيخ بمراسلة إلى مصطفى خزندار فيها، "... قدم لنا أمركم المطاع الواجب له الانقياد والأتباع في الإعانة في اقتضاء نظركم اثنان وسبعون على كل نفر فلما جمعتمهم وقرأت عليهم الأمر قام أخونا ومن معه... وجسروا عني وسبوني وشتمونني وصاروا يفسدون في الزاوية ويقولون لا نعطوا السابقة ولا اللاحقة..."^٥. فعمت بذلك الفوضى ببلد الجريد خاصة توزر ودخل الأعيان في صراع مع الأهالي مثل المفتي الثاني بتوزر السيد "سليمان بن عمار بن قدور العبيدي" الذي سرق طابعه في خضم هذه الفوضى فقام علي الساسي ببعث مراسلة إلى وزير العمالة رستم، فيها "... قد ضاع طابعه ولازال يبحث عنه ونودي في البلاد عليه فلم يوجد وله بينة تشهد له بذلك، يطلب من جانبكم الرفيع تذكرة في تجديد طابع له..."^٦.

عموما عرفت منطقة الجريد عدة صراعات كانت في البداية ضد نظام جبائي جائر ما فتئ أن تحول إلى صراع داخلي وتصفية حسابات بين العروش مازالت أثاره متواصلة إلى اليوم خاصة بين العرشين الزبدة وأولاد الهادف حيث "...أن الفرقين وقع منهما التعدي ولا أحد منهم مسلم الآخر وأنهم على ساق بحيث كل منهم يدعي القوة فلما أن وقع ذلك اجتمعت أهل نفطة لدينا، وأشرنا عليهم على أن تذهب أناسا لتوزر عسة... عسى أن تطفى هاته الفتن..."^٧. كما استنجد الوزير الأكبر بالشيخ مصطفى بن عزوز شيخ زاوية الطريقة الرحمانية بنفطة لإخماد الثورة بتوزر التي تحولت إلى فتنة عظيمة مات فيها

¹ Abdelhamid (H) « Mémoire d'origine d'un lignage dominant & le pouvoir local a 53 Tozeur (XVI-milieu XIX siècle) », Mélange offerts a M. Talbi, pub de fac de Manouba, 1993, p 125-148.

^٢ النوري (محمد الطيب)، الجريد... نفس المرجع، ص ٢٣٧.

³ Dakhila(Jocelyne), L'oubli de la cité la mémoire collective a l'épreuve du lignage dans le jerid Tunisien, paris 1990.

^٤ (أ، و، ت)، ص ١٨٤، م ١٠٣٧، و ٦٥. بتاريخ ١٨٦٤.

^٥ المصدر نفسه، م ١٠٣٤، و ٢٢. بتاريخ ٢٠ أوت ١٨٦٤.

^٦ المصدر نفسه، ص ٢٠، م ٢٣٠، و ٥٠. بتاريخ ١٢ ماي ١٨٦٤.

^٧ المصدر نفسه، ص ١٨٤، م ١٠٣٧، و ٤٨. بتاريخ ١٨٦٤.

ما يقارب الثلاثين فردا وحوالي أو ما يزيد على الخمسين جريحا^١ وقام أيضا بتهدئة قفصة التي تحالفت مع أهالي الجريد ضد السلطة الحسينية^٢.

٣- الزاوية الرحمانية بنقطة ودورها في إخماد الثورة:

لعبت الزوايا دورا هاما في خضم أحداث ثورة علي بن غداهم خاصة وقد جعلت السلطة السياسية لنفسها نفوذا مباشرا على الزوايا^٣، فهي التي تنشئ الزوايا وتعيّن وكلاءها وتفرض احترام الأهالي لها وأصبح "لشيوخ الطرق والزوايا تأثيرا كبيرا في نفوس السكان"^٤.

في ما يخص الجريد فقد لعبت الطريقة الرحمانية بنقطة وشيخها مصطفى بن عزوز دورا كبيرا في إخماد الثورة ومحاولة التوسط بين الباي والثوار وقد عبّر ابن أبي الضياف عن ذلك: "ولم يزل الحال في اضطراب وشدة إلى أن قدم من الجريد بركة القطر المشار إليه بالبنان، المتدرج في مقامات العرفان، الولي المالك المحب لعباد الله، شيخ الطريقة الرحمانية، أبو النخبة الشيخ مصطفى بن عزوز، واجتمع بعلي بن غداهم ووجه جموعه، وقد مسّهم نصب الممل، بعد أن أخذ لهم الأمان من الباي، واستوبق منه بالعهد والأيمان، وقرأ للباي قوله تعالى: (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إنّ الله يعلم ما تفعلون). ثم قال لهم: لا جواب لكم عند الله تعالى على إراقة دماء المسلمين وقد أعطاكم الباي الأمان على يد أمير المحلة وخفف عنكم أكثر ممّا يظن إلى غير ذلك ممّا تفضل عليكم خشية إراقة الدماء. وقال لعلي بن غداهم أنت لست بقائم تطلب ملكا، وزعمت أنك جامع عصابة شاكية لكف عادية جهّالها، وقد زال السبب فلا بد إن يزول المسبب، وقد عطلتم الناس في ابتغاء رزقهم..."^٥.

وقد توجه مصطفى بن عزوز في مساعيه للحد من الصراع إلى جميع القبائل الثائرة ونقل لهم خطاب السلطة والباي الذي وعدهم بالأمان وإسقاط الأعداء المضاف وكان له ما أراد في تحقيق الأمان بين السلطان والرعية والحد من إراقة الدماء. لكن لم تخرج الزاوية الرحمانية وزعيمها عن المؤلف والخضوع للسلطة والانصياع لأوامرها، فلم تكن رحلة ومساعي مصطفى بن عزوز نابعة من نفسه بل تنفذ أوامر الوزير مصطفى خزندار الذي بعث له: "... فإننا نتحقّق أنّه بلغكم ما وقع من التحليل في الأماكن التي لم تعتبر مصالحتها، ولم تسع في مرضاة أمر الله تعالى بطاعته. ومن المعلوم أنّ السعي في إرشاد هؤلاء لما فيه نفعهم، سبب من الأسباب المثمرة للخير. ولذلك كاتبنا جنابكم الأفضل تحريضا له على ما نعلمه من رغبتكم في الإصلاح ومثابرتكم على الإرشاد، ونودّ أن يعتني جنابكم بالتوجه لجهة سببيلة لإيقاظ هؤلاء الذين غفلوا عن ما أمرهم الله تعالى به، وتحذيرهم عاقبة ما اكتسبوه ليتداركوا أنفسهم قبل أن يحلّ بهم ما لا يستطيعون دفعه. فإنّ مولانا أيده الله تعالى عامله أولا بحنانه المعروف لرعيته فأسقط عنهم مال الإعانة ما زاد على^٦، وجلس بالمحكمة لتلقي شكاياتهم وفصلها وخيرهم بين أن يرفعوها للشرع العزيز أو لحضرته أو للعامل أو للمجلس، وبذلك لم يبق لهم عذرا يستندون إليه. فإذا انشرح صدوركم للتوجه للجهة المذكورة فإننا نتحقق بحول الله تعالى تيسير الخير لأعراب تلك الجهة،

^١ المصدر نفسه، م ١٠٣٥، و ٧٣، بتاريخ ٣-جويلية ١٨٦٤.

^٢ التليلي (العجيلي)، "دور بعض المشائخ الطرق الصوفية في فشل ثورة علي بن غداهم"، I.B.L.A، عدد ١٧١، ١٩٩٣، ص ١٢٢.

^٣ المرجع نفسه، ص ١١٥.

^٤ المحجوبي (علي)، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تعريب عمر بن ضو خليفة قرقوري وعلي المحجوبي، دار سرس للنشر، الطبعة الثالثة، فيفري

٢٠٠٦، ص ١٤.

^٥ ابن أبي الضياف، نفس المصدر، ج ٥، ص ١٩٢.

ونرجو لهم الرشيد بهديكم وبركتكم. وتعلم أنّ مولانا أيّده الله تعالى، يسره وقوع ذلك على يدكم. وتترقب ورود كتابكم الشافي ببيان ما ترجح عندكم. والله يشرح لما فيه الخير صدركم، ويرفع، لدى أولي الذكر ذكركم. والسلام¹.

وكان رد شيخ الزاوية الرحمانية : " لقد حيرنا ما وقع من حركة أهل العمالة الإفريقية ... و إني عازم على اثر هذا الكتاب بالمسير لإفريقية لإرشاد خلق الله لما في هصلاحهم ونفعهم الدينوي والأخروي"². وقد تعدى الأمر حاجز علاقة الوصاية إلى التواطؤ، فقد سلم مصطفى عزوز عديد الثائرين أو العصاة إلى السلطة فذكر جون قانيج "بالبرغم من الأمان الذي منحه الباي للعصاة فإن أحدهم وهو ابن دحر قد سلمه أحد مشايخ الزاوية بتوزر للباي (وهو الشيخ مصطفى بن عزوز) فالقي به في سجن ضيق ونال ألف ضربة"³.

كما كافأت السلطة هذا الشيخ ببعض الأراضي، مثلا أمر الوزير رستم سنة ١٨٦٦، قايد الجريد بشراء بعض البساتين في توزر بمبلغ ١٩٩٩ ريال وإهدائها إلى مصطفى بن عزوز ليصبح من كبار الملاكين بالجريد⁴.

إجمالا لعبت الزوايا وزعمائها دور مهما في فعاليات ثورة ١٨٦٦، وقد أخذنا مثلا الطريقة الرحمانية بنقطة وزعيمها مصطفى عزوز، الذي تظاهر بالسماحة والحياد في وساطته بين الباي والثوار وواقعا كان وسيطا لا شريفا ولا محايدا منفذا أوامر السلطة، فحفز العباد على الخضوع معتمدا على سلطانه المعنوي زاوية مروجا لصك الغفران الممنوح من الباي مستشهدا بالقرآن والنتيجة خيانة الأمانة وغدر السلطة بالثوار وحصل عزوز وزاويته على مكافأة بعد استتباب الأمن ومسك الباي وحاشيته بزمام الأمور.

II- الجريد بعد الثورة إلى أواخر ١٨٦٦ :

استرجعت السلطة الحسينية نفوذها على المناطق التونسية الثائرة ونددت بأفعال الثائرين الذين تصدوا للإصلاحات التي لم تدم سوى ثلاث سنوات امتدت من أفريل ١٨٦٦ إلى أفريل ١٨٦٦ ورفعوا شعارات كفانا دستورا، كفانا ممالك، كفانا مجبي⁵، فقام محمد الصادق باي بإلغاء العمل بالمجلس الأكبر ومجلس التحقيق ومجلس الجنايات والأحكام العرفية بكامل المناطق يوم ٢١ أفريل ١٨٦٦ ماعدا الحاضرة ورجع الحكم حسب العادة وعرف الأسلاف⁶ كما وقع إلغاء الدستور في ٣٠ أفريل ١٨٦٦⁷ فجمع الباي السلط بين يديه والمحكمة حسب أهوائه بدعوى حالة الاضطراب للمحافظة على أمن البلاد ومصالحها فأطلق العنان لأعدائه للقيام بحركة انتقامية واسعة⁸ تمثلت في سجن وافتكاك أملاك الأهالي.

¹ البشروش (توفيق)، ربيع العريان: أضواء عن أسباب ثورة علي بن غداهم سنة ١٨٦٤، وثائق من الأرشيف الوطني التونسي، حققها وقدمها توفيق البشروش، بيت الحكمة، ١٩٩١، ص ٢١٠.

² التليلي (العجيلي)، "دور"، نفس المرجع، ص ١١٨.

³ غانيج (جان)، ثورة علي بن غداهم، ترجمة لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، تونس ١٩٦٥، ص ٥٧.

⁴ التليلي (العجيلي)، "دور"، نفس المرجع، ص ١١٤.

⁵ إبراهيم (جمعة)، الاقتصاد... نفس المرجع، ص ٣١٢.

⁶ ابن أبي الضياف، نفس المصدر، ج ٥، ص ١٣٣.

⁷ سلامة (البشير)، نفس المرجع، ص ٢٧.

⁸ النوري (محمد الطيب)، الجريد... نفس المرجع، ص ٢٢٧.

١- زجريا:

سجنت السلطة الحسينية كل من كان له دور ثوري أو امتنع عن أداء الضرائب أو حرّض على أي عصيان أو تمرد وشمل ذلك عددا من الشيوخ والأعيان^١ ولم يكن سجنهم مرتبطا بمدّة معينة بل هو عبارة عن إيقاف لمدة غير محددة^٢. وتعرض المساجين إلى أضرار بدنية ونفسية نتيجة ربطهم بالسلاسل^٣ وسجنهم في أماكن لا تتوفر فيها أي شروط صحية مثل سجن قفصة، ضيق قليل التهوية، كثير الأوساخ^٤ وهو ما انجر عنه اضطرابات صحية ونفسية أدت أحيانا إلى الجنون^٥. فقد عمدت إلى القوة والانتقام، وتبين ذلك من خلال المراسلة التي بعث بها علي باي إلى مصطفى خزندار "...أننا قيدنا جميع من كانت يده مغموسة في الفتنة وله في الفساد... ولم نطلب منهم أحد الآن عاملين على أنه لما تتم الخدمة أن شاء الله نتمكن عليهم جملة واحدة ونظهر لهم ما عندنا من الغضب..."^٦. كما قامت السلطة بحجز والاستيلاء على أملاكهم ومنازلهم وحتى الأمتعة التي كانت فيها^٧. واستغل بعض وجهاء المنطقة هذه الظروف للضغط على أهالي الجريد رغم الصعوبات الاقتصادية التي يعيشونها على بيع واحاتهم أو والاقتراض من المرابين لسداد ديونهم. سبب ذلك غضب الأهالي الذين كثفوا الشكاوى والمراسلات إلى الوزير الأكبر ضد علي الساسي وممارساته ضدهم خاصة سرقتهم ونهبهم، مثلا وجه أحمد الغانمي الهذلي إلى الوزير خير الدين شكاية بعلي الساسي الذي رام "... إفتكاك فرسه من غير موجب وعرقل نعمته عليه حتى يسلمه الفرسة"^٨. أيضا قدّم أحمد النفطي شكوى إلى الوزارة بعلي الساسي يدعي أنه قد اخذ منه ٤٠٠ ريال. كما قدّم البخاري التوزري شكاية بعلي الساسي الذي استولى على سانيته وسجنه، فدافع القايد على نفسه بأنّ هذا الشخص قد رهن سانيته لدى المرابي "قرباط" ولما عجز عن دفع دينه المحدد ب٩ أشهر، باعه إياها "قرباط" ب٢ ألف ريال، وأكد بأنه "...خدمها وغرس جانبها وافرا دقلة وبردقان وعمل لها حايطا محيطا بجميعها وبنى لها بابا وزريبة وبنى بها مقعدا وصرف على الجميع مبلغا وافرا مع ما دفع في ثمنها"^٩. وتالت تجاوزات العمال من الأهالي ومن الأعيان المنافسين وصلت إلى حدّ التشفي مستغلة لا مبالاة السلطة المركزية ورغبتها في الانتقام من منائهم.

٢- اجتماعيا واقتصاديا:

أثناء الثورة نشبت بين الأهالي نزاعات كبيرة^{١٠} عكست هشاشة العلاقات بين العروش الجريدية خاصة منها توزر التي عانت من عدة صراعات بين صف الزبدة وصف أولاد الهادف والتي تواصلت حتى بعد أن استقرت الأوضاع لسيطرة السلطة

١ التايب (منصف)، "النخب والحرب: دراسة في التراتب الاجتماعي والاحتجاج السياسي في الساحل التونسي أثناء أزمة ١٨٦٤"، كتاب من البيزاكوم إلى الساحل مسيرة منطقة تونسية عبر العصور، منشورات كلية الآداب بسوسة، ١٩٩٩، ص ١١٣.

٢ Larguche(A), Les ombres de la ville : Pauvres, marginaux et minoritaires de Tunis (XVIIIe et XIXe siècle), centre de publication universitaire 2002, p205.

٣ (أ، و، ت)، ص ١٧٨، ٩٥٨م، ١٩. بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٨٦٤.

٤ إبراهيم (جمعة)، الاقتصاد... نفس المرجع، ص ٢٩٧.

٥ الحناشي (عبد اللطيف)، المراقبة والمعاقبة بالبلاد التونسية، الإبعاد السياسي أنموذجا ١٨٨١-١٩٥٥، في جدلية الاضطهاد والمقاومة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفافس، مارس ٢٠٠٣، ص ٥٨.

٦ (أ، و، ت)، ص ١٧٨، ٩٥٨م، ١٩. بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٨٦٤.

٧ المصدر نفسه، ص ٢٠، ٢٣٠م، ٧٧. بتاريخ ١٨٦٥.

٨ المصدر نفسه، ص ٣١، ٣٦٩م، ٣٦٦٦٧. بتاريخ ١٨٦٥-١٨٦٦.

٩ المصدر نفسه، ص ٥٣، ٥٨٠م، ٦٥٧٩٧. بتاريخ ١٨٦٥-١٨٦٦.

¹⁰ Chater (K), la Mehlla des Zarouk au Sahel 1864, Tunis, 1978, p171.

الحسينية. ولم تبحث السلطة عن حل لهذه الأزمة في بلاد الجريد بل في الواقع كانت سببا في تأجيج الصراعات الداخلية وبث العديد من النعرات¹ حتى تشغلهم عن مطالبهم بالإعفاء من المجبي أو مجرد التذمر من تصرفات السلطة. تفاقمت الأزمة بين الصفيين أولاد الهادف والزبدة والتي لا زالت أثارها السلبية عالقة بأذهان الأهالي إلى اليوم، فمن خلال المراسلة الموجهة من محمد بن عبد الرحمان من أهالي توزر إلى علي الساسي "... المؤكد به عليكم أن تسعى في خروج المخزن للفرقين ويكون عاجلا غير أجل ويكون غاصب ليحكم في هؤلاء وتبذل عليه جهدك لأنه إذا لم يقدم من جانب الدولة ما يودع الناس فإنّ توزر تخلى، ونخشوا على غيرها من هذا الأمر ... وأنّ الفرقيين ناطحين على أنفسهم لا أحد مسلم لصاحبه، الحاصل أدركوا هذا الأمر قبل فوات الأوان..."².

اشتد الصراع بين الصفيين مما زاد في مخاوف الأهالي والأعيان الذين تناسوا ركضهم نحو احتلال المناصب الهامة. وأخذ هذا التنافر توسعا كبيرا شمل كامل بلاد الجريد، ففي مراسلة بعث بها أحد أهالي توزر إلى علي الساسي بتاريخ ١٨٦٦ يذكر فيها: "... أنه بلغنا أنّ أولاد بويحي قدمت ومعهم البعض من أهل تمغزة والوديان تحركت نفوس بينهما كل مع فريق ومتوافقين والظاهر نفاوة يتوقع بها إن تم هذا الأمر بين توزر في بعضها ربما تقدم عشائر الهمامة فيتقوى الحال أكثر..."³.

وتوسعت مخاوف العديد من الأهالي من تدخل القبائل المجاورة ووقوفها بجانب أحد الصفيين، فقد بعث أعيان الزبدة وأعيان مسغونة بتوزر للوزير الأكبر مصطفى خزندار بتاريخ ١٨٦٦ مراسلة كتبوا فيها: "تداركوا بلكم بما أمكن وخطبوا الهمامة ليكفوا سهامهم علينا، المرغوب من فضلكم سيدنا تعجل لنا ما ينفعنا بما أمكن بالعجل قبل فوات الأوان..."⁴. لذلك حلّ أهل نفطة بقصر العافية ودخلوا لدار القايد في محاولة لتوضيح ضرورة تدخل السلطة لفض هذا النزاع.

ورغم المطالبات والمساعي إلا أنّ الصراع تفشّى إلى القبائل المجاورة، فقد استنجد خمسون نفرا من خماسة الزبدة وذريتهم بدقاش للاحتماء "...خوفا من الفتنة التي حصلت في توزر⁵، وقام أولاد الهادف بمعاينة أهالي دقاش بدعوى وقوفهم إلى جانب أهالي الزبدة، وعملوا على التحريض وبث الخلافات وهو ما أدى إلى نشوب بعض الصراعات بين أهل كيريز والزرقان ضد أهالي دقاش⁶. كما لعب الهمامة دورا فاعلا في مواصلة نشوب الصراعات على الوغم من أنها في فترة ما كانت من أنصار السلطة الحسينية، فقد أكد خليفة الوديان الطاهر بن الحاج أحمد أنّ "... أولاد يحي من الهمامة نزلوا ببلد سدادة واتفقوا مع بعض أهل الوديان وصاروا يفسدون في السواني ويضرون في النخيل"⁷.

أخذت الثورة في هذه المنطقة طابعا مخصصا، فقد ساهمت أساسا في إبراز الخلافات العروشية وتأجيجها في شكل صراعات كانت في بعض الأحيان دامية، وعمدت السلطة إلى التفاوض وإرجاء حل النزاعات التي لعبت فيه قبائل الهمامة دورا هاما، ففي بعض الأحيان نجدها موالية للسلطة وأحيانا أخرى مساندة لبعض فرق الجريد. كما عملت السلطة

¹ Salama (B), Insurrection et répression dans la Tunisie du XIX ème siècle : la Mehlla des Zarouk au Sahel 1864, Tunis, 1978, p103.

² (أ، و، ت)، ص ١٨٤، م ١٠٣٧، و ٦٥. بتاريخ ١٨٦٥.

³ (أ، و، ت)، ص ١٨٤، م ١٠٣٧، و ٦٥. بتاريخ ١٨٦٥.

⁴ المصدر نفسه، م ١٠٣٨، و ٣. بتاريخ ١٨٦٥.

⁵ المصدر نفسه، و ١٣. بتاريخ ١٨٦٥.

⁶ المصدر نفسه، م ١٠٣٨، و ١٣. بتاريخ ١٨٦٥.

⁷ المصدر نفسه.

الحسينية على الانتقام من أهالي الجريد وعمدت إلى إذلالهم إذ ذكر العديد من الأهالي بأن السلطة الحسينية قامت في عديد من المرات باقتلاع عدد هام من النخيل وهو ما سبّب لهم ألم وأدى بهم "...إلى طلب الصفح ويعبرون من جديد عن ولائهم وعودتهم إلى طاعة حكام المركز...".¹ واسترجعت نفوذها بمناطق الجريد مثلها مثل بقية المناطق الأخرى، ففي ١٥ ديسمبر ١٨٦٤ سافر باي الأمحال أمير الأمراء "أبو الحسن علي باي" بمحلة الجريد التي كان فيها نحو الستة آلاف من عسكر "مسرّحين من الخدمة" وجمع من الحوانب والصبايحية ومزارقية ودرجي والهمامة وجلاص² فسلطوا على أهالي الجريد ضرائب مجحفة منها القانون الذي وصلت قيمته في سنة ١٨٦٥ إلى حوالي ٧٠٠٠ ريال³ بالإضافة إلى عدة خطايا لتكون قيمة الأموال المقتطعة من أهالي الجريد إلى أكثر من ١٩٠٠٠ ريال⁴. كذلك، اثر ثورة ١٨٦٦، سلّطت السلطة الحسينية على أهالي الجريد عقابا لمشاركتهم في الثورة ومساندتهم للثوار أخذ شكل خطايا متفاوتة القيمة و ذلك "لخضد شوكتهم وكبح عصيائهم"⁵ عن التمرد من جديد.

وعادت المحلّة تحمل في طياتها العديد من الأبعاد، فقد اتخذت سير المحلّة بعد الثورة بعدا رمزيا تمثل في إيصال رسالة إلى الأهالي بأنّ السلطة الحسينية حافظت على مكانتها وهي الحاكم الشرعي الوحيد للدولة ولازال لها القوة العسكرية التي تقدر على قهر أيّ محاولة للتمرد والعصيان. وأيضا لها بعدا ماليا واقتصاديا، فيمكن اعتبار الثورة قد ساهمت في تعميق الأزمة المالية التي تعيشها البلاد وكلفتها خسائر جمة وليس لها سببلا للتعويض سوى بالحصول على الضرائب من الأهالي بالقوّة، فالتجأ البعض إلى الحدود الجزائرية والبعض الآخر التجأ إلى الزوايا، لأنه "...كل خائف أو مطلوب إذا التجأ إلى زاوية أو ضريح من أضرحة الأولياء كفّ عنه الطلب ورفعت السلطة يدها عنه، فلا يجرؤ أحد على اقتحام المقام وإمساك الملتجئ إليه..."⁶.

ورغم إذعان وخضوع أهالي الجريد من جديد والشروع في خلاص ما عليهم، إلا أنّ القايد علي الساسي دائم التذمر من تجاوزات يمارسها عديد الأهالي، فبعث بمراسلة إلى الوزير الأكبر يعلمه فيها أن أنفار خمسة من توزر وهم: الحاج محمد النوري، صالح بن حسن، محمد علي، أحمد الصيد، محمد بن عمار،...الجميع أقارب الحاج خليل بن الشاذلي من عشيرته، أورد فيها: "فانه لما حللنا ببلد توزر وجدناهم قد بذلوا غاية جهدهم في الفساد وفي تحريك أسباب الشر بشهادة أعيانها وفقا لمغربهم على ذلك وهو الحاج خليل... ولما كثر منهم السعي في الفساد وخشي خليفة المكان تفاقم الأمور وجه إليهم مشايخ البلد وأعيانه ليرجعونهم عن سوء فعلهم ويحذرونهم ... ولما بلغوا إليهم قابلوهم بالفضاضة والطغيان وفتكوا في الصراخ عليهم بالبارود والرصاص وتمادى أولئك الأنفار على سوء فعلهم وأغاروا بعض سفهاء عشيرتهم على بعض سواني المكان..."⁷.

¹ عيسى (لطفي)، "الزاوية والمخزن في بلاد الجريد مقارنة لعلاقة الدولة بالأنساق الموازية لها"، إبلا، عدد ١٧٨، ١٩٩٦، ص ٤٥.

² ابن أبي الضياف، نفس المصدر، ج ٦، ص ٣٥-٣٦.

³ (أ، و، ت)، ص ٥٥، ٥٩٢م، و ٦٦٧٠٦٠. بتاريخ ١٨٦٤-١٨٦٥.

⁴ (أ، و، ت)، توزر دفتر عدد ١٧٥٤، نفطة دفتر عدد ١٧٢٢، الوديان دفتر عدد ١٨٤٢. بتاريخ ما بين ١٨٤٠-١٨٧٠.

⁵ ابن أبي الضياف، نفس المصدر، ج ٥، ص ١٣١.

⁶ حمودة الغزي (الهادي)، الأدب التونسي في العهد الحسيني (١٧٠٥٨-١٨٨١)، الدار التونسية للنشر ١٩٧٢، تونس، ص ٨٦.

⁷ (أ، و، ت)، ص ٢٠، ٢٣٠م، و ٢٢٠. بتاريخ ١٨٦٥-١٨٦٦.

وكتب في عمر عجيب وهو من أعيان الدولة: "... وعمر عجيب من خدام الدولة... كان السبب في تحريك الشر في توزر العام الفارط ولم يؤدي مصروف المحلة وقت المحلة المنصورة والآن جعلت عليه ستين ألف ريال من مصروف المحلة...".¹

دفعت تصرفات "علي الساسي" مع الفئات الاجتماعية الضعيفة إلى زيادة سخط أهالي الجريد وجعلته عرضة لحركة انتقامية، فحاولت بعض عروش الهامة القصاص منه.² كما رفع خلفاؤه ومشايخ وأعيان الجريد بعلي "الساسبي" عدة شكاوي وأعلموا السلطة بأنه قد استخلص منهم مال "الخدمة"³ ومال ضيفة القايد⁴ ومال الخطايا التي قدرت سنويا بـ ١٠٥.٢١٨ ريال في سنين ١٨٦٥ و١٨٦٥.⁵

لعب علي الساسبي دورا هاما في منطقة الجريد خلال الفترة المدروسة باستغلاله للمناصب التي ترأسها خاصة مع مساندة السلطة الحسينية له، فعلى الرغم من أنه كان أصيل منطقة الجريد تحديدا من نطقة إلا أنه تفانى في استخلاص الضرائب المجحفة المسلطة على الأهالي خاصة الفئات الضعيفة منهم حيث "...لم يكن يترك الخلاص بوجه ولم يسمع اعتذار في هذا الشأن...".⁶ وهو ما دفع بالوضع إلى التأزم وبدأت بوادر التمرد من جديد، فقام الهامة بمحاصرة الجريد وهو ما نتبئنه في هذه المراسلة التي بعث بها عامل الجريد "علي الساسبي" إلى "مصطفى خزندار" فيها: "... لما بلغت للجريد وشرعت في الخلاص لم يتركوا الهامة أحد من العريان يقدم للجريد لاكتيال التمر لا من دريد ولا من ماجر ولا من الفراشيش... وصرت نخلص شيئا فشيئا والحال أن التمر لم يبع منه إلا الدقلة...".⁷

كما تبين المراسلة التي بعث بها علي الساسبي إلى وزير العمالة فيها "...أن الأعراب النازلين حول توزر... تشوقت نفوسهم إلى مد أيديهم في نهب التمر فاستعملنا الحزم التام بمراجعتهم بالسياسة حتى حلنا بينهم وبين نهب التمر... أن الأعراب بالغوا الآن في الإضرار بالسواني المجذوذ تمرها وفي اذابة خماستها بتجريدهم من ثيابهم وفي أخذ ما يوجد في الغابة من الحيوان المباح الأكل وغيره بالسرقة والخلسة واشتكوا الناس أذاهم وحصل لهم الضرر... أن تأذنوا لنا في ترحيلهم من المكان وإبعادهم عنا بالقهر والغلبة وأن مدوا أيديهم نراجعوهم ولو بالضرب فلنا القدرة على ترحيلهم".⁸

على الرغم من تمكن السلطة الحسينية من بسط نفوذها من جديد على كامل منطقة الجريد فإن ذلك لم يمنع من بروز عدة قبائل رافضة لكل مظاهر القهر والحرمان والإذلال خاصة وأن الجريد أغنى منطقة فلاحية في الجنوب الغربي التونسي بتمورها وسوانها. ومثلت ثورة ١٨٦٦ بداية توازن الضعف بين السلطة والأهالي وهو ما مهد الطريق لفرنسا لدخول تونس

¹ المصدر نفسه، و٦٤.

² المصدر نفسه، ص٢٠، م٢٣٠، و٤٣. بتاريخ ١٨٦٥-١٨٦٦.

³ قظوم (سليم)، قظوم (سليم)، قياد البلاد التونسية ١٨٦٥-١٩٣٧، دراسة لنيل الدكتوراه في لتاريخ المعاصر، تحت إشراف الأستاذ الهادي التيمومي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ١٩٩٩-٢٠٠٠، ص٩١.

⁴ تسمية على المال الذي يقتطعه الشيوخ من كل منطقة حسب القدرة المالية والتي تختلف من سنة إلى أخرى و يقدمونه إلى القياد في شكل قيمة مالية أوفي شكل قيمة رمزية مثل البرانس وأحرمة وبقرا وماعزا وابللا وكمية من التمور.

⁵ قظوم (سليم)، نفس المرجع، ص٨٩-٩١.

⁶ (أ، و، ت)، ص٢٠، م٢٣٢، و٢٢ بتاريخ ١٨٦٧.

⁷ المصدر نفسه، م٢٣١، و١٦٦. بتاريخ ١٨ ماي ١٨٦٦.

⁸ المصدر نفسه، م٢٣٠ و٨٣. بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٨٦٥.

من جهة الجزائر سنة ١٨٨٨ بدعوى انعدام الأمن في المملكة وعدم قدرة الباي على فرض سلطانه والتحكم في القبائل التي هدّدت أمن الجزائر الفرنسية.

خاتمة:

تأزمت الأوضاع في جهة الجريد في ظل انشغال السلطة الحسينية بنهب سكانه من خلال فرض الضرائب المجحفة معتمدة على الأعيان الممثلين في علي الساسي الذي كان مدعوما من قبل الوزير الأكبر مصطفى خزندار مما ولد بوادر العصيان والتمرد لدى أهالي الجريد الذين رفضوا تقديم القانون في سنة ١٨٦٦ وأيضا في سنة ١٨٦٦ لأن الأهالي ليس لهم القدرة على دفع قانونين معا وذلك لتغطية العجز الحاصل في الخزينة المركزية نتيجة سياسة التبذير التي توخاها الوزراء. وبدأ هذا الرفض ينتشر بين الأهالي ليتدعم خاصة مع ارتفاع قيمة المجبي (الإعانة) من ٣٦ إلى ٧٢ ريال ليصل الأمر إلى العصيان خاصة مع ثورة علي بن غدام التي ساندها أهالي الجريد في البداية، لكن سرعان ما تحوّل مسارها إلى صراع داخلي عروشي بين صف أولاد الهادف وصف الزبدة. هذا الصراع الذي كان له الأثر السلبي في حياة أهالي الجريد، فإلى الآن مازالت نتائجه راسخة في الأذهان. هذا الصراع الحاد بين العرشين أدى إلى تحول حتى في البنية وذلك بإنشاء جداران تفصل بين العرشين بل انتقل الصراع حتى إلى المناطق المجاورة بل تعدى إلى قبائل الهمامة. هذا الصراع الذي استغلته السلطة المركزية لإعادة بسط نفوذها على المنطقة والانتقام من مناوئها ودفع العديد منهم إلى الهروب للجزائر أو الاحتماء بالزوايا. هذا الصراع الذي استغلته الزاوية الرومانية بنقطة في شيخها مصطفى بن عزوز لإخماد الثورة وتقديم مناوئها هدية للباي.

قائمة المراجع:

• الأرشيف الوطني التونسي:

- السلسلة التاريخية

١ - صندوق ١٨، ملف ٢٠٥، بتاريخ ١٨٦٦-١٨٦٧.

٢ - ص ٢، م ٤٣، ١٨٦٦.

٣ - ص ٢، م ٢٣، بتاريخ ١٨٦٦.

٤ - ص ٢، م ٢٣، بتاريخ ١٨٦٦.

٥ - ص ٢، م ٢٣، بتاريخ ١٨٦٦.

٦ - ص ٢، م ٢٢، بتاريخ ١٨٦٦.

٧ - ص ٣١، م ٣٦، بتاريخ ١٨٦٦-١٨٦٧.

٨ - ص ٥٣، م ٥٨، بتاريخ ١٨٦٦-١٨٦٧.

٩ - ص ٥٥، م ٥٩، بتاريخ ١٨٦٥-١٨٦٦.

١٠ - ص ٩٢، م ٢٢، بتاريخ ١٨٥٩.

١١ - ص ٩٢، م ٨، ميزانية ١٨٦٦-١٨٦٧.

١٢ ص ١٤، ٥١٢، بتاريخ ١٨٦٦.

١٣ ص ١٧، ٩٥٨، بتاريخ ديسمبر ١٨٦٦.

١٤ ص ١٨، ١٠٣٧، بتاريخ ١٨٦٦.

١٥ ص ١٨، ١٠٣٥، بتاريخ ١٨٦٦.

١٦ ص ١٨، ١٠٣٦، بتاريخ ١٨٦٤.

١٧ ص ١٨، ١٠٣٨، بتاريخ ١٨٦٦.

- الدفاتر:

١- توزر دفتر عدد ١٧٥٥. بين ١٨٧٦ و ١٨٤٤.

٢- نفطة دفتر عدد ١٧٢٢. بين ١٨٧٦ و ١٨٤٤.

٣- الوديان دفتر عدد ١٨٤٤. بين ١٨٧٦ و ١٨٤٤.

• المراجع بالعربية:

١- إبراهيم (جمعة)، الاقتصاد والمجتمع في الإيالة التونسية من ١٨٦٦ إلى ١٨٦٦ من خلال محاضر الجنايات والأحكام العرفية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، ٢٠٠٠.

٢- ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٩.

٣- الطيب (منصف)، "النخب والحرب: دراسة في التراتب الاجتماعي والاحتجاج السياسي في الساحل التونسي أثناء أزمة ١٨٦٤"، كتاب من البيزاكوم إلى الساحل مسيرة منطقة تونسية عبر العصور، منشورات كلية الآداب بسوسة، ١٩٩٩.

٤- التليلي (العجيلي)، "دور بعض المشائخ الطرق الصوفية في فشل ثورة علي بن غزاهم"، I.B.L.A، عدد ١٩٩، ٢٧.

٥- حمودة الغزي (الهادي)، الأدب التونسي في العهد الحسيني (١٨٨٧-١٨٨٧)، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٧، تونس.

٦- الحناشي (عبد اللطيف)، المراقبة والمعاقبة بالبلاد التونسية، الإبعاد السياسي أنموذجاً ١٩٥٨، ١٩٥٨، في جدلية الاضطهاد والمقاومة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاس، مارس ٢٠٠٠.

٧- الخامس (محمد بيرم)، القطر التونسي في صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، تحقيق الدكتور علي الشنوفي، بيت الحكمة، قرطاج ١٩٨٨.

٨- سلامة (البشير)، ثورة بن غزاهم، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٦.

٩- عيسى (لطفي)، "الزاوية والمخزن في بلاد الجريد مقارنة لعلاقة الدولة بالأنساق الموازية لها"، إبلا، عدد ١٩٩، ٦٧.

١٠- غانيج (جان)، ثورة علي بن غزاهم، ترجمة لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، تونس ١٩٦٦.

- ١١- قظوم (سليم)، قياد البلاد التونسية ١٩٣٧/٨٦، دراسة لنيل الدكتوراه في لتاريخ المعاصر، تحت إشراف الأستاذ الهادي التيمومي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ١٩٩٩/٢٠٠١.
- ١٢- المحجوبي (علي)، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تعريب عمر بن ضو خليفة قرقوري وعلي المحجوبي، دار سرس للنشر، الطبعة الثالثة، فيفري ٢٠٠٠.
- ١٣- النوري (محمد)، الجريد قبل انتصاب الحماية ١٨٨١/٨، شهادة تعمق في البحث، تونس ١٩٨٨.

• المراجع باللغة الفرنسية:

- 1- Abdelhamid (H) « Mémoire d'origine d'un lignage dominant & le pouvoir local a 53 Tozeur (XVI-milieu XIX siècle) », Mélanges offerts a M. Talbi, pub de fac de Manouba, 1993.
- 2- Larguche(A), Les ombres de la ville : Pauvres, marginaux et minoritaires de Tunis (XVIIIe et XIXe siècle), centre de publication universitaire 2002.
- 3- Chater (K), la Mehlla des Zarouk au Sahel 1864, Tunis, 1978.
- 4- Dakhila (Jocelyne), L'oubli de la cité la mémoire collective a l'épreuve du lignage dans le jerid Tunisien, paris 1990.
- 5- Salama (B), Insurrection et répression dans la Tunisie du XIX ème siècle : la Mehlla des Zarouk au Sahel 1864, Tunis, 1978.

المخيل بين العقل، الإيديولوجيا والتاريخ

د. عميرات محمد أمين/جامعة تلمسان

ملخص:

دراسة المخيل بين العقل، الإيديولوجيا والتاريخ هو محاولة لتحطيم ذاك الجدار بين الخطاب الإيديولوجي للحركات الإسلامية وبين الحقيقة التاريخية والعقائدية والثقافية للمجتمعات الإسلامية بهدف الكشف عن الملامح التي تطال المخيل الموروث من خلال ما يتعرض له من توظيفات إيديولوجية وسياسية لاتنظر إلى الإسلام كدين أو كإراث فكري وإنما إلى عمل الإيديولوجيات التي تحرك المخيل الاجتماعي وتغذيه .

الكلمات المفتاحية: المخيل - الإيديولوجيا - التاريخ - التراث - العقل.

مقدمة:

يهتم المخيل بفعل التأويل مما يعيشه الإنسان في علاقته بذاته أو مما يعيشه في علاقته بالآخر عبارة عن مخزن من الصور والتمثيلات والرموز والحكايات والأساطير التي تشكلت تاريخيا في الذاكرة الجماعية أو في الذهن كنتيجة لعملية التأويل التي تحاول بها جماعة ما رسم واقعها الداخلي أو واقعها مع الآخر، تعددت أشكال المخيل باختلاف بنية الحامل الاجتماعي والوظائف الإيديولوجية المنوطة به، فنجد أنه يظهر كردة فعل، أو يلعب دور الموجه في اللحظات الاجتماعية أو اللحظات التاريخية العصبية التي تمر بها الجماعة، ويمكن للفاعلين الاجتماعيين تسخير المخيل قصد التعامل مع أي وضع يمر به الحامل الاجتماعي بما يتلاءم وأهدافهم، من هنا تتجلى أهمية البعد المخيالي في الكشف عن الدور الذي يلعبه المخيل في تحريك عجلة التاريخ وفي تشكيل الذاكرة الجماعية مما يمكن من استغلاله إيديولوجيا في اللحظات التاريخية الحاسمة، في حين يمكن مفهوم المخيل من الوقوف عند أهمية البعد الخيالي والأسطوري في تحريك المسار التاريخي وتجييش الجماهير لتحقيق الأهداف الدنيوية والإيديولوجية، من هذا المنطلق نقول: لماذا تظهر الروح المشتركة بين الجماعات معبرة عن الفرحة أو الألم أو الرغبة أو الرفض كنوع من التفاعل مع الأوضاع أو أي حدث؟

المخيل والعقل في الثقافة الإسلامية:

"غالبا ما تعرض المخيل للاحتقار لصالح تضخيم ملحوظ لدور العقل في تاريخ الثقافة الإسلامية، وقد حصل ذلك بالأساس نتيجة التضامن الحاصل بين الثقافة الحضرية العالمية من جهة والدول المركزية المرتبطة بالكتابة والخط الأثوثوكسي

المهيمن من جهة أخرى: بل حتى "المضامين الخرافية" والقصص الشعبية التي اهتم بها الكتاب القدامى كثيرا وجمعوها في كتب التأريخ والتفسير والسيرة والتراجم، كان العقل الفيولولوجي والتاريخي قد كشف مواقعها بدقة وحذفها"¹

من هنا ركز محمد أركون في مشروعه فقد العقل الإسلامي على ضرورة القيام بدراسات للأدب الشعبية (الجماعات البربرية مثلا) وهذا على ضوء المعطيات الجديدة التي تمدنا بها الألسنيات والايثولوجيا وعلم الاجتماع والتاريخ وهذا من أجل رد الاعتبار للعقل "الشفهي" الذي طالما همش من طرف الفعل "الكتابي" الغاية من ذلك التوصل إلى تفهم الدور الذي تلعبه التركيبات الأسطورية والخرافات والشعوذات والسحر في تكوين الذات التاريخية للجماعة.

وما اهتمام محمد أركون بالبعد الأسطوري والمجازي إلى تدعيم ترسانته المفاهيمية لمقارنته في مشروعه وهذا لمفهوم المخيال الذي هو: "عبارة عن شبكة من الصور التي تستثار في أي لحظة بشكل الاواعي وكنوع من رد فعل بل يوجد متخيل (مخيال) كاثوليكي ضد البروتستانت أو بروتوتستانت ضد الكاثوليك أو شيوعي ضد السنة أو سني ضد الشيعة... كل فئة تشكل صورة محددة عن الفئة الأخرى وترسخ هذه الصورة بمرور الزمن في الوعي الجماعي."²

في هذا السياق تتيح لنا الأنتروبولوجيا المعاصرة فرصة التحدث عن معرفة أسطورية وهو ما لا يفهمه أناس العصور الوسطى فالفكر الإسلامي لا يزال في نظر محمد أركون بعيدا عن مفهوم الأسطورة بالمعنى الحديث، فهو يفهمها بمعناها القديم المكرس في اللغة العربية، معنى الخرافات والأباطيل، ما يجب أن يشار إليه هنا أن البعد الأسطوري أو الخيالي هو أحد الأبعاد الأساسية المكونة للشخص البشري والثقافة البشرية بالإضافة إلى البعد العقلاني.

"فالعلاقة غير مفصولة بين العقلي والمخيالي داخل عملية الإنتاج الفكري في الثقافة الإسلامية، هذه العملية التي لا يمكن فصلها عن الأطر الاجتماعية والتاريخية التي تنتج داخلها، فكل فئة أو جماعة تسعى من منظورها إلى تثبيت أنظمة رمزية وثقافية من أجل ترسيخ وجودها وتدعيم ركائزها، هكذا فقد سعى الاسلام "السني" عبر التاريخ إلى التركيز على مفهوم الإسلام "العقلاني" و"الشرعي" البعيد عن كل التركيبات الخيالية مما يوضح التنافس القديم بين الخيالي والعقلاني في الفكر الإسلامي ويدعو أركون من جهته إلى البحث عن التاريخية العميقة والمنشأ القديم لهذا التنافس، من هذا المنطلق تساءل أركون عن الأسباب التي أدت إلى فشل ابن رشد كمثل للعقلانية في الوسط الإسلامي ونجاحه بالمقابل في الوسط اللاتيني المسيحي. كما يتساءل من جهة أخرى عن الأسباب التي أدت إلى ازدهار الخيال الخلف لابن عربي في المشرق الشيوعي على وجه الخصوص وفي المغرب الإسلامي أيضا."³

من هنا نجد مجموعة من الأحكام المسبقة والمرسخة تتحكم في نظرة المؤمن إلى الكون والإنسان والمجتمع وهي تملأ الوعاء المخيالي لديه ولا أحد يسلم من تأثير هذه الأحكام مادام منخرطا بكليته في هذه العوالم المخيالية التي تحدد التصور العام لأفراد الجماعة.

"إن المخيال يمثل وعاء يستقبل بكل سلبية صور الواقع على الهيئة التي كانت تجربة الجماعات قد أنجزتها انطلاقا من تاريخها وطريقة اندماجها في وسطها المادي والفيزيائي"⁴.

¹ - محمد الشببة، مفهوم المخيال عند محمد أركون، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى ٢٠١٤، ص ٥٥.

² - محمد أركون، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ دار الساقي، ط١، ١٩٩٣ ص ١٢.

³ - محمد الشببة، مفهوم المخيال عند محمد أركون، المرجع السابق ص ٥٧.

⁴ - محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي بيروت ط١ ١٩٨٦ - ص ٨٠.

محاولة محمد أركون في دراسته للمخيال هي تقديم تفسير وتحليل وفهم للآلية الوظيفية التي يتمتع بها هذا المفهوم في قدرته على تحريك العواطف وتجديدها في المنعطقات التاريخية الكبرى التي تعرفها المجتمعات الإسلامية محاولا تكسير تلك الازدواجية الوهمية بين الإسلام والغرب والتي ترتب عنها وجود مخيال غربي تجاه الإسلام ومخيال إسلامي تجاه الغرب وهذين الخياليين غالبا ما يقدمان صورة سلبية عن الإسلام كدين سماوي ناجمة عن تراكمات يحكمها منظور خاطئ لعلاقة الدين بالمجتمع والتاريخ.

"سوف يستمر الناس في هذا الخط ما دامت الإشكالية النفسية واللغوية والأنثروبولوجية الخاصة بالمخيال لم تفرض نفسها بعد على مراقبي الإسلام وشارحيه بالأمس واليوم".¹

في سياق تحليلي لمكونات ووظائف المخيال نجد محمد أركون يركز على العناصر التالية:

١- الكشف عن الأسس التي تشترك فيها الأصولية في كل مجتمعات الكتاب: اليهودية والمسيحية والإسلامية من خلال تقصي الأصول الثقافية والنفسية واللغوية التي تركز عليها هذه الأصوليات.

٢- التركيز بشكل خاص على الأصول التي تقدم عناصر خصبة لتغذية المخيال الإسلامي والتي يمكن تقسيمها إلى مصدرين:
أ- الظاهرة القرآنية أو ما يسمى بالوحي، بالإضافة إلى الخطاب النبوي.

ب- الوقائع التاريخية، والأشخاص والرموز التي تشغل مكانة هامة في الذاكرة الجماعية للمسلمين.

٣- دراسة محمد أركون للمخيال الإسلامي حطمت ذاك الجدار الذي يوضع بين الخطاب النضالي والإيديولوجي للحركات الإسلامية والذي يستمد شرعيته من ماض يضي عليه ستار القداسة في الحقل الديني أو العلمية الحتمية في المجال السياسي، وبين الحقيقة التاريخية والعقائدية والثقافية للمجتمعات الإسلامية لكشف التلاعبات التي تطال المخيال الموروث من خلال ما يتعرض له من توظيفات إيديولوجية وسياسية يجسد هذا المخيال الموروث في المخيال الديني الإسلامي الذي يرى فيه مالك شبيل.

ما يمكن استنتاجه كخلاصة في نقاط أساسية أهمها:

- إن الحديث عن انفصال العقلي بالمخيالي داخل عملية الإنتاج الفكري الإسلامي هو من المستحيلات.

- لا يمكن للعقل أن يمارس دوره بشكل مستقل فهو يمارس دوره على علاقة بالمخيال.

- نلاحظ تنافس بين البعدين العقلاني والمخيالي.

"لا ينبغي تعريفه بمحتواه، بل من الأفضل تعريفه بمشروعه الذي يتمثل في فكرة التوحيد التي لا تنفك آيات القرآن عن التذكير بها: وبعبارة أخرى فالمخيال الديني في المجتمع العربي الإسلامي يهدف في المقام الأول إلى مراقبة معالم الوجدانية وتعزيزها".²

¹ - محمد أركون، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ المرجع السابق، ص ١٤٠.

² - مالك شبيل، المخيال العربي الإسلامي، المنشورات الجامعية الفرنسية بباريس ١٩٩٣ ص ١٧٦.

٣ المخيال الاجتماعي والإيديولوجيا:

المعرفي والإيديولوجي مقولاتان في نظرية المعرفة "فلا توجد معرفة بلا إطار، وكل محاولات الفلاسفة وضع نظرية مطلقة في المعرفة خارج الزمان والمكان تظل محدودة بالإطار الاجتماعي للمعرفة، فالمعرفة ليست مجرد إدراك الذات العارفة لموضوع المعرفة لأن الذات نفسها ليست أداة صماء بل هي كائن اجتماعي، وهي ليست مجرد أدوات مستقبلية للإدراك الحبسي أو التصور العقلي، بل تتضمن أيضا مجموعة من الأحاسيس والمشاعر تحركها الغرائز والدوافع والميول الداخلية والاتجاهات والمصالح الخارجية وينطبق ذلك على نظرية المعرفة في ذاتها كموضوع لعلم اجتماع المعرفة قبل أن تطبق في هذا الميدان أو ذلك أو في هذه الحضارة أو الفترة التاريخية أو تلك، في الفكر العربي المعاصر أو الفكر الإسلامي القديم. وهو ما جعل بعض الفلاسفة والاجتماعيين يقولون بنسبية المعرفة وتوقفها على أطرها الاجتماعية، فكل معرفة هي بالضرورة في إطار والعلاقة بين الذات والموضوع في موقف عملي قبل أن يكون موقفا نظريا، وهو ما كشف عنه قشته في "نظرية العلم" وموضوعها الحرية وليست الحقيقة: "الآن تضع نفسها حين تقاوم"¹.

الواقع لدينا مغطى بمعارف سابقة تمنع وجود نظرية جديدة في المعرفة أو حتى التشكيك في المعارف القديمة، لا تنشأ نظرية في المعرفة إلا في واقع عام عن المعارف السابقة بعد التشكيك فيها والاعتماد على وسائل جديدة في المعرفة مثل الحس والعقل والوجدان وليس على الوسائل القديمة في النقل عن القدماء وسلطة النص والمعارف الموروثة فالعلم مفهوم ولا تساؤل حوله.

ومن هنا نجد أن "المخيال الديني مهياً جداً لأن بجيش ويبدأ من أجل شن المعارك "المقدسة" وتكمن وظيفة علمي التاريخ والأنثروبولوجي في تعرية لحقائق المقنعة ومحجوبة من قبل المتلاعبين بالمخيال الديني"².

هكذا يتم التمييز بين الحقيقة التي يريد أن يوصلها الفكر العلمي وبين "الحقيقة النفسية-الاجتماعية" التي تروج لها الحركات الجماهيرية عن طريق التجيش والتعبئة، ففي خضم الصراعات التي تعرفها المجتمعات الإسلامية في الوقت الراهن نجد كل جماعة و حركة تقود نحو الماضي، لنأخذ من أحداثه وشخصه المرسخة بعمق في المخيال لدى المسلم. من هنا باتت الفلسفي والعلمي يحتل مجالا ضئيلا بسبب طغيان إيديولوجيا النضال المتسم بالحماسة وكأنه نوع من استغلال المخيال الجماعي، العامل على توسع دائرة الشرائح الاجتماعية معتمدة على مجموعة من المنابر نذكر منها: المواعظ في المساجد، المؤتمرات العامة، مقالات الصحف، المجلات.

فقد استلهم مفهوم الإيديولوجيا سماته في سياق الفلسفة الماركسية، في الصور المتعددة التي اتخذتها هذه الفلسفة في الفكر المعاصر، الأمر الذي يوضح مركزية لتصورات الماركسية في بناء المفهوم وفي تركيب تصور معين عن علائقه بالصراع الطبقي في المجتمع البورجوازي.

ارتبط مفهوم الإيديولوجيا بماركس بنقده للمحتوى الذي بناه اليسار الهيجلي عن فلسفة الأنوار.

"إن الإيديولوجيا هي ما ليس واقعا، إنها تشويه ونزيف للواقع وبين أن اليسار الهيجلي كان أثناء نقده للنظام السياسي والثقافي في ألمانيا، يعتبر أن فلاسفة اليسار لا يعبرون للواقع ويبنون بدل ذلك ما يعد مجرد ضجيج يركبون تصوراتهم الإيديولوجية"¹.

¹ - حسن حنفي، فشته، فيلسوف المقاومة، الجمعية الفلسفية المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٨٣.

² - محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، المرجع السابق، ص ٢٦٥.

إن كل سلطة في إطار تبرير شرعيتها تعمل على خلق نوع من المسرحية السياسية كما سماها جورج بلاندي في كتابه². وذلك بأن توهمنا بأنها تنتج الحقيقة التي لا تعلق عليها أي حقيقة أخرى، ما جعل لسلطة تستند على الدين لخلق سيادة عليا تغطي بها سيدتها على المستوى السياسي والإيديولوجي، هكذا فالخطاب الاجتماعي يدعى أن الله أو الوحي هو الذي يمارس الحكم في حين أن الواقع يكشف على أن الواقع يكشف على أن لواقع يكشف أن الفاعلين الاجتماعيين أو الحكام الفعليين والمسيريون الحقيقيون لشؤون الحكم.

III- المخيال والتاريخ:

لا يمكن تلخيص المخيال الاجتماعي في مجموع لإفرازات المخالية الفردية عندما يتعلق المر بمجتمع بعينه فإن المألة تتخذ بعدا أكثر تشابكا وتعقدا للدلالات لمخيتالية لا تنحصر في تمثالات *représentation* أو مفاهيم أو أشكال، بل هي إفراز تاريخي متواصل يبني المجتمعات والدلالات لا تحيل إلى أي واقع أو فكر عقلائي محض، تتجسد عملية خلق المجتمعات وتأسيسها في وضع دلالات *signification* مخيالية تفلت من كل تحديد عقلائي صرف، ترتبط بالكانونات والأشياء والمجتمع بعلاقات رمزية. ن الدلالات المخيالية الاجتماعية تعبر نفسية الإنسان، تولها في عمق أعماقها وتكيف سلوك الفرد سواء تعلق الأمر بمعتقداته، نشاطه الفكري العلمي، بعلاقته بالناس والمحيط والكون.

"فالمجتمع لا يمكن له أن يقبض على النفس بصفته مخيل جذريا"³. إن سيطرة المخيال الديني على أفراد الأمة يجعل لثق عضو من أعضائها يقفز على الأحداث التاريخية، ليعيش بشكل مباشر وأسطوري مع كل السابقين واللاحقين المعترين كرموز وشخصيات مؤسسة لمعنويات الأمة وقيمها الخالدة.

"لا يستطيع عقل المؤمن التقليدي أن يستوعب تاريخية الأحداث لتأسيسية والشخصيات الكبرى المندمجة لأنها نقلاً عليه أقطار وعيه ويشعر نحوها برغبة التقديس وبالتالي فلا يستيع أن يفهم أنها مشروطة بتاريخ أو بلحظة محددة من لحظات لتاري وهذا هو معنى المخيال أيضا (*L'imaginaire*)"⁴

فلا يمكن للدلالات الاجتماعية أن تقبض على النفس، فوجود علاقات رمزية مع الموجودات يعني أن هذه الأخيرة لا تتطابق مع الدلالات كما أن هذه الأخيرة يبقى السؤال مفتوحا حول مدلولها نسوق هنا على سبي المثال المثال سؤال يحير أفراد المجتمع، هل الإنسان مجبر في أفعاله أم مخير؟

من هنا نتساءل إلى أين نسير؟ هل هذا الاتجاه محتتم على البشرية؟ ألا يحق لنا أن نسأل الماضي كي نضيء طريق لمستقبل؟ كلها نتساؤلات تقودنا إلى سؤال أعمق هو: ما معنى التاريخ؟ أي عقلانية مجتمع لها المنطق!

لا يخضع التاريخ لمنطق عقلائي وقوانين ثابتة بحيث تنتقل من مرحلة ممنطقية إلى أخرى وكلها تخضع لحتمية منطقية، فلا يمكن لأي كان أن يشتغل على موضوع تاريخي دون اللجوء إلى منطق السببية فالاجتماعي- التاريخي يفترض اللاسببية أيضا ويبرز ذلك على مستويين:

- مستوى سلوك الأفراد مقارنة بسلوك طبيعي ومتلائم مع م هو معهود ومألوف.

¹ - محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، المرجع السابق، ص ٨٠.

² - المرجع نفسه، ص ٨٠.

³ - Cornelius castoriadis – *L'institution imaginaire de la société* ; éditions du seuil ; 1975 , P 431.

⁴ - محمد أركون، الفكر الإسلامي، قراءة علمية، ترجمة هشام صلح، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1987. ص ٢٠.

- مستوى السلوك الغير قابل للتكهن هو السلوك الخلاق للأفراد والجماعات والمجتمعات.

إن أقررنا بجعل الماضي موضوع درس وفحص نقد ومراجعة، هو موقف خاص. فالذين يعتبرون التاريخ تعاقب حوادث مقدرة ووأن الزمان يخفي أسراراً تمتد غلى المستقبل لا يكلفون أنفسهم عناء البحث عندما نقر أن التاريخ خلق لمعنى يعني أنه وجود لتفسير بهذا الخلق، فجميع الذين حاولوا تفسير نشأة الحضارات والأديان وقرنوا ذلك بأسباب غاب عنهم أنه للقيام بذلك لابد ن تمثل المخاييل لتي سادت عبر العصور وبالتالي وضع أنفسهم في دائرة مخيالية سابقة-وهاما يعجز عنه كل مفكر. ما يمكن القيام به هو فهم هذا التاريخ وحسب. لا يفهمه وذلك بعد عملية الخلق الاجتماعي والتاريخي، لأنه لا وجود لاتجاه ومعنى للتاريخ إلا ما يخلقه الإنسان والمجتمع ويتمثلانه فالمعنى يخلق. جميع المحاولات التي استخرجت الجانب العقلائي أو النزعة لمادية من أي فكر كان كالفكر العربي الإسلامي باءت بالفشل وأدت إلى استنتاجات عبرت عن آراء أصحابها أكثر من أي شيء آخر، فاعتبار مفكرينا المعاصرين أن التاريخ يخضع لمنطق ونظام خارج عن الإرادة البشرية يسقطهم في أحكام خاطئة. "فالتاريخ هو تاريخ العقل والفكر، العملية التاريخية في صميمها عملية منطقية الانتقال من عملية تاريخية إلى أخرى هو انتقال من مرحل منطقية إلى أخرى في سياق لزمن إذن فالأحداث التاريخية لا تحدث مصادفة بل تخضع لحتمية منطقية ومن هنا كل ما هو واقعي فهو عقلائي."¹

إن الإطار المخيالي الذي كيّف الفكر العربي الإسلامي فحافظ عليه وننتقل منه ولا نتجاوزه وكل تحول لابد له أن ينطلق من الحدود التي حددتها الدلالات المخيالية المهيمنة النابعة من التراث الفكري والسياسي. من هنا نجد أن الدلالات المخيالية تخلق إنسانا خاصا يشعر بالانتماء إلى مجال مشترك ينغرس في المخيالات من خلال الوسائط: الآخر والعائلة، اللغة بصفتها أداة اجتماعية الفرد، لمدرسة، ميدان لعمل ، المؤسسات الثقافية، هذه الوسائط كلها تعيش أزمة بحيث تفتت النسيج الاجتماعيوتروج لفردانية مزعومة وأنانية هي سمة لا تقل أهمية عن لظواهر السابقة وتعتبر تعبيراً صارخاً عن هذه الأزمة، انهيار زمانية المجتمع في علاقته وماضيه، فهذا الأخير تحوّل إلى "متحف" لا يخضع لأي نقد ومراجعة، يزور الإنسان كما يزور سائح موقعا أثريا، "فقد اختزلت كل نوع."²

خاتمة:

وأخيرا إن مفهوم المخيال هو مفهوم جديد لا يستطيع الجمهور العام فهمه بشكل جيد، بل إن الاختصاصيين أنفسهم لم يتوصلوا بعد إلى بلورة حدوده وتحزمه وتحديد وظائفه بشكل جيد ودقيق تماما وهنا يذهب أركون إلى " أن المخيال هو مجموعة من التصورات التي تنقل بواسطة ثقافة ما وقد كانت الثقافة في الماضي تنشر شعبيا بواسطة الملاحم والشعر والخطاب الديني. أما اليوم فإننا نجدتها تعمم شعبيا بواسطة وسائل الإعلام (تلفزيون، راديو، صحابة مكتوبة...) ثم بواسطة المدرسة ومن هنا فلكل فرد أو مجتمع مخياله الخاص المرتبطة باللغة المشتركة"³.

قائمة المراجع :

١. محمد الشبة، مفهوم المخيال عند محمد أركون، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى ٢٠١٠.
٢. محمد أركون، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ دار الساقى، ط١٩٩٠.

^١ - محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، المركز الثقافي العربي المغرب، بيروت، ط١، ص ٩٨.

² - Cornelius castoriadis – « Heritage et revolution » in figures du pensable. Les carrefans du v.seuil , 1999, p 144.

^٣ - محمد الشبة، مفهوم المخيال عند محمد أركون، المرجع السابق، ص ٧١.

٣. محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط١٩٨٨.
 ٤. محمد أركون، الفكر الإسلامي، قراءة علمية، ترجمة هشام صلح، ممرکز الإنماء القومي، بيروت، 1987.
 ٥. محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، المركز الثقافي العربي المعرب، بيروت، ط١.
 ٦. مالك شبيل، المخيال العربي الإسلامي، المنشورات الجامعية الفرنسية بباريس ١٩٩٣.
 ٧. حسن حنفي، فشته، فيلسوف المقاومة، الجمعية الفلسفية المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠.
8. Cornelius castoriadis – L'institution imaginaire de la société ; éditions du seuil ; 1975
9. Cornelius castoriadis – « Heritage et revolution » in figures du pensable. Les carrefans du v.seuil , 1999.

دور الإشهار في الصناعة الثقافية في عصر ما بعد الحداثة

دراسة في إشكالية الخصوصية الثقافية

إكرام بولقصيبات، طالبة دكتوراه/جامعة الجزائر ٣

ملخص:

يميل مستهلك ما بعد الحداثة لتقاسم هويته مع مجموعات يحافظ معهم على صلة عاطفية قوية، فهو مشارك نشط ومنتج يبحث عن المجتمع الذي يتقاسم معه هويته؛ كوسيلة لنقل سمات المجموعة إلى الخصائص الفردية بهذا المعنى يمكن اعتبار الاستهلاك كتحديد للخصوصية لأنه يقلل من صورة الفرد في حد ذاته (الهوية الشخصية) لصالح ما هو مشترك مع المجموعة، هوية الشخص تشمل الخصائص والقدرات والتفضيلات الشخصية. يتشكل هذا النموذج عبر التبادل الرمزي الذي يقوم على المنفعة والربح النقدي للقيم الثقافية المجتمعات تحكمها قوانين التبادل الرمزي، العلاقات الاجتماعية رمزية في دورة غير منقطعة من الأخذ والعطاء، مجتمعات ما بعد الحداثة يفسرون الأحداث عبر المحاكاة والتي تفي الوسيط الثقافي التبادل الرمزي يمثل قطيعة بين المجتمعات الحديثة وما بعد الحداثة، حيث يتم تنظيم المجتمعات الحديثة حول الانتاج واستهلاك السلع، في حين يتم تنظيم مجتمعات ما بعد الحداثة حول المحاكاة ونموذج العلامة، تنظيم نظام اجتماعي جديد من حيث المحاكاة، الاعتماد على الصور والرموز و نماذج تحدد كيف يرى الأفراد أنفسهم وكيف يرون الآخرين حيث الرموز والنماذج تحدد كيف يتم استهلاك السلع واستخدامها، انتاج ثقافة، ما بعد الحداثة أيضا انهيار جذري للطبقات الاجتماعية والأجناس والاختلافات السياسية، محو الحدود والفوارق بالإضافة إلى ذلك ما بعد الحداثة توفر تقنيات الترفيه والمعلومات والاتصالات توفر خبرات أكثر كثافة لمشاهد من الحياة اليومية التافهة فضلا عن الرموز والنماذج إلى تحملها عن حياتنا اليومية والعالم.

الكلمات المفتاحية: الصناعة الثقافية، الخصوصية الثقافية، عصر ما بعد الحداثة، الإشهار.

تقديم:

أصبح الإشهار يمارس نفوذه في حياتنا اليومية، فلم يعد الإشهار يبيع المنتج أو يعلم بوجود منتجات جديدة فقط، بل أصبح أكثر انخراطا في التلاعب بالقيم الاجتماعية و المواقف فهو يمارس أدوار متنوعة، هذه الأدوار ترتبط ارتباطا معقدا بالثقافة، حيث هناك بعض الباحثين من شبهه بالخطاب الديني لأنه على حد سواء ينصح و يعاتب و يحث الجمهور لاحتضان رسائله، فهو يشجع نمط حياة بأكملها، ووظائفه مشابهة للخطاب الديني من حيث تأثيره على المعتقدات و القيم فهو يعمل على تشكيل و توزيع المعرفة الثقافية و يلعب دورا أخلاقيا في المجتمع، يفعل ذلك من خلال بناء الهوية، حيث أنه يعطي معنى للمنتوجات و يربط الأفراد بالمنتجات عاطفيا، كما يعطي معنى للمنتوجات من خلال خلق صلة بين المنتوجات و الأراد عبر أنماط الاستهلاك: واحدة من طرق تعبيرنا عن هويتنا من خلال ما نستهلكه فالإشهار يستغل حاجتنا إلى التعبير عن هويتنا من أجل تمرير مضامين قد لا تتماشى مع ثقافتنا، فالخطاب الإشهاري يعمل من خلال النظام التمثيلي الذي ينتج

معاني خارج نطاق المعلن عنه فالتمثل الاشهاري لا يرتكز على ما يقدمه الإشهار من فوائد للمستهلك بل يبرز أساليب حياة، نمط معيشة، صور للنجاح، تسمى الترتيبات البصرية.

1-الإشهار في عصر ما بعد الحداثة:

الاتصال الاشهاري هو المحرك الرئيسي للعملية التسويقية للمؤسسة، هذا ما يفسر الاتفاق الكبير للشركات الاشهارية باختلاف أنواعها خاصة التلفزيونية منها، فالخطابات الاشهارية صارت عاملا أساسيا لأرباب الشركات والمال في التعريف بمنتجاتهم و تحببهم إلى نفوس المشترين، وهو يعظم بشكل مسرف لدي الشركات العالمية...حتى إذا الخطاب الاشهاري لدى هؤلاء جزء من المنتج نفسه، أو قل صار الخطاب الاشهاري دالا والمنتج مدلولا، بل صار الخطاب الاشهاري أدل و أفصح على المنتج⁽¹⁾

1-1 تعريف ما بعد الحداثة: جاء في لسان العرب أحدث الشيء أوجده والمحدث الجديد من الأشياء⁽²⁾ فالحداثة تشير إلى الإبداع وظهور شيء مستجد وغير مألوف لم يكن للأوائل عهد به أما اصطلاحا يعد الحداثة يعتبر كمصطلح تاريخي للدلالة على الحقبة التي اعقبت الحداثة، ما تشترك فيه هذه التفسيرات هو إصرارها على أن التغيرات الثقافية والاجتماعية التي أنتجت ما بعد الحداثة ترتبط ارتباطا لا ينفصم بالتغيرات في الرأسمالية من التركيز الأساسي على الانتاج إلى الاستهلاك⁽³⁾ وتغير تاريخي في الغرب من مجتمعات قائمة على إنتاج الأشياء إلى مجتمع قائم على إنتاج المعلومات والمظاهر من القومي إلى العالمي، الذي حقق منعطف الضغط الزماني المكاني" من جانبه سينغ Singh يقول إن ما بعد الحداثة هو مصطلح معقد، أو مجموعة من الأفكار ظهرت كمجال للدراسة الأكاديمية منذ منتصف ١٩٨٠، ظهر في عدة تخصصات، بما في ذلك الفن، العمارة، الموسيقى، السينما، الأدب، علم الاجتماع، الأزياء... الخ فهو يشير إلى الثغرات الثقافية والفكرية التي أصبحت مهيمنة بشكل متزايد في المجتمع العام⁽⁴⁾ فقد شهد العصر الحديث عدة تطورات جديدة مست الفكر والثقافة فأحساسنا بالهوية مثلا تغير نوعا ما في السنوات الأخيرة.

1-2 من التسويق الحديث إلى ما بعد حداثة التسويق :

ظهر مفهوم ما بعد حداثة التسويق *from modern marketing to post modern market* نتيجة ممارسات الاستهلاك والتسويق الذي ظهرت حاليا: في "التسويق الحديث يتم التركيز على عقلانية الفاعل: تلبية احتياجات المستهلكين بدلا من مجرد اقناعهم بشراء المنتج فدور ادارة التسويق الحديثة البحث عن مجمل التغيرات التي تؤثر على قرار الشراء، أما بعد حداثة التسويق تتميز بتعددية أنماط الاستهلاك والايديولوجيات والفرد بحاجة إلى ما فوق الحقيقي "hyperrality"⁽⁵⁾ يقول بودريار: " تحويل المشهد إلى واقع، فالمشهد هو الذي يكيف الواقع وفق نمط مشهد، وهذا ما يؤدي إلى إفراغ تدريجي

(١) عبد الجليل مرتان، المقاربة السيميائية لتحليل الخطاب الاشهاري، مجلة الأثر، مجلة الآداب و اللغات، جامعة قاصدي مرباح، عدد ٧، ماي ٢٠٠٨، ص ٧٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مج ٢، لبنان، دار بيروت، الطباعة والنشر، ١٩٩٥، ص ١٣١.

(٣) طوي بينيت، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، م، س، د، ص ٥٧٨.

(٤) Prasad Raj Singh, consumer culture and postmoderenism, puper presnted at the international scientific conference, organized by the lumer research center in humainstic science partnsli with romanian academy ,18_19 february,2011.

(٥) Manel Hanoud, postmoderism and consumer psychologie transformation or break, international journal of academic research business and social science, volume 2 , issue01 , january 2012,p98.

للوواقع من واقعيتها، أو تصحير الواقع، فنحن نعيش في مجتمع كيفه الاعلام وفق رموزه وشفراته المشهدية، عالم نعيش فيه تبعاً لشيفرات مشهدية اندرجت في بنيتنا الإدراكية فالرمز هو الواقع ما يعني أن فوق الواقع امتص كل شئ وصار مستيقاً⁽¹⁾ فما يعد الحداثة من خلال ميكانيزماتها في السيطرة على عقل الإنسان تجعل تمثله للواقع والحقيقة وهي من المفاهيم الأساسية قد يفقد الإنسان الاتصال بالحقيقة حيث تعمل وسائل الاعلام على إذابته وتفتيته حتى إن الحقيقة لم يعد يبدو لديها أي معنى.

سمات ما بعد حداثة التسويق: عملية بناء الهوية:

أما فوق الواقع: hyperreality-

عملية بناء الهوية تلعب دوراً هاماً في الطريقة التي يفهم من خلالها المستهلك ذاته، حياة ذات معنى مجتمع المستهلكين الذين ينسون هذه المعاني الجديدة لهذه العلامة فالمستهلك يشعر أكثر بالمتعة في محاكاة الواقع بدل الواقع⁽²⁾ فهذا الإشهار يخلق عالم من الوهم والخيال حيث أصبح الأفراد تغلب عليهم القيم الاستهلاكية، والايديولوجيات فهو يصور الاستهلاك كوسيلة لإدخال الذات في المجتمع الاستهلاكي والعمل على تميز نفسه من الآخرين⁽³⁾

ب- تجزئة الأفراد والخبرات الاستهلاكية: في مجتمع ما بعد الحداثة *the fragmentation of individual and consumption* سمة رئيسية أخرى في المجتمع، حيث رفض كل شكل من أشكال الشمولية في الحياة الاجتماعية، تجزئة في الواقع، يغزو جميع الأنشطة بما في ذلك الاستهلاك: حيث كل شئ مجزء ومفكك "يتجلى ذلك من خلال تجزئة لحظات الاستهلاك التي أصبحت مجزأة على نحو متزايد (عشاء و مشاهدة التلفزيون) المستهلك يعيش سلسلة من الأفعال المستعملة للاستهلاك ولكل فعل يتطلب منتج مختلف"⁽⁴⁾ لملأ حاجة محددة: أنماط ترتبط بعضها ببعض مشاهدة مباراة للفريق الوطني وأنت تحتسي قهوة، مشروب،... الخ هذه اللحظات المتعددة من الاستهلاك تؤثر على المستهلك نفسه، لأن تجزئة تجارب الحياة غالباً ما يتطلب نفسية الذات أو تجزئتها، فالإشهار يعلمنا كيف نعيش كل لحظة مع شخصية جديدة حسب تعبير الباحثة حمودة hamouda " هناك في كل فرد حالات وشخصيات غير متوافقة أو متناقضة في نفس الفرد تسمى تعدد الأنفس *multiphrenic self*: تمثل لتأثير الظروف ما بعد الحداثة على سلوك المستهلك"⁽⁵⁾ لنعطي مثال على ذلك: هناك الألبسة الخاصة بالنساء في العمل وشخصية الوأة بذلك تختلف، في البيت: ألبسة خاصة و شخصية مختلفة في الشارع، في السوق في المتجر... الخ في بعض الأحيان تصل إلى التناقض: فالفرد يحيل كل الخيارات المتاحة في الإشهار، يمكن تقديمها تحت هويات مختلفة "الفرد يعيش لحظات استهلاك مجزأة ومتناقضة"⁽⁶⁾ حيث يتم تشجيع الفرد ما بعد الحداثة لتغيير الصورة في كثير من الأحيان وبالتالي التكيف مع نفسه في أدوار جديدة هويات جديدة، فالمستهلك ينتهي بهذا إلى عدة مجتمعات.

ج- انزياح الذات: *decentered subject*: ما بعد الحداثة أنتج خلط بين الذات والسي: تأثير الأشياء في توجيه رغبات الفرد (المستهلك) وفقاً لهذا هناك خلط بين الذات والأشياء التي تستهلكها، وتثير مسألة السيطرة في العلاقة بينهما على وجه

(1) جان بودريار، المصطنع والاصطناع، م، س، ذ، ص ٣١.

(1) manel hamouda, postmodernism and consumer psychologie, op.cit,p94

(3) George F. Kmeller, op.cit, p120.

(4) Manel Hamouda, postmodernism and consumer psychologie, op.cit,p100.

(٤) ibid, 10١.

(6) ibid, p102.

التحديد تصبح العلاقة بين الذات والمنتجات أكثر تعقيدا، المنتجات لها سلطة على الأفراد: حيث يتم تحديد تصرفات كل فرد من خلال تصميم وهيكلة منتجاته، يصبح دور الفرد هو تفكيك المنتجات لأداء مهامها وليس المنتجات التي تمكن من تحقيق الأهداف الفردية" (1) نلاحظ في هذا الاتجاه أن الأشهرات التجارية الخاصة بـ كوكاكولا مثلا يبسي العلامة التجارية والمنتج هو البطل في حين الإنسان أصبح في الهامش في هذا مجال أيضا هناك: " تنشئ الذات self objectification هو تأثر آخر بإنزياح المركز: ما يفرز الارتباك بين الذات والموضوع في جزء من حقيقة أن المستهلكين يميلون إلى عرض أنفسهم على أنهم عناصر للتسويق، لا يتم إقرار تعدد الصور والشخصيات من قبل المستهلكين بطريقة معتمدة، بل هي مفروضة من قبل الهيمنة الثقافية" (2) فالناس يسعى دائما إلى وجود صور تمكنهم من النجاح، في هذا المعنى تصبح الأزياء استعارة ثقافية، دور في بناء الذات (السلع الفاخرة، السيارات) أو الممارسات في هذا الجانب أيضا أصبح الكثير من المستهلكين (ذكور، إناث) تستخدم الجراحة لتحسين جزء أوكل ما لديهم في الجسم أنها "الاحتفال بالمظهر الخارجي، بالثقافة التي لا عمق لها، غير الأصيلة" (3)

٢- الاستهلاك: فردي أما جماعي:

تأثير انعكاس الانتاج والاستهلاك على استهلاك ما بعد الحداثة فالاستهلاك يولد أشكالاً مختلفة من المعاني والقيم للفرد كما يشير إلى أنماط حياة مختلفة، الاستهلاك ليس فقط يساعد على التفريق بين الأفراد، وإنما يعمل أيضا على أنه تكامل أو صلة مع العديد من الفئات الاجتماعية.

١٢- الاستهلاك الفردي: individual consumption: يعتبر الاستهلاك عنصر فاعل خالق للمعنى بفضل نظام التسويق، أصبح الاستهلاك عملية يعرف الناس أنفسهم، أو صورههم في المجتمع العام، الاستهلاك ليس مجرد عمل شخصي ولكن أيضا هو عمل اجتماعي من خلال خلق معاني رمزية وعلاقات اجتماعية في الواقع، يستنسخ الفرد هويته أثناء الاستهلاك، بعبارة أخرى كل فرد يختلف عن (4) الآخر عن طريق مجموعة من خيارات الاستهلاك والخبرات أثناء الاستهلاك، وصورة للانتماء إلى منتج أو علامة تجارية ميزة المستهلك، يتم تحديد معنى للمنتج من قبل المستهلك، ليتم إنشاء معنى وتفسير من قبل المستهلكين أنفسهم product meaning is determined by the consumer.

٢٢- الاستهلاك الجماعي: groups consumption: كما الاستهلاك الفردي تظهر الدراسات على مجموعات ما بعد الحداثة وظائف رمزية مختلفة من الاستهلاك، كعمل صورة وهكذا تصبح أشياء من الاستهلاك object of consumption فمن الضروري أن يصبح الشيء علامة الاستهلاك إذن يحقق المهام التالية:

نظام القيمة: تكشف وتعكس أنشطة الاستهلاك فيما يعد الحداثة، نظام الثقافات الصخري، مجموعات.

العضوية: بعض ممارسات الاستهلاك والعلامات التجارية والمنتجات تعكس عضوية المجموعة وتميز أعضاء من غير أعضاء.

(1) Menel Hamouda, Abderrazak Ghariba , the postmodern consumer; an identity constructor ?, international journal of marketing studies volume 5, issue02, 2013, p 42

(2) Manel Hamouda, postmodernism and consumer psychologie, op.cit,p101

(٣) آرثر ابرا بجر، النقد الثقافي، تمهيد مبدئ للمفاهيم الرئيسية، تر : وفاء ابراهيم، رمضان سيطاوسي، ط ١، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣، ص٦٣.

(4) Manel Hamouda, postmodernism and consumer psychologie, op.cit,p102

وسيلة للعمل الاجتماعي: مجموعات ما بعد الحادثة، مع قيمهم الخاصة تستخدم أنشطة الاستهلاك كوسيلة للعمل الاجتماعي حياة واستخدام محددة بعض الماركات والأشياء، عضوية المجموعات، كما العداوة او معاطفة بعض العلامات التجارية الأخرى⁽¹⁾.

التأثيرات النفسية: ظروف ما بعد الحادثة لها تأثير كبير على المستهلك، وخاصة على مستوى صفاته النفسية، السمة النفسية الأولى هي المادية: الرغبة الاجتماعية في السيطرة حيث يفتقد المستهلك ما بعد الحادثة سيطرته على الأشياء وبالتالي لم يعد يسيطر على مصير، وأخيرا يميل المستهلك ما بعد الحادثة إلى أن تكون له هوية اجتماعية من خلال عضوية في مجموعة لذلك غيرت مفاهيم: مثل المادية، الرغبة الاجتماعية، السيطرة الهوية الاجتماعية... الخ.

المادية وثقافة الاستهلاك في عنصر ما بعد الحادثة: المادية تعارض الجوهرية والروحانية، فإنه سيمر إلى ميل الأفراد لتقييم خصائص ممتلكاتهم، الأفراد الماديين يرون في المجتمع الاستهلاكي وسيلة لتحقيق الذات، المادية كسمة شخصية أو المادية كقيمة، فالمادية هو مفهوم يرتبط ارتباطا وثيقا بخصائص المستهلك في ما بعد الحادثة حيث يحاول المستهلك دائما إحاطة نفسه بالسلع المادية سواء كانت ضرورية أو لتحسين وصفه أو الرفاهية وراحة والظروف المعيشة الانسان المادي يصبح مرفق عام للممتلكات **general attachment to possessions** اقتناء وحياة الاشياء كوسيلة لتحقيق النجاح والسعادة في هذه الحياة، الفرد المستهلك المادي يعطي اهمية للأشياء وخاصة الأشياء التي من خلالها يمكن أن يبرز قيمته الاجتماعية، الفرد المادي ما يقتني الأشياء فقط لإظهار وضعه الاجتماعي⁽²⁾.

٣- سيكولوجية مستهلك ما بعد الحادثة:

أ- مستهلك ما بعد الحادثة والرغبة الاجتماعية **social desirability**:

الغرض من الاستهلاك فيما بعد الحادثة هو عدم التعلق بثقافة واحدة او اتجاه واحد في الحياة ولكن للتنقل واستكشاف العديد من الطرق ذات معنى الوجود، وإثراء عملية حياته، ماسيحدد على مستوى الرغبة الاجتماعية، بعبارة أخرى يغير الناس سلوكهم وهويتهم لمطابقة حالة معنية وهذا ما يسمى الرغبة الاجتماعية، فهي العملية التي يحاول الناس للسيطرة على صور البعض الآخر منهم، الأفراد يسعون إلى الرغبة في تحقيق قيمهم الشخصية مع العوامل الثقافية الاجتماعية المقبولة، تعتبر الرغبة الاجتماعية كسمة شخصية تميز توجهات ومواقف الفرد نحو القيم الاجتماعية كشكل من أشكال: الخداع الذاتي، وإدارة الانطباع **self deception, impression management**، تشير إدارة الانطباع إلى استراتيجيات واعية مصممة يجعل انطباع ايجابيا على الآخرين، في حين يشير الخداع الذاتي لفاقد الوعي في حد ذاته⁽³⁾.

ب- مستهلك ما بعد الحادثة وموضع السيطرة **locus of control** موضع السيطرة هو الاعتقاد السائد بان الشخص لديه القدرة على السيطرة على نتائج تصرفاته الخاصة، وهو يقابل تفسير الأحداث التي تحدث لهم، وهو يمثل الحكم الصادر عن شخص حول التعزيزات الايجابية أو السلبية (ما يحدث في حياته)، يعتقدون أنهم يسيطرون على مصيرهم ولديهم أفضل حياة تعليمية ومهنته وان الفشل في حياتهم هو لأسباب خارجية⁽⁴⁾.

(1) ibid,p102.

(2) ibid,p104.

(1) ibid,p105.

(2) ibid, p106.

ج_ مستهلك ما بعد الحداثة والهوية الاجتماعية: social identity :

يميل مستهلك ما بعد الحداثة لتقاسم هويته مع مجموعات يحافظ معهم على صلة عاطفية قوية. مستهلك ما بعد الحداثة مشارك نشط ومنتج يبحث عن المجتمع الذي يتقاسم معه هويته⁽¹⁾، كوسيلة لنقل سمات المجموعة إلى الخصائص الفردية بهذا المعنى يمكن اعتبار كتحديد، تحديد الشخصية لأنه يقلل من صورة الفرد في حد ذاته (الهوية الشخصية) لصالح ما هو مشترك مع المجموعة، هوية الشخص تشمل الخصائص والقدرات والتفضيلات الشخصية.

فالهوية الاجتماعية ذات صلة عضوية:الأفراد في المجموعات الاجتماعية، يبحثون عن صورة ذاتية ايجابية يعتمد جزئيا على عضوية في المجموعات المختلفة، لكن هذه المجموعات ليست محددة، بالمكان فقط على سبيل المثال لا يقاسم الفرد في الجزائر هويته مع جيرانه وإنما يتقاسم هويته مع أفراد من الو.م.أ أو اسبانيا... الخ ما بعد الحداثة غير مفاهيم الهوية الاجتماعية وارتباطها بمجتمع الفرد.

٤_ ما بعد الحداثة والأشهار:

إن فرضية الإمبريالية الثقافية تعتمد على فكرة أن وسائل الإعلام الجماهيرية قوة فعالة ولها تأثير كبير على الناس وأن هذه الرسائل المنظمة في الأعمال التي تداع يتمثلونها ويسلكون تقريبا نفس الأساليب المشابهة للأمريكان⁽²⁾ فالصورة أو المشهد المكتفي بذاته هو الذي يحدد بنية المجتمع بإلغاء أي مسافة بين الدال والمدلول، إلغاء أي مرجعية، ومن هنا إلغاء لكل قدرة نقدية، فتصبح الحرب هي السلم، والناس تعتقد ذلك ويبدو كامر عادي، بقوة المبدى سيكون الواقع في المبدى لا حدث، والتلاعب الاعلامي بالواقع والمعطيات وبراعة الاخراج باختلاف الروايات يجعل المشاهد يرى الحرب كأنها السلم، " فالتلفزيون يوصف على أنه قلب وروح ما بعد الحداثة the heart and soul of postmodernism فالإشهار هو الأقل من يستحق هذه الجائزة"⁽³⁾ لذلك تشكل المؤسسة الاشهارية مركز اهتمام في الثقافات الاستهلاكية البرجوازية، لأن الإشهار يجعل الناس على وعي تنوع المنتجات التي يجب أن يمتلكها الفرد ويهب المنتجات والخدمات دلالة رمزية، إن الإشهار هو الذي يروج لما هو جديد ويقدم لهم المعلومات عن ماهية البضائع والسلع التي يجب أن تستهلك لتحقيق صورة بعينها"⁽⁴⁾.

فالمستهلك في واقع الأمر يستخدم الأشهار كمورد رمزي لخلق لحضات من الهوية moments of identity، فليس هناك أدنى شك في أن المستهلكين مختلفين بشكل ملحوظ عن المستهلكين منذ عقد من الزمن أو أكثر، فلم يعد هناك فروق بين المستهلكين في البلدان وهو ما يطلق عليه عدم وضوح الحدود the blurring of boundaries وهو موضوع كثيرا ما أثير في مناقشات ما بعد الحداثة، يمكن تفسيره أن المستهلك يتعلم من التعرض التراكمي للإشهار⁽⁵⁾ cumulative exposure to advertising، فالإشهار أكثر من مجرد وسيلة لتسويق المنتجات، أنه وسيلة لتسويق المنتجات: أنه وسيلة للسيطرة الاجتماعية، الهدف الحقيقي للإشهار هو ليس الترويج لسلع بعينها (هدف مباشر) وإنما هو أيضا لتسويق نظام سياسي

(3) ibid,p106.

(١) آرثر ابر برجر، النقد الثقافي، م،س، ذ، ص ١٠٧.

(٢) جان بودريار، المصنع والاصطناع، تر، جوزيف عبد الله، م،س، ذ، ص ٣١.

(4) Stephanie O Donohoe, living with ambivalence, attitudes to advertising in postmodern times, journal marketing theory, 2001, p97.

(٤) ibid,p98.

بعينه يضمن لثقافة الاستهلاك البقاء، فالإشهار يعزز من التملك والأناية ويصرف الناس عن الاهتمام بقضايا المجتمع، ويدعم محاولات الهروب من المسؤوليات الاجتماعية، إنه يمنع الناس وهما عن أنفسهم وعن طبيعة اللاتطبيقية^(١).

١٤- الهوية الثقافية والعمولة:

-التطور السريع في الاتصالات وسهولة وسرعة انتقال الناس حول العالم، والطابع العالمي كل ذلك قاد إلى خلق تأثيرات ثقافية، والناس لم تعد هوياتهم مقتصرة بالمكان الذي ولدو فيه، بل أصبح بإمكانهم الاختيار من بين نطاق واسع.

لمختلف الهويات، فعولمة الاستهلاك بقود إلى زيادة التشابه والتجانس بين الناس^(٢) فقد تنامي الاحساس بأن المجتمعات صارت تزداد تجزئة من الناحية الثقافية، وتزداد تعرضا في الوقت نفسه لأثار إضفاء التجانس في أسواق العولمة، ليحل محلها عالم سطحي جديد من اختيار المستهلك وخيارات الهوية الجاهزة^(٣).

أ-الثقافة الجماهيرية والهوية:حسب إدغار موران^(٤) فإن نمط إنتاج هذه الثقافة التي تخضع إلى ترسيمات الانتاج الصناعي الجماهيري خاصة بعد تطور وسائل الاتصال الجماهيري، كل التحليلات لمسألة الاستهلاك الثقافي التي تنتجها وسائل الاتصال الجماهيري هذه الثقافة الجماهيرية بعد إنتشارها على نطاق عالمي إلى ثقافة عالمية، إلى عولمة ثقافية.

حسب أدورنو هوركيمر الصناعة الثقافية تثبت على نحو مثالي سقوط الثقافة في السلعة، تحول الفعل الثقافي إلى قيمة سوقية، تميع فكرة الثقافة من خلال التنميط^(٥)، فالعولمة تملك الآليات من خلال تدويل الاقتصاد وتداول رأس المال وقوة العمل والانتاج وكذلك تدويل أنماط الاستهلاك بل وتداول الثقافة...برزت عدة إشكاليات هل الكوكبية تلغي الخصوصية^(٦) خاصة عولمة الأسواق وعملية الاستهلاك فقد أظهرت الدراسات الحديثة أن الاستهلاك إكتسب صفة التجانس، تجعل تأليينات ثقافية جديدة مملنة، تفكير الاختراع الثقافي وتوحيد شكل الفكر والممارسات^(٧).

حسب العياض فإن تأثر الصورة والتلفزيون على الهوية في:

١- مضامن ما تثبه القنوات التلفزيونية المختلفة تؤثر في الصور التي ينتجها الاشخاص عن ذاتهم كيانهم الجماعي فالإعلام المرئي يقدم تمثلات لما نعلمنا للعيش معا.

٢-وسائل الاعلام الكبرى ليست كيانات مستقلة تنشط في فراغ، إنها جزء من النسيج الاقتصادي والاجتماعي فهي سلاح العولمة التي توظفه لنشر قيمتها وأنماطها السلوكية.

(١) آرثر، أبر برجر، م، س، ذ، ص ٩٩٣.

(٢) نفس المرجع، ص ٩٨.

(٣) طوبي بينيت، م، س، د، ص ٧٠٤.

(٤) دينيس كوش، م، س، ذ، ص ١٣٢.

(٥) أرمان ماتلار، التنوع الثقافي والعولمة، تر: خليل أحمد خليل، ط ١، دار الفارابي، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ٢٠٠٨، ص ٨٠.

(٦) سهيل الحبيب، معالم في خطاب النقد الثقافي العربي المعاصر خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، مجلة عالم الفكر، عدد ١، المجلد ٣٦، يوليو سبتمبر ٢٠٠٧، ص ٢١٢.

(٧) دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، م، س، ذ، ص ١٣٢.

٣- الهوية في الصورة الى تملكها عن ذاتنا وسائل الاعلام تعمل على إعادة إنتاجها أو تقيمها أو نظيرها أو تحويلها أو نفيها.⁽¹⁾

ب- الهوية المهيمن عليها :

يوجد داخل كل فضاء اجتماعي ما تراتب ثقافي لم يخطأ ماركس Karl Markx وماكس فيبر max weber بتأكيدهما أن "ثقافة الطبقة المهيمنة هي دوما الثقافة المهيمنة"⁽²⁾ ليس بسبب نوع من التفوق الكامن في ذاتها أو أن لها قوة انتشار تأتيها من جوهرها الخاص، تتوفى القوة النسبية الخاصة من خلال التنافس الذي يحدث بينهما وبالتالي القوة الاجتماعية التي تستندها ستجعلها تكون مهيمنة لهذه الايديولوجيا هي أن الشعوب الأخرى إما أن تضع نفسها مع الحضارة الغربية، وإما أن تكون غير جديرة بالاعتبار ككيانات قابلة للاحترام"⁽³⁾.

ج- الإشهار والهوية:

مسألة بناء التمثلات والمفاهيم حول قضية ما، لا تكون خاصة نفية عن ذاتية الفرد، ففي حقيقة الأمر أن هوية الفرد والسياق المحيط به يساهمان يساهمان بشكل كبير في بناء تمثلات الفرد، فتصورات شاب جزائري لإرسالية إشهارية قد تكون فيها إحياءات جنسية قد تختلف عن تصورات شاب أمريكي، لنفس الصورة، رغم أن بيولوجيا لا يوجد أي فروق، لكن الفروق تكون على مستوى قيم الفرد وهويته.

لكن هذا لا يعني أن الهوية الثقافية لا تتعرض للتحويلات والتغيرات فهناك قوى وعوامل كالتلفزيون والانترنت التي ساهمت في تحول الهوية، هذا الطرح يعزز أن الاشهار وظيفة نشر الأساطير في النظام الاجتماعي القائم، فالإشهار ذخيرة من الأساطير المعاصرة، يطرح دوغلاس كيف يساهم في تشكيل الهوية في المجتمع المعاصر، فالإشهارات تحتوي على معاني ومواقف ونماذج لبناء مجموعة من المعايير والقيم، يعطي مثال حول منتجات مارلبور Marlboro الذي يستهدف في المقام الأول المدخنين الذكور ومنتوج فرجينيا Virginia الموجه للنساء، مارلبور فامت بجملة لربط السجائر مع الرجولة من خلال ربط المنتوج مع رعاة البقر، قدمت صورة الذكورة والاستقلالية⁽⁴⁾، الرجل الحقيقي، أما فرجينيا فرطبت حملتها مع النساء، المرأة الحديثة، فالمنتوجات تحاول ربط منتوجاتها مع صور إيجابية ومرغوبة ونماذج للجنسين.

فنظام التمثل البصري Visual representation يخلق معنى ضمن الدائرة الثقافية circuit of culture يبدو أنه يعكس ويساهم في الثقافة "الاشهار هو بيئتنا، نسيج فيه مثل الأسماك تسبح في الماء... لا يمكننا الهروب منه الرسائل الاشهارية هي داخل علاقتنا الحميمة وقلوبنا وعقولنا"⁽⁵⁾.

"advertising is our environment, we swim in it as fish swim in the water we can not escape it... advertising messages are inside our intimate, relationships, our hearts, our heads"

(١) نصر الدين العياض، الهوية الوطنية والتلفزيون، عشر أطروحات لتطبيق المسلمات، عالم الفكر، عدد ٢٥، المجلد ٣٥، ٢٠٠٩، ص ٣٩١ ٣٩٤.

(٢) دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر : منير السعيداني، مراجعة الطاهر لبيب، إعداد المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوجد العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٢١

(٣) أرمان ماتلار، التنوع الثقافي والعملية، م، س، ذ، ص ١٠٣.

(1) Douglas Kaliner, media culture, cultural studies, identity and politics between the modern and the postmodern, Taylor and Francis group, london and new york, 2003, p248.

(2) Yorgos C. Zotos, Eirini Tsihla, Femal Stereotype in print advertising: a retrospective analysis, Procedia, social and behavioral sciences, volume 148, 2014, p 449.

٥-الاشهار والثقافة: إشكالية التأثير والتأثر:

٣٠ ثانية فقط تجعل الناس لا يعانون: حياة أسرية رابطة أصغر سنا، أكثر جمالا عبر قصص مسلية: الكثير من الناس لا تأخذ على محمل الجد كل إدعاء في الاشهارات لكن معظمنا أيضا يعتقد أن هناك جزئية من الحقيقة فيما يخبرنا الإشهار به من خلال حل المشاكل مع شراء المنتج على الأقل جزئيا لأنه يعرض أنماط تمثل بعض تجارب حياتنا الخاصة، فالإشهار هو الفصل التواصلي الرمزي الذي يعيد تركيب بعض المعتقدات والسلوكيات وهو الخطاب الذي يشكل سر المفاهيم الجديدة والحديثة لكيفية العيش ما يسمى الحياة الجيدة Good life أمها الثقافة التي يحملها الإشهار كل يوم رسائل وتضمينات حتى أصبح يتخلل جميع جوانب حياتنا: كل مكان وفي كل زمان: معرفة فقط بوجود سلعة كتصور فقط هو في حد ذاته شكل من أشكال الاقناع الثقافي، فالوعي بوجود المنتج هو أول خطوة لقبوله: مع العلم أننا نقبله مع ثقافته : هنا يبرز الدور الثاني للإشهار وهو المستوى الأكثر تجريدا، فالإشهار هنا يبرز أهمية في حياتنا وفق آليات الاستهلاك لدينا، فتبدوا هذه الاشهارات نموذجية typical وطبيعية normal لأن الاشهار يؤثر وفق تمثلاتنا للعالم من حولنا أنها تركز على ثقافتنا، ليس مجرد شراء السلع والخدمات التي نحتاجها للعيش بل تقدم أنموذج حياة: إبراز منزلنا لدي الآخرين على سبيل المثال يقول عالم السياسة والناقد الثقافي بنيامين بابر^(١): الاستهلاك يلعب دورا في تشكيل الهويات المواتية للشراء والبيع، الهوية هنا تصبح إنعكاسا لأساليب الحياة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالماركات التجارية والمنتجات، ترتبط مع سلوكياتنا، أين نتسوق، كيف نتسوق، كيف نشترى، وما نأكله، كيف نلبس" فالإشهار يحاول التأثير على فهمنا ونفسنا وعلاقاتنا يتحدث بيامس في كتابه حول المستهلك من حيث أن الثقافة التجارية والرأسمالية تشوب كل شئ أنها تهتمش الحياة الأسرية، والحياة الدينية، والمدينة ولمواطنين، إلى أن يصبح المواطن مجرد مستهلك له الكثير من الخيارات، تقدم لهم ما تريد ولكن لا تعطيهم ما أرادوا، فالإشهار حسب بنيامين مثل الديمقراطية فأنت لا تحتاج إلى أن أجبر لأكون حرا forced to be free فالرأسمالية تنتج والفرد يستهلك، الرأسمالية تنتج الكثير من المنتوجات غير المرغوب فيها لكن لاحقا نحتاج إليها.

١٥-الإشهار و القيم الثقافية الرمزية:

نحن نعيش في عصر ابتلع فيه نمط الإشهار كل أنماط التعبير الافتراضية، فكل الأشكال الثقافية الأصلية وكل الكلمات مبتلعة في هذا النمط^(٢) حيث النماذج والصور والرموز تأتي للسيطرة على الفكر والسلوك حيث يواجه الفرد تدفق هائل من الصور والرموز والنماذج تشكل في النهاية فكر الفرد وسلوكه من جانب تاريخي قام بودريار بتحليل الحياة اليومية في إطار تاريخي من مرحلة سابقة للرأسمالية، السوق التنافسية إلى مرحلة الرأسمالية الاحتكارية إلى زيادة الاستهلاك، تكثيف الطلب مع خفض تكاليف الانتاج ومع التوسع في الانتاج أدى إلى ظهور تقنيات انتاج جديدة، تطور التكنولوجيا الجديدة وتسارع القدرة على الانتاج الضخم، والشركات الرأسمالية تركز الاهتمام على إدارة الاستهلاك وخلق احتياجات جديدة وبالتالي إنتاج نظام يتشكل من تناميه علامة، قيمة.^(٣)

(٣) Benjamin Baber, consumed: how markets corrupt children, infantilize adults, and swallow citizens whole, new york, www.norton.com, 2007, p 67.

(٢) جان بودريار، المصطنع والاصطناع، تر: جوزيف عبد الله، مراجعة، سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية ط ١، ٢٠٠٨، ص١٥٧.

(٢) George F. Knelleer, Jean Baudrillard after modernity: provocations on a provocateur and challenge, international journal of Baudrillard studies, volume 3, issue1, january 2006 in www.ubishops.ca/baumiccadstudies/vol3-1-kellner.htm

من خلال تحليل بودريار للإشهار والتعبئة، والتغليب وعرض الأزياء، تحرر الحياة الجنسية، وسائل الإعلام، وجد أن الفرد يشتري المنتوجات بسبب ثنائه علامة، قيمة حيث أصبحت تشكل جانبا أساسيا من السلع والاستهلاك في المجتمع الاستهلاكي، حيث تم تنظيم المجتمع بأسره حول الاستهلاك، والسلع تعطيه الهيبة، والهوية والشهرة، فالسلع هي التي تعطي مكانة أعلى في عالم مبني على القيمة والعلامة⁽¹⁾، لذلك تقع القيمة بالنسبة للفرد وفقا لمكانها من نظام تفاضلي من الهيبة والمكانة، فإذا كانت السلعة في زمن ما هو موضوع الإشهار نفسه، فالإشهار أصبح اليوم هو سلعة نفسه، فهو يتطابق مع ذاته، وبما أن الإشهار باعتباره ميديا أصبح هو رسالة ذاته ما أدى إلى خلق طب إشهاري للإشهار، وبالتالي لم تعد مطروحة مسألة الإيمان به أم لا لأنه أصبح تماما كالاقتصادي الذي تم امتصاص ضرورته التاريخية بمجرد طلب إجتماعي⁽²⁾.

في العالم الثقافي الرمزي الذي أدخلنا إليه الإشهار كل شئ يتحول إلى سلعة يمكن شرائها وبيعها وبالتالي كل سلعة تتحول إلى قيمة يتم تدوالها بين الأفراد، لذلك "ينتقد بودريار أشكال الهيمنة والاستغلال التي تنتجها الرأسمالية، من حيث سرقة الرأسمالية للأفراد حرياتهم، وقتهم، إبداعهم"⁽³⁾.

٢٥- الإرسالية الأشهارية والارتباط الثقافي:

الإشهار بصرف النظر عن أغراضه الخفية أو الواضحة هو شكل من أشكال التواصل بين المرسل والمتلقي، من خلال استخدام رموز لغوية أو غير لغوية، يقودنا هذا إلى الحديث عن نظريتين متناقضتين: النظرية الأولى تنطلق من أن الناس في جميع أنحاء العالم يحملون وجهها ننظر مختلفة لذلك الإشهار لا بد أن يعكس قيم الشعب لأن الثقافة ليست مشتركة وبالتالي الاستجابة تكون مختلفة وهناك من يعتبر أن احتياجات وأذواق المستهلكين سوف تتلاقى.

أ- ثقافة مختلفة إشهار مختلف:

تنطلق هذه النظرية من أن الاختلاف الثقافي يحدد أنماط الاستجابات العاطفية المختلفة التي تترجم إلى فعل شراء على عكس نظرية العولمة، نمط موحد من سلوك المستهلك في العالم المعولم هو نفسه في كل مكان، على عكس هذا يقول Marieke De Moij البلدان التي تملك اقتصاد مماثل ليس بالضرورة يكون سلوك الفرد مماثلا "فالأذواق في الواقع تختلف وبالتالي⁽⁴⁾ فإن فعالية الإشهار العالمي توضع موضع تساؤل فقدررة الإشهار الموحد ورفض مقارنة الثقافات المختلفة لبيع منتوجات مماثلة، أسطورة، حيث وجد في دراسة ميدانية: أن العلامات التجارية تعتمد على نظرية الثقافة الاستهلاكية العالمية المبنية على التجانس، من خلال القيام بدراسة تجريبية في الولايات و.م.أ واليابان مع عينة لمستهلكين من العامة أن هناك بعض المحفزات المستخدمة كانت مقبولة يمكن استخدامها في جميع البلدان وهناك محفزات كان الموقف اتجاهها سلبيا في البلدين⁽⁵⁾ في دراسة أخرى مقارنة بين أندونيسيا واليابان حيث وجد أن اليابانيين يميلون إلى استعمال الرسوم

(١) Ibid.

(٢) جان بودريار، المصنع والاصطناع، م، س، ذ، ص ١٦١.

(٣) Geoge F. Kneller, op.cit

(٤) Marieke De Moij, advertising world wide: concepts theories and practice of international, multinational, and global advertising, New Jersey, Prentice Hall, 1996, p5.

(٥) Shintaro Okazaki, Barbara Mueller, Charles R. Taylor, global consumer culture positioning testing of soft sell and hard sell advertising appeals between us and Japanese consumer journal of international marketing, June 2010, volume 18, issue02, p20.

المتحركة، الخيال، المنطق، تفضيل الشخصيات الكارتونية، الموسيقى المتقابلة، الجدية، أما الأندونسيون أدوار الجنسين، الخيال، المتعة... الخ.⁽¹⁾

خاتمة:

على الرغم من الاختلافات الثقافية، أصبح المستهلكين في جميع أنحاء العالم أكثر تجانس، قد يرجع ذلك بسبب وسائل الاعلام والتكنولوجيا، والتعليم والسفر حيث يزعم هذه النظرية أن هناك اختلافات سطحية فقط⁽²⁾ بحملها جميع أفراد المعمورة، أو أنها هذه الاحتياجات والأدوات سوف تتلاقى، لأن هناك ثقافات متعددة واحتياجات مماثلة⁽³⁾.

يقول بيرنار كاتولا⁽⁴⁾: "الأمر يتعلق بمشكلة التحويل الثقافي الذي تطرحه كل سياسة إقليمية متعددة القوميات يدعي التسويق الأمريكي بشكل صريح القدرة على خلق استراتيجية عالمية شاملة فما هو جيد وحقيقي ومريح لربات البيوت في ميوسيا... سيكون أيضا جيدا أو حقيقيا لربات البيوت والروحات البلجيكات، القانونيات" هذا تجلي صريح للإمبريالية الثقافية التي تشكلها و.م.أ عبر كل الوسائل، الإشهار إحدى أهم هذه الوسائل.

إنها حالة لطمس كل الاختلافات الثقافية بين المجتمعات حيث تصبح الثقافة الأمريكية هي المسيطرة من خلال نموذج موحد تهيمن عليه ثقافة الاستهلاك، من خلال هذه الثقافة سنكتسب عادات و قيم تنمهي في الخطاب الاشهاري، تصبح فيما بعد تمثلات ثقافية تهيمن على عقولنا و تصرفاتنا، لأنها هيمنت في البداية على فضائنا البصري.

قائمة المراجع:

باللغة العربية:

- ١- ابن منظور، لسان العرب، مج ٢، لبنان، دار بيروت، الطباعة والنشر، ١٩٩٠.
- ٢- آرثر ابرا برجر، النقد الثقافي، تمهيد مبدئ للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء ابراهيم، رمضان سيطاوسي، ط١، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠.
- ٣- أرمان ماتلار، التنوع الثقافي والعولمة، تر: خليل أحمد خليل، ط١، دار الفارابي، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ٢٠٠٠.
- ٤- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، إشراف أحمد عويدات، منشورات عويدات، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.
- ٥- بيرنار كاتولا الاشهار والمجتمع، تر: سعيد بنكراد، ط١، سورية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.
- ٦- جان بودريار، المصطنع والاصطناع، تر: جوزيف عبد الله، مراجعة، سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٨.

(1) Almierafti Vinidya, a cross-cultural content analysis of tv commercials in Indonesia and Japan standardization and adaptation, journal of advertising, September 2013, p25.

(2) ibid, p24.

(3) Young Sook Moon, Kara Chan, **advertising appeals and cultural values in television commercials a comparison of Hong Kong and Korea**, international marketing review, volume 22, issue01, 2005, p50.

(4) بيرنار كاتولا، م، س، ذ، ص ٥٤.

- ٧-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ج٢، لبنان، بيروت، دار الكتاب اللبناني، جميل صليبا، ١٩٨٠.
- ٨-دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، مراجعة الطاهر لبيب، إعداد المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوجد العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٠.
- ٩-سهيل الحبيب، معالم في خطاب النقد الثقافي العربي المعاصر خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، مجلة عالم الفكر، عدد١، المجلد٣، يوليو سبتمبر٢٠٠٧.
- ١٠-طوي بينيت، طوني بينيت، لورانس عروسبيرغ، ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة، مجم مصطلحات الثقافة والمجتمع تر: سعيد العاني، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- ١١-عبد الجليل مرتامن، المقاربة السيميائية لتحليل الخطاب الإشهاري، مجلة الأثر، مجلة الآداب و اللغات، جامعة قاصدي مباح، عدد٧، ماي: ٢٠٠٧.
- ١٢-محمد الولي، الإشهار أفيون الشعوب، مجلد علامات، عدد٢٧، ٢٠٠٧.
- ١٣-نصر الدين العياض، الهوية الوطنية والتلفزيون، عشر أطروحات لتطبيق المسلمات، عالم الفكر، عدد٢، المجلد٣، ٢٠٠٩.

المراجع باللغة الأجنبية:

- 1_Almierafti Vinidya, **a cross-cultural content analysis of tv commercials in**
- 2_ Androniki Kavoura, **a conceptual communication model for strategic advertising policy**, Procedia social and behavioral science, volume 148, 2014.
- 3_Arijit Adhikary, **advertising a fusion process between consumer and product**, journal Procedia economics and finance, volume 11,2014.
- 4_Benjamin Baber, **consumed: how markets corrupt children, inflantilze adults, and swallow citizens whole**, new york, ww.norton, 2007.
- 5_Carlos J. Torelli, Ay Segul ozsomer, Sergio w. Carvalho, **brand concepts as representations of human values: do cultural congruity and compatibility between values matter**, journal of marketing, volume 76, july 2015.
- 6_Chuh Chih Chung, Chris Chang, Lee Wei-Chun, Yan Nang, **the effect of advertisement frequency on the advertisement attitude the controlled effects of brand image and spokes person s credibility**, journal Procedia social and behavioral science , 57, 2012.
- 7_Crant Mc Cracken, **culture and consumption a theoretical account of the structure and movement of the cultural meaning of consumer goods**, journal of consumer research, 19866, volume 13, issue 1,p71
- 8_Douglas Kaliner, media culture, **cultural studies, identity and politics between the modern and the postmodern**, Taylor and Francis group, london and new york,2003.
- 9_George F. Knelleer, Jean Baudrillard after modernity: **provocations on a provocateur and challenge**, international journal of Baudrillard studies, volume 3, issue1, january 2006 in www.ubishops.ca/baumiccadstudies/vol3-1 kellner.htm

Indonesia and Japan standardization and adaptation, journal of advertising, September 2013.

10_ Jean Marc Lehu, **invasion de la publicité dans l'univers cultural ou synergies réelles ?** France, 2006.

11_ Manel Hanoud, **postmoderism and consumer psychologie transformation or break**, international journal of academic research business and social science, volume 2 , issue01 , jonomy 2012.

12_ Marieke De Moij, **advertising world wide: concepts theories and practice of international, multinational, and global advertising**, New Jersey, Prentice Hall, 1996.

13_ Menel Hamouda, Abderrazak Ghariba , the **postmodern consumer; an identity constructor ?**, international journal of marketing studies volume 5, issue02, 2013.

14_ Nicola Borrelli, **advertising a cross cultures a linguistic semiotic analysis of British and Italian tv commercials**, doctoral thesis, university Degli Studi di Napoli, federico2, napoli, italy, 2007.

15_ Prasadh Raj Singh, **consumer culture and postmoderenism**, puper presnted at the international scientific conference, organized by the lumer research center in humainstic science partnsli with romanian academy ,18_19 february, 2011.

16_ Robert Heath, David Brandt, Agnes Nairn, **barnd relationships strengthened by emotion, weakened by attention**, journal of advertising research, December 2006, volume 46, 4.

17_ Shintaro Okazaki, Barbara Mueller, Charles R. Taylor, **global consumer culture positioning testing of soft sell and hard sell advertising appeals between us and Japanese consumer** journal of international marketing, June 2010, volume 18, issue02 .

18_ Stephanie O Donohoe, **living with ambivalence, attitudes to advertising in postmodern times**, journal marketing theory, 2001.

19- Yorgos C. Zotos, Eirini Tsihla, **Femal Stereotype in print advertising: a retros pective analysis**, Procedia, social and behavioral sciences, volume 148, 2014.

20_ Young Sook Moon, Kara Chan, **advertising appeals and cultural values in television commercials a comparison of Hong Kong and Korea**, international marketing review, volume 22, issue01, 2005.

آليات بناء المعاني الرمزية والنفسية للمنتج: مقارنة استخدام العواطف

د.أحمد بوخاري/جامعة الجزائر ٣

ملخص:

تحاول هذه الدراسة أن تبرز دور العواطف في خضم المنافسة الاقتصادية الشديدة التي جعلت المؤسسات تستخدم كل الطرق من أجل التأثير على المستهلكين، هذه المعركة التنافسية تلزم استخدام كل أدوات التسويق التي من شأنها أن تخلق التميز exclusivity، فالتسويق الكلاسيكي حسب المعطيات الجديدة أصبح غير فعال، بحيث تم تعويضه بالتسويق الحسي باعتباره المفهوم الجديد والعصري في مجال التسويق الحديث الذي يستخدم جميع حواس الانسان: البصر، السمع، الشم، الدوق، اللمس، التسويق الحسي هو الحل المبتكر لخلق الخصائص العاطفية للعلامة التجارية، وتحقيق التمرکز الجيد لها في السوق وكذا ربط علاقات قوية مع المستهلك، التسويق الهاصر يركز على أهمية الارتباط العاطفي بين المستهلك والمؤسسة: فالعلامة التجارية تقلل من المخاطر من خلال توفير الطمأنينة والوضوح العاطفي من حيث الجودة والثقة وهنا تولد التجارب العاطفية للشراء والاستخدام.

الكلمات المفتاحية: العواطف في الإشهار، التسويق الحسي، المعاني الرمزية في الإشهار.

مقدمة:

حصلت العواطف والأحاسيس على اهتمام متزايد في مختلف التخصصات في السنوات الأخيرة، خاصة مع التطور التكنولوجي الذي أوجد تقنيات للبحث والمعرفة: حيث أصبح الدور الذي تلعبه العواطف والمشاعر في السلوك البشري أكثر وضوحا على الرغم من أن الكثير لا يزال غير معروف، فالعواطف تلعب دورا هاما في حياتنا خاصة في توجيه الطريقة التي نتخذ بها القرارات، هذا ما جعل الباحثين في مجال الإشهار يلجؤون إلى استخدامها من اجل صناعة قرار الشراء والاستهلاك على الرغم من أن فهم العواطف وقياسها في أبحاث المستهلكين يعتمد إلى حد كبير على مساهمات أكثر من تخصص: علوم الإعلام، علم النفس، الاجتماع، علم الأعصاب الإدراكي... الخ.

١- تعريف العواطف: تحول العواطف الجمهور من حالة نفسية إلى أخرى على النحو الذي يخدم المنتج وبالتالي تؤثر على الأحكام التي سيصدرها المشاهد "إن الانفعالات هي كل التغيرات التي تجعل الناس يغيرون رأيهم فيما يتعلق بأحكامهم حيث تكون مصحوبة باللذة و الألم"^(١) أو هي "مجموعة من المتغيرات في الجسم والدماغ تستجيب لنظام سياقات محددة من التصورات، حاليا أو من خلال التذكر يمكن ملاحظتها خاصة في الوجه"^(٢)، فالمشاعر الإنسانية تحدث نتيجة التغيرات في الجهاز العصبي، سواء من مثيرات داخلية أو خارجية مثل السعادة، الغضب، الفرح، الخوف، تعرفها الباحثة

(١) حاتم عبيد، منزلة العواطف في نظريات الحجاج، مجلة عالم الفكر، عدد ٢٤، المجلد ٤٠، أكتوبر، ديسمبر ٢٠١١، ص ٢٤٢.

(2) Jeanne Sorensen, **measuring emotions in a consumer decision-making context approaching or avoiding**, working paper series, department of business studeis, n20, 2008, AAL Borg university, p11.

Salander: "بأنها مجموعة من التغيرات في الجسد و الدماغ، من خلال الاستجابة إلى محتويات معينة من التصورات أو حدث معين"⁽¹⁾، فهذه المواقف والأشياء تحفز المشاعر، "فتتأثر مناطق من الدماغ، والتي هي جزء من النظام العصبي، ومن ثم إرسال أوامر إلى مناطق أخرى من المخ، ومن ثم إلى كل مكان في الجسم السليم عبر مجرى الدم أو عن طريق مسارات عصبية"⁽²⁾، على الرغم من أن أرسطو لم يمتلك التكنولوجيا الحديثة لفهم العواطف إلا أنه اعتبر أن "العواطف تؤثر في العقل وأن التأثير الذي يصيب عواطف المرء تتحول عدواه إلى عقله"⁽³⁾ كما يضيف أن "للعواطف دور في الحجاج إذ أحسن الخطيب توظيفه يمكن التأثير في جمهوره والانتصار للقضية التي يدافع عنها"⁽⁴⁾.

يمكن تقسيم العواطف إلى الأقسام التالية:

- عواطف أساسية: السعادة، الحزن، الغضب، الخوف الأشمزاز.
- عواطف ثانوية: الحسد الغيرة، الفخر، الشعور بالذنب، الإخراج.
- عواطف ايجابية: الفرح، الثقة.
- عواطف سلبية: الغضب، الحزن، الخوف.

غير أن تفسير هذه العواطف أخذ تضاربا كبيرا يمكن تقسيم أهم النظريات المفسرة للعواطف في ما يلي:

٢- النظريات المفسرة للعواطف:

أ-النظريات الفيزيولوجية:ومن أهم روادها جيمس وكارل لانج، تعود إلى القرن التاسع، حيث تعتبر العواطف عملية فيزيولوجية، كيميائية حيوية أو استجابة فسيولوجية تولد ردود عاطفية.

ب-نظرية تعبيرات الوجه:يمثل هذا التيار الباحثان Ekan و Darwin حيث يطرحان فكرة أنه في البداية العواطف والمشاعر تظهر في الوجه، حيث التحفيز يبدأ في عضلات الوجه، التي تنشط استثارة فسيولوجية، وإرسال ردود فعل حسية للجهاز العصبي الإرادي في الدماغ العواطف، ثم يكون هناك رد فعل.

ج-نظرية العواطف الأساسية:تستند هذه النظرية على أن هناك عواطف أساسية مثل الخوف، الغضب، الفرح، الحزن، هي فطرية لجميع البشر، ثم بالخبرة نكتسب أنماط معينة من العواطف كالكره والغيرة.

د-نظرية الأبعاد:لا تختلف كثيرا عن العواطف الأساسية حيث تطرح هذه النظرية أبعادا للعواطف ومن ثم تفرز عواطف أخرى ثانوية (متعة، استياء).

ه-نظرية الغزو:عوامل مسببة تؤدي إلى سلوك و ردود أفعال عاطفية، غضب بسبب فشل المنتج.قد تكون أسباب داخلية أو خارجية.

(¹) Salander Britta, **emotionality in business to business marketing communications**, doctoral thesis, Northumbria University, 2011, p65.

(²) Ibid,p66 .

(³) حاتم عبيد، م، س، ذ، ص ٢٤٢.

(⁴) المرجع نفسه، ص ٢٤٠.

-ونظرية التقييم: تأخذ هذه النظرية دور العاطفة بالنسبة للفرد في التعامل مع البيئة على أساس افتراض أو تصور فريد يحدد استجابة الفرد العاطفية، لأن هناك أشكال مختلفة و ردود متباينة للعواطف⁽¹⁾

ساهمت هذه النظريات في فهم سلوك المستهلك والإستهلاك ذا الصلة بالخبرات والمشاعر: من حيث قياس مثلا ردود الفعل في الوجه أو العيون وأيضا تصميم مقاييس لقياس العواطف.

٣_ العواطف والاشهار:

هناك أهمية كبيرة لدور العواطف في إنشاء الدافع لدى المستهلك فالانفعالات العاطفية ترتبط باستخدام اللون والأشخاص والأشياء او من خلال مثيرات عاطفية كالنكتة، والثقة والاعتزاز النجاح، التي تعكس العالم العاطفي للمشتري وبالتالي تظهر أهمية الانفعالات في ميدان الاشهار باعتبارها "عنصرا استراتيجيا في مجال الاتصالات التسويقية التي تعمل على زيادة المنافسة بين المؤسسات والحاجة إلى التميز بخلق منافسة إبداعية من خلال التمايز العاطفي"⁽²⁾ على الرغم من أن هناك من الباحثين من ينادى بان تكون الاعمال الإشهارية أكثر عقلانية بناء على خصائص المنتج المراد.

٣_١_ العواطف والإشهار الفعال: يعني بتحقيق الآثار المرجوة من التواصل الإشهاري على المستهلكين، هذه الآثار يتم إنشاؤها عن طريق الإشهار: تشمل مشاعر إيجابية اتجاه المنتج ومن ثم الاقناع والشراء" و الإشهارات تعبر بتأثيراتها في الدماغ البشري من خلال إثارة العواطف والدلالات المرتبطة بالعلامة التجارية فللعواطف دور في توجيه الاستجابات نحو المنتج⁽³⁾ علاوة على ذلك تشير البحوث إلى أن "استراتيجيات الاتصال التي تحتوي على عواطف هي أكثر فعالية في المجالات التجارية"⁽⁴⁾ فالدراسات العصبية أثبتت أن المحتويات العاطفية تؤثر في منطقة الدماغ المرتبطة بصنع القرار، وبالتالي تؤدي إلى قرار الشراء.⁽⁵⁾

٤_ تصنيف المحفزات العاطفية:

أدخل مصطلح جديد في التسويق⁽⁶⁾ وهو حب العلامة فالعلامة التجارية تشارك العاطفة مع المستهلك من خلال حب الفرد للمنتج غير أن درجة فعاليتها تختلف من شخص إلى آخر فالمستهلكين أصحاب مستوى تعليمي قد يفضلون النداءات العقلية، كبار السن أيضا وفيما يلي: أهم المحفزات العاطفية المستخدمة في الإشهار:

١- الفكاهة: هي محفزات المقصود منها أنها تؤدي إلى التسلية باستعمال النكتة، السخرية، الكوميديا، خفة دم، هزل، رسالة فكاهية مرتبطة بالمنتج.

(1) Salander Britta, op.cit, pp68-70

(2) Abhilasha Mehta, Scott C. Purvis, **reconsidering recall and emotion in advertising**, journal of advertising research, march, 2006, p49.

(2) Duygy Aydin Selak, **the relation between positive brand emotion and recall**, online journal of communication and media technology volume 4, issue 1, janury 2014, p176.

(3) Ambler T. Lonnides , **brand on the brain neuro image of advertising**, business strategy review, , volume11, issue 3, 2000, p17

(5) Ambler T. and Burn T. **the impact of affect on memory of advertising**, journal of advertising research, volume39, 1999 ,p25.

(6) Andrej Kovacic, NevnKa Podgornik, **testing case scle for measuring emotional and rational advertising and media effects**, journal of innovative issues and approaches in social sciences, volume 6, n 2, p83.

- ٢- الدفء والمودة: عاطفة إيجابية، مودة عائلية، علاقة ودية بين صديقين، الأسرة، رجل وامرأة وطفل، الجد والأطفال، الأصدقاء، الحيوانات... الخ.
- ٣- الحنين: الرغبة في الأشياء الجيدة من الماضي، يمكن ذلك من خلال الإشارة إلى المناسبات العائلية، الأيام الخوالي.
- ٤- الإثارة الجنسية: درجة مختلفة من الإثارة الجنسية في محفزات الإثارة، العري أو كلام ذو إيحاءات جنسية.
- ٥- الاستفزاز: محفزات استفزازية، لفت النظر، إثارة الفضول، إثارة الشعور، الغموض.
- ٦- الإثارة بالحيوانات: الحيوانات اللطيفة تثير المشاعر الإيجابية، البشعة تثير الشعور بالخوف، قد تشير الحيوانات إلى القوة والسلطة.
- ٧- مميزة: نادرة، فريدة من نوعها، غير عادية، حصريّة، لذيذ، أنيق.^(١)
- ٨- تقليدية: كلاسيكي تاريخي، عتيق، أسطوري، منذ فترة طويلة، تخص بالاحترام.
- ٩- التمتع: الحصول على المتعة، الضحك، سعيد، الاحتفال، الاستمتاع، الأعياد، الاحتفالات.
- ١٠- الشباب: لئن شابا، كن صغيرا، طفل غير ناضج صغير.
- ١١- تواضع: كونها متواضعة، ساذجة، برئ، عفيف النفس، خجول، نقي، متماسح.
- ١٢- سهل: بسيط، طبيعي، ساذج.
- ١٣- مغامرة: الجرأة، الشجاعة، الإثارة.
- ١٤- الحرية: عفوي، متسامح، عاطفي.
- ١٥- الحسد: غرور، تفاخر، السلطة، الهيمنة، الفخر بالممتلكات.
- ١٦- التنشئة: تقديم هدايا، التعاطف، المساعدة، الحب، الاحسان، الدعم، الراحة، الحماية، الاهتمام الضعفاء.
- ١٧- الأسرة: الحنان داخل الأسرة، خصوصية العائلة، القرابة، الزواج.
- ١٨- الزينة: جميلة، زخرفة، تفضل، تصميم، طراز رفيع.
- ١٩- عزيز: أغنياء، إشراف، باهضة، فاخرة، لا تقدر بثمن.
- ٢٠- شعبي: شائع، عرفى، تقليدي، نموذجي.
- ٢١- ساحر: معجزات، غموض، خرافات.
- ٢٢- الاسترخاء: الراحة، الرضا، العفاف، السهولة، الإجازة، العطلة.
- ٢٣- النضج: الكبار، الحكمة، التعاقد.
- ٢٤- التواضع: غير مزعج، يقبل مصيره، ودفع.

(^١) sanland Britta, op.cit,pp121,122.

٢٥- رقيق: حساس، لذيذ، أنيق.

٢٦- بدائي جامح: عنيف الطباع، مشاكس، شره، مخادع، غير منضبط.

٢٧- الانتماء: يكون مقبول، يحب الأقران والزملاء، المجتمع، الرفقة، التعاون، المعاملة بالمثل، توافق العادات الاجتماعية.

٢٨- التعبير عن الحب: الامتنان كل التعبيرات الممكنة ما عدا الجنسية منها.

٢٩- المجتمع: تتعلق بالمجتمع والدولة، الرأي العام الوطن، الفرد على المصلحة العامة، الوحدة، الهوية، الوطنية المدنية، منظمات المجتمع المدني.⁽¹⁾

٢٩- الفردية: الاعتماد على الذات، التميز، خلاف الآخرين.

بالإضافة إلى كل هذه المحفزات ظهر في الآونة الأخيرة اشهار ايكوديساين: صديق البيئة بالإضافة إلى ارتباطه بالحيوانات و هذا النوع من الإشهارات سنركز علمهما فيما يلي:

٣٠- ايكوديساين: ecodesign: هو الاتجاه الجديد نسبيا في مجال الاشهارات بدأ بشكل رئيسي في العقود الأخيرة، نواحي سنة ١٩٩٠، يرتبط هذا المفهوم بالبيئة، التنمية المستدامة، إعادة التدوير يعبر عنها في الاشهار بشعارات مثل: صديق البيئة، البيئة الخضراء، أو يسمي التسويق الأخضر⁽²⁾، حقق هذا الاشهار في السنوات الأخيرة قفزة كبيرة بسبب كون مواضيع البيئة أصبحت موضوعا لا يمكن تجاهله بسبب المشاكل البيئية المستحدثة: التلوث الاحتباس الحراري، فكل التنبؤات المناخية تنذر بالخطر من جراء ازدياد نسبة النفايات وانبعث غاز ثاني أكسيد الكربون... الخ.

هذا النوع من الاشهارات يجعل المنتجات متوافقة بيئيا أو منتجات صديقة للبيئة بحيث لا تسبب اختلالا في التوازن البيئي لذلك نجد في هذا النوع من الاشهارات يتم استخدام مجموعة من العبارات المتكررة منها على سبيل المثال: تتوافق مع بيئتنا، قابلة للتحويل، مواد يمكن تدويرها، كما يتم اللجوء الى استخدام في هذا المجال بالتحديد صور لبيئة جميلة لها بعد فني وجمالي⁽³⁾.

٣١- العواطف باستخدام الحيوانات:

كثيرا ما يتم اللجوء إلى توظيف الحيوانات في الإشهارات المتنوعة من أجل هدف رئيسي و هو خلق الارتباط العاطفي بين المنتج وقيمته، حيث تستخدم الحيوانات خاصة في السياقات الغربية، ففي دراسة تحليلية لظهور الحيوانات في الإشهارات بالو.م.أ تم التأكيد على أن ظهور هذه الحيوانات هو للتعبير عن مجموعة من العواطف كالحب مثلا، أو لمصاحبة للأطفال: مثلا في منتجات ملابس الأطفال عادة ما يظهر الكلب وهو يلعب مع الأطفال، في الإشهارات الخاصة بالملابس الفخمة للنساء عادة ما يصاحب الكلب المرأة للتعبير عن السيادة، فالحيوان هنا هو صديق بديل للأطفال و صديق للمرأة والرجل بديل المجتمع⁽⁴⁾.

بالإضافة إلى هذه العواطف الإيجابية هناك استخدام أيضا لبعض العواطف السلبية: مثل الخوف و الترقب أو الطمع.

⁽¹⁾ ibid, p127.

⁽²⁾ Dorin Popa, **ecodesign in advertising : aesthetic aspects**, Procedia social and behavioral science, volume 149 , septmber 2014, p719.

⁽³⁾ ibid, p725.

⁽⁴⁾ Patricia Kennedy, Mary G.MC Garvey, **animal, companion depictions in women's magazine advertising**, journal of business resaerch, volume 61, 2008, p428.

5_ التأثيرات المحتملة للعواطف على سلوك المستهلك:

أظهرت الأبحاث المتعلقة بالمستهلكين أن العواطف تلعب دورا مهما في صنع قرار الشراء، فالفرد قد ينقاد وراء عواطفه في استهلاك وشراء أشياء معينة، كما أن الاستجابات العاطفية من خلال الاشهار يمكن أن "تؤدي إلى مواقف ايجابية نحو المنتج كما يمكن أن يكون لها دور في التخفيف من السلوكات السلبية من خلال الشعور بالذنب"⁽¹⁾.

1- عملية الوعي بالعلامة التجارية: إن إدراك الجودة في المنتجات عملية معقدة، وعادة ما يكون الذي يدرك هذه الجودة قد مر بمراحل و خطوات متعددة الأبعاد، فالجودة ينظر إليها تارة على أنها مميزات المنتج، وتارة أخرى فإن موضوعية التحقق من هذه الجودة يكون عبر قرائن، لكن قد تساعد عملية التكرار الاشهاري لعرض المنتج من هذه العملية خاصة انه في كل يوم يتم عرض الملايين الأنواع من المحفزات والروائح والأصوات لكن كمية صغيرة منها تؤخذ بعين الاعتبار ونعالجها بواسطة الدماغ⁽²⁾، فالمستهلك يصبح يميز منتج عن منتج آخر، وهي قدرة المستهلك على استرداد العلامة التجارية من الذاكرة.

2- ردود عاطفة إيجابية: المشاعر تلعب دورا مهما في تشكيل المواقف والأحكام حول الإشهارات، وقد تكون وسيط مهم في شرح العلاقة بين ردود الفعل المعرفية والسلوكية و المحفزات الإشهارية كما قد تناشد أيضا ميول المستهلكين و تثير استجابات ايجابية و هذا استنادا الى بحوث ميدانية اكدت هذا الشيء، فالاشهار لديه قدرة الحصول على ردود فعل من المستهلك وبالتالي التأثير على موقفه إتجاه السلعة وبالتالي تغير النوايا السلوكية من خلال فرضيتين:

فا : هناك علاقة ايجابية بين الاستجابة العاطفية للإشهار والموقف من الإشهار.

فأ : هناك علاقة ايجابية بين الموقف من الاشهار والنوايا السلوكية⁽³⁾

3- التفكير السليم: الفرد قد يشارك في إجراء تقييم فعال و منطقي عن المنتج، ولذلك فإن أهمية التحفيزات العاطفية الموجودة في الاشهار تكمن في القدرة على استدراجهم لاتخاذ القرار، مثال: إذا لم تشتري هذه السترة اليوم ولن تجدها فيما بعد فستأسف لذلك⁽⁴⁾.

4- التخفيف من الشعور بالذنب:

يظهر هذا الشعور خاصة عند استهلاك بعض السلع والمنتجات التي لا تلتزم بالمبادئ الاخلاقية والاجتماعية، مثل (سجائر، مشروبات كحولية... الخ) فهي تثير الشعور بالذنب عند استهلاكها لأنها تؤثر على صحتنا و عافيتنا وهي بالنتيجة عبارة عن عواطف سلبية، لذلك لا بد من إضافة عواطف تقلل أو بالأحرى تعوض مشاعر الإحساس بالذنب، فالمتعة يجب أن تأخذ الأسبقية على ضمائرهم من خلال خلق حالة "البراءة" و"مذهب المتعة" في الاستهلاك التي تعمل على التخفيف من الشعور بالذنب، يمكن أن نقول هنا أن منتجات المتعة يمكن استخدامها كوسيلة لإدارة العواطف على وجه التحديد بالإضافة إلى التقليل من آثار المشاعر السلبية.

(1) Elyria Kemp, My Bui, Sindy Chapa, **the role of advertising in consumer emotion management**, international journal of advertising , volume 31 issue(2) p 339.

(2) Mai Ngoc Khuong and Vu Mgc Bich Tram, **the effects of emotional marketing on consumer product perception**, brand awareness and purchase decision a study in Hochi Minch City, Vitnam, journal of economics, business and management, volume issue5 , may 2014, p 525.

(3) Elyria Kemp, My Bui, Sindy Chapa, op. cit, p 341.

(4) ibid, P 343.

يملك الاشهار القدرة على استحضار الاستجابات العاطفية للمستهلكين كما يمكن أن تكون له فعالية في مناقشة النوازع، وتنظيم عاطفة المستهلكين، من خلال استخدام آليات كامنة تعمل على تنظيم العاطفة و ترشيد المتعة و الاستسلام للاغواء و كل ما يتعلق بقيادة العملية الاستهلاكية.

خاتمة:

في الأخير يمكن أن نقول أن مختلف الأبحاث أكدت أن المحفزات العاطفية في الإشهار تؤثر على معتقدات ومواقف المستهلك حول العلامة التجارية المعلن عنها، وكذلك الموقف اتجاه الاشهار نفسه، لذا نجد أن مختلف الإشهارات تنتج المشاعر التي تؤثر على فعالية الإشهار، فالرسائل العاطفية يتم تذكرها بسهولة أكبر من العاطفة المحايدة؛ حيث أشارت الأبحاث إلى أن الإشهار العاطفي يستحضر أكثر من الإشهارات المنطقية من خلال استعمال المحفزات البصرية التي تؤدي إلى تحقيق كثافة عاطفية تؤدي إلى أداء أحسن للذاكرة، وارتفاع معدلات التذكر. الهداءات العاطفية يمكن أن تؤثر على نوايا الشراء، كما يمكن أن تؤثر على الذاكرة، فالذاكرة عامل مهم في أي عملية إشهارية، لأنه أهم شيء يساعد على تحقيق السياسة التسويقية أهدافها هو تحقيق تخزين الرسالة الترويجية في الذاكرة خاصة أن الإشهار الفعال هو الذي يترسخ في الذاكرة لمدة طويلة.

قائمة المراجع:

١. حاتم عبيد، منزلة العواطف في نظريات الحجاج، مجلة عالم الفكر، عدد ٤، المجلد ٤، أكتوبر، ديسمبر ٢٠١١

1. Abhilasha Mehta, Scott C. Purvis, **reconsidering recall and emotion in advertising**, journal of advertising research, march, 2006.
2. Ambler T. and Burn T. **the impact of affect on memory of advertising**, journal of advertising research, volume 39, 1999.
3. Ambler T. Lonides, **brand on the brain neuro image of advertising**, business strategy review, volume 11, issue 3, 2000.
4. Andrej Kovacic, NevnKa Podgornik, **testing case scle for measuring emotional and rational advertising and media effects**, journal of innovative issues and approaches in social sciences, volume 6, n 2.
5. Dorin Popa, **ecodesign in advertising: aesthetic aspects**, Procedia social and behavioral science, volume 149, septmber 2014.
6. Duygy Aydin Selak, **the relation between positive brand emotion and recall**, online journal of communication and media thechnolgy volume 4, issue 1, janury 2014.
7. Elyria Kemp, My Bui, Sindy Chapa, **the role of advertising in consumer emotion managemnt**, international journal of advertising, volume 31 issue(2).
8. Jeanne Sorensen, **measuring emotions in a consumer decision-making context approaching or avoiding**, working paper series, department of business studeis, n20, 2008, AAL Borg university.
9. Mai Ngoc Khuong and Vu Mgoc Bich Tram, **the effects of emotional marketing on consumer product perception**, brand awareness and purchase decision a study in Hochi Minh City, Vitnam, journal of economics, business and management, volume issue 5, may 2014.



10.Patricia Kennedy, Mary G.MC Garvey, **animal, companion depictions in women's magazine advertising**, journal of business research, volume 61, 2008.

11.Salander Britta, **emotionality in business to business marketing communications**, doctoral thesis, Northumbria University, 2011.

طريقة تدريس العلوم الاجتماعية في ظل نظام ل م د وعلاقتها بالدافعية للتعلم لدى الطلبة: دراسة ميدانية بجامعة أم البواقي-الجزائر- د.نصراوي صباح/جامعة أم البواقي، الجزائر

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى تحديد الطريقة التدريسية السائدة في ظل نظام ل م د وعلاقتها بالدافعية للتعلم لدى طلبة العلوم الاجتماعية، وتم استخدام المنهج الوصفي لمناسبته لموضوع الدراسة وقد طبقت الدراسة على عينة من طلبة وأساتذة جامعة العربي بن مهيدي قوامها (252) طالبا و (1) أستاذة، وتم استخدام مجموعة من الأساليب الإحصائية لمعالجة البيانات منها: التكرارات، المتوسطات الحسابية، النسب المئوية لتحديد توزيع الاستجابات، ومن أجل جمع البيانات اللازمة للدراسة اعتمدت الباحثة على مقياس الدافعية للتعلم لتحديد مستوى الدافعية للتعلم لدى طلبة العلوم الاجتماعية، وأداة المقابلة التي طبقت مع الأساتذة لمعرفة طريقة التدريس التي يستخدمونها في ظل نظام ل م د من وجهة نظرهم وكذا علاقتها بمستوى الدافعية بعد تحديده مسبقا.

وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

- أن الأساتذة يستخدمون في تقديم دروسهم الطرق التقليدية بشكل أكبر من الطرق الحديثة.
 - أما بخصوص العلاقة بين طريقة التدريس المستخدمة من قبلهم وانخفاض مستوى الدافعية لدى طلبتهم فإن:
بعض الأساتذة أرجعه إلى طريقة التدريس الغير محفزة والمنتهجة من قبل الأساتذة خاصة القليلي الخبرة منهم، وإلى طريقة تعامل الأستاذ مع الطلبة أثناء التدريس لجذبهم للمادة العلمية المقدمة من قبلهم.
- الكلمات المفتاحية: طرائق التدريس، الدافعية للتعلم، نظام ل م د في الجامعة الجزائرية، العلوم الاجتماعية.

مقدمة:

أصبحت الجامعة في عصرنا الراهن أحد المقومات الأساسية للدولة العصرية، فإليها ترجع مهمة نقل المجتمع وصولا به إلى الرقي، وذلك عن طريق إمداده بأهم ثروة يمتلكها وهي الثروة البشرية، وهو الأمر الذي سعت إليه الدول الأوروبية بتبنيها لإصلاحات جديد من شأنها جعل الجامعة مؤسسة فعالة في المجتمع، قادرة على التفاعل مع متطلباته وحل مشكلاته وتوفير احتياجاته... أي باختصار جعل الجامعة مؤسسة منتجة في المجتمع مع مراعاة شروط ومعايير الجودة في منتجاتها وذلك من أجل ضمان تحقيق الفعالية والنجاح المتوقعة منها، ومن أجل تحقيق هذه الجودة تبنت الدول الأوروبية هيكلة جديدة مشتركة لنظامها التعليمي في طوره الجامعي سميت بنظام (ل م د، LMD) ، هذا النظام الذي سعت من خلاله لتغطية متطلباتها الاجتماعية من الكفاءات القادرة على المساهمة في تقدمه ورقيه.

وقد انخرطت الجامعة الجزائرية في سياق هذا النظام بصورة فعلية سنة ٢٠٠٠، سعيا منها لمجارات التطورات الخارجية في مجال التعليم الجامعي ولتأدية الأدوار الاجتماعية المنتظرة منها، هذا الدور الذي لا يتأتى إلا عن طريق مفاعل العملية التعليمية في الجامعة وهو الأستاذ الجامعي باعتباره العنصر المحرك للعملية التكوينية و القادر على تجسيد الأهداف المسطرة للجامعة؛ من خلال قيامه بالعديد من الأدوار التي لا يمكن أن تكون ثابتة، وإنما تتغير بتغير حاجات الجامعة، والمجتمع، والموقف التعليمي، و ذلك من أجل مجاراة التطورات في البيئة الداخلية والخارجية، فدور الأستاذ لم يعد مقتصرًا على نقل المعارف والمعلومات إلى أذهان الطلبة لكنه تعدى ذلك إلى توجيه المتعلمين ومراعاة طبيعتهم وما بينهم من فروق فردية، فالنظرة التربوية الحديثة أصبحت تركز على المتعلم أو الطالب باعتباره محور العملية التعليمية في مختلف مراحلها، حيث أصبح من بين أهم أدوار الأستاذ الحديثة (في ظل نظام ل م د) هو العمل على استثارة دافعية الطلبة للتعلم عن طريق استخدام استراتيجية التدريس القادرة على ذلك، فلا يمكن القول أن هناك طريقة تدريس مثلى تصلح لكل المتعلمين ولكل المواد التعليمية ولكل المواقف التعليمية، ولكن هناك مجموعة من الأسس الواجب توفرها في الدرس حتى يكون قادرا على خلق الدافعية للتعلم لدى طلبته كما ينص عليها نظام ل م د من خلال خلق حب الاستطلاع لديهم، وكذا الكفاية الذاتية وخلق الاتجاه نحو التعلم وتوفير البيئة الملائمة لخلق وتنمية الدافعية للتعلم؛ وطالب العلوم الاجتماعية شأنه في ذلك شأن باقي الطلبة فهو بحاجة أيضا إلى أن يدرس بالطرق التي تكفل للأستاذ الوصول به إلى مستوى عال من الدافعية للتعلم، وبصفة عامة من أجل الوصول بالمرشح الجامعي إلى النوعية والجودة اللازمة لتحقيق الأهداف الحديثة للجامعة كما سبق الذكر.

من هنا سنقوم من خلال هذا البحث باستقراء واقع جامعتنا لمعرفة مدى قدرة الطرق التدريسية السائدة (تقليدية أو حديثة) في تدريس هذا الميدان على خلق الدافعية للتعلم لدى طلبتها.

١. إشكالية الدراسة:

يتميز العصر الحالي بأنه عصر العلم والمعرفة فمن امتلك العلم امتلك القوة، من هذا المنطلق تتجلى لنا الأهمية الكبرى للمؤسسات التربوية باعتبارها المسؤولة عن تزويد الفرد بهذه المعرفة في مختلف مراحل حياته التعليمية بل وإكسابه الشخصية القادرة على إحداث التغيير من خلال البصمات التي تتركها على سلوكيات الأفراد طوال حياتهم، وإذا تحدثنا عن أهمية المؤسسات التعليمية نجد الجامعة تربع في أعلى المراحل التعليمية ونجدها من بين المؤسسات الأكثر حساسية في المجتمع كونه المسؤولة عن تزويده بالموارد البشري الفعال القادر على دفع عجلة التطور، والأستاذ الجامعي هو أداة الجامعة في ذلك كونه المسؤول عن تزويد الطالب بالمعارف العلمية من جهة وخلق الشخصية القادرة على البحث والتعلم الذاتي من جهة أخرى، هذه الأخيرة التي أصبحت لا بد منها في ظل الاتساع الهائل والتطور السريع للمعرفة، حيث لم يعد بمقدور الأستاذ الاعتماد على الطريقة التقليدية التلقينية، وهو الأمر الذي ركزت عليه مبادئ النظريات التربوية الحديثة التي أصبحت تنظر إلى العملية التعليمية باعتبارها فن لإكساب المعلومات، الأمر الذي أدى إل ظهور العديد من الأساليب والطرائق التدريسية، والتي أصبحت تعتبر من الأدوات الفعالة والمهمة في العملية التربوية، حيث أنها تلعب دورا مهما وأساسيا في تنظيم الحصة الدراسية وكذا في اختيار الوسائل المساعدة و تحدد المنهج الذي يتم من خلاله تناول المادة العلمية...، وباختصار يمكن القول أن طرق التدريس هي سبيل الأستاذ للوصول إلى تحقيق الأهداف التي سطرها، فهي القادرة على تحديد دور كل من المدرس والمتعلم في العملية التعليمية وصولا بالمتعلم إلى تكوين الشخصية الفاعلة والمؤثرة وبالتالي فعالية العملية التعليمية.

مما سبق نلاحظ أن وظيفة خلق الدافعية للتعلم لدى المتعلم باتت من أهم أهداف العملية التربوية بصفة عامة، ومن أهم وظائف الأستاذ بصفة خاصة، وأصبح ينظر للدافعية على أنها وسيلة لتطوير التعلم ورفع كفاءة الطلاب وتحسين مهاراتهم وتطويرها، ويمكن اعتبارها بأنها تلك الطاقة الكامنة داخل المتعلم والقادرة على الوصول به إلى التعلم.¹

ولخلق هذا الطالب المدفوع والقادر على البحث والتعلم ذاتيا تنوعت المداخل التربوية التي تناولت طرائق التدريس وأهداف ومبررات ووسائل استخدام كل طريقة لجعلها أداة لتحقيق الهدف من العملية التعليمية الحديثة والمتمثل في الوصول إلى شحن الطالب بأكبر قدر من الطاقة واستخراج تلك الرغبة الداخلية القادرة على جعل الطالب قادرا على التعلم، وطالب العلوم الاجتماعية شأنه في ذلك شأن باقي الطلبة في الميادين الأخرى فهو بحاجة إلى أن يدرس بالطرائق التدريسية القادرة على جعل محتوى هذا الميدان مصدرا لإثارة الرغبة والدافعية للتعلم واكتساب المعرفة وإلغاء المبدأ الشائع الذي يوحي بأن فحوى هذه التخصصات لا يدرس إلا عن طريق التلقين.

من هنا تكمن أهمية هذه دراسة في سعيها إلى معرفة طرائق التدريس السائدة في ميدان العلوم الاجتماعية من وجهة نظر الأساتذة باستخدام مؤشرات كل من الطرائق التقليدية والطرائق الحديثة في التدريس. ودورها في التأثير على مستوى الدافعية لدى طلبتهم والتي يمكن الاستدلال عليها من خلال (حب الطالب للاستطلاع، مجموع الكفايات الذاتية،² الاتجاه الإيجابي)، ومن ثم سنجيب على تساؤل الدراسة التالي:

- ما مدى قدرة الطرق التدريسية السائدة في تدريس العلوم الاجتماعية في ظل نظام ل م د على خلق الدافعية للتعلم لدى الطلبة من وجهة نظر أساتذتهم؟

وسنجيب عن هذا السؤال من خلال الإجابة على الأسئلة الفرعية التالية:

- ما هو مستوى الدافعية لدى طلبة العلوم الاجتماعية؟
 - هي طريقة التدريس السائدة في ظل نظام ل م د؟
 - ما هو تأثير الطريقة السائدة على مستوى الدافعية لدى الطلبة حسب وجهة نظر الأساتذة؟
٢. أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الحالية إلى ما يلي :

- تحديد مستوى الدافعية لدى طلبة العلوم الاجتماعية.
- تحديد طريقة التدريس السائدة في تدريس ميدان العلوم الاجتماعية في ظل نظام ل م د.
- تحديد مدى قدرة طريقة التدريس السائدة في تدريس العلوم الاجتماعية في ظل نظام ل م د على خلق الدافعية لدى الطلبة.

٣. أهمية الدراسة :

- يعتبر موضوع الدافعية للتعلم من بين أكثر موضوعات علم النفس أهمية ودلالة سواء على المستوى النظري أو التطبيقي، فمن الصعب التصدي للعديد من المشكلات السلوكية دون الاهتمام بدوافع الكائن الحي، من هنا تكمن أهمية هذه الدراسة في تحديد جوانب القوة والنقص في دافعية التعلم لدى طلبة العلوم الاجتماعية وبالتالي إمكانية اتخاذ تدابير علاجية بغض النظر عن طرائق التدريس المنتهجة.

¹ العتوم، عدنان يوسف، وآخرون. (٢٠٠٨)، علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، ط١، عمان، دار الهدى، ص١٧٣.

- تعتبر طرائق التدريس من الأدوات الفعالة والمهمة في العملية التربوية حيث تلعب دورا مهما في تنظيم الحصة الدراسية وفي تناول المادة العلمية وفي تحديد الوسائل المساعدة...، من هنا تكمن أهمية هذه الدراسة في تزويد الأستاذ الجامعي بخلفية معرفية حول الطرائق التدريسية، ومتطلبات استخدام كل طريقة ووسائلها وإيجابياتها وأي منها تؤدي إلى تحقيق أهداف نظام ل م د.
- لفت انتباه الأساتذة الجامعيين بالعلوم الاجتماعية إلى طريقة التدريس السائدة التطبيق من قبلهم وكيف أثرت على مختلف جوانب الدافعية للتعلم لدى طلابهم.
- إن إطلاع الأساتذة على نتائج الدراسة سوف يمكنهم من معرفة مكان النقص لديهم مقارنة مع ما يتطلبه نظام ل م د كل وبالتالي إمكانية إعادة النظر والسعي إلى التطوير الذاتي.
- ٤- مفاهيم الدراسة: لكل دراسة مجموعة من المفاهيم تخدم الموضوع بشكل مباشر وتساعد الباحث على تحديد مسار بحثه، ولقد تم استخدام المفاهيم التالية في الدراسة الحالية:

١٤ طرائق التدريس:

إن الاهتمام بمهنة التعليم في مختلف المستويات التعليمية يعد من بين أهم الخطوات الفعالة في تطوير نوعية التعليم، هذه الأخيرة التي يمكن القول أنها لن تتم إلا عن طريق المدرس الكفاء القادر على خلق مخرج ذو نوعية معرفية وشخصية، وفي ظل التطور العلمي والتقني الهائل أصبح من الضروري أن يستخدم المدرس مجموعة من الطرق والأساليب التدريسية القادرة على تزويد الطالب بالمهارات المسطر لها ضمن الأهداف، ولهذا سنتطرق في هذه الدراسة إلى بعض طرائق التدريس من خلال تقسيمها إلى شقين: طرائق التدريس التقليدية وطرائق التدريس الحديثة:

أ - الطرق التقليدية في التدريس: من أهمها:

✓ طريقة المحاضرة: هي عملية إلقاء وعرض للمعلومات والمهارات ونقل للخبرات من المدرس إلى الطالب، وهذه الطريقة تتمركز حول الأستاذ باعتباره المحور الرئيسي فيها، وتعد طريقة المحاضرة من أقدم الطرق استعمالا وأكثرها شيوعا بين المدرسين، وهي طريقة تقليدية تعتمد على الإلقاء وتستخدم بشكل متكرر في العلوم الاجتماعية والإنسانية.¹

خطوات طريقة المحاضرة:

هناك مجموعة من الخطوات التي يجب أن يتبعها المدرس في تقديم المحاضرة لكي يتمكن من أهدافها وأن هذه الخطوات تكون على النحو التالي:

- المقدمة: تعتبر المقدمة مدخلا للمادة التي سوف تطرح في الحصة الدراسية وذلك بهدف تهيئة الطلبة لتقبل المعلومات وشدهم إليها.
- تقديم وشرح الموضوع: يقوم المدرس بتقديم الموضوع وفق الخطة الموضوعية للحصة الدراسية.
- الربط ما بين أجزاء المادة: يقوم المدرس أثناء عملية التقديم والشرح بالربط ما بين أجزاء المحاضرة والمواضيع التي تطرح فيها وصولا إلى المفهوم العام كي لا ينصرف الطلبة إلى استقبال بعض الفقرات وإهمال أخرى بالشكل الذي لا يجعلهم يستوعبون الموضوع بشكل مفصل.¹

¹ الحريزي، رافدة (٢٠١١). الجودة الشاملة المناهج وطرق التدريس، ط١، عمان، دار المسيرة، ص٥٧.

■ الاستنباط:يقوم المدرس بعد العرض والربط بمساعدة طلبته على الاستنباط من خلال استخلاص وتحديد الخصائص العامة والنقاط الأساسية للموضوع وتحديد القوانين العامة والتعميمات.

■ التقييم:وتعتبر آخر خطوة يمارسها المدرس بعد الانتهاء من تقديم المادة والربط والتوصل إلى الاستنتاجات النهائية يقوم المدرس بتوجيه مجموعة من الأسئلة على الطلبة حول الموضوع الذي تم إلقاءه لتقييم مدى اكتساب الطلبة للمعلومات التي قدمت فيها.²

✓ طريقة المناقشة:تعتبر من الطرائق التقليدية في التدريس والتي تعتمد على الإلقاء والمناقشة وأن المدرس يقوم بشرح المادة في الحصة الدراسية وخلال عملية الشرح والتقديم يقوم بإثارة مجموعة من الأسئلة والتي تفسح المجال للمناقشة ما بين المدرس والطلبة من أجل التوصل إلى الحقائق، ويقوم المدرس بالإجابة على الأسئلة المثارة من قبل الطلبة.³

أي أن طريقة المناقشة تعتمد على إستراتيجية النقاش والمحاورة وطرح الاستفسارات على المدرس وكذا على بعضهم البعض من أجل التوصل إلى حقائق العلوم وخبايا المعارف.

وتتم طريقة المناقشة عن طريق الإعداد للمناقشة ثم الترتيب ثم التنفيذ.

ب الطرق الحديثة في التدريس:طرق التدريس الحديثة كثيرة ومتنوعة إن لم نقل غير محدودة لهذا سوف نقوم بعرض أبرز هذه وأكثرها تماشياً مع طبيعة التعليم الجامعي بصفة عامة ومع التعليم في ميدان العلوم الاجتماعية بصفة خاصة.

طريقة التعليم التعاوني: التعلم التعاوني هو طريقة التدريس التي تقوم على توزيع طلبة الصف إلى مجموعات صغيرة متكافئة من قبل المعلم، يتراوح عدد كل مجموعة ما بين (٦-٣) طلبة حسب حجم الصف، ومن مختلف المستويات، ويتشاركون مع بعضهم البعض لتحقيق الأهداف التي رسمها المدرس، ويتم التنافس في هذه الطريقة بين المجموعات المحددة والتعاون بين أفراد المجموعة الواحدة، ويقصر دور المدرس على التوجيه والتنظيم العام لعمل المجموعات وإعطاء التغذية الراجعة عند الحاجة لكافة المجموعات وتقديم التعزيز.⁴

طريقة التعليم الذاتي: يعرف التعليم الذاتي بأنه نظام تعليمي ييسر لطالب القيام بدراسة يختارها، ويقوم بذلك متحرراً من قيود الزمان والمكان والالتزامات التي تفرض عادة في التعليم التقليدي ويمكن أن يتم ذلك بإشراف المدرس أو دونه، والتعليم الذاتي في إطار المنظمات التعليمية يكون بتهيئة الموقف التعليمي ومنظومته على النحو الذي يستثير دوافع الطالب إلى التعلم ويزيد من قدرته في الاعتماد على نفسه في تعلمه متفاعلاً مع مصادر الخبرة من حوله، وهو الشيء الذي يوفر له قدراً أكبراً من المشاركة في اختيار مادته التعليمية، ويعينه على اكتساب مهارات التعلم الذاتي، والقدرة على تقييم تقدمه نحو تحقيق أهدافه.⁵

ويقوم المدرس في هذه الطريقة بإعادة صياغة المحتوى التعليمي في شكل مشكلات تعرض على الطلبة، ويقوم المدرس بمساعدة للطلبة على اكتشاف حلول لهذه للمشكلات.⁶

١ ردينة، عثمان يوسف.(٢٠٠٥)، حذام عثمان يوسف، طرائق التدريس(منهج، أسلوب، وسيلة)، ط١، عمان، دار المنهاج للنشر والتوزيع، ص٨٠

٢ الحريري، نفس المرجع، ص٥٧.

٣ (ردنية، نفس المرجع، ص٦٧.

٤ الصمادي، محارب علي محمد.(٢٠١٠)، استراتيجيات التدريس بين النظرية والتطبيق، ط١، الأردن، دار قنديل للنشر والتوزيع، ص:٢٤٠-٢٤٢.

٥ فرج، عبد اللطيف حسين. (٢٠٠٧)، تحفيز التعلم، ط١، السعودية، دار الحامد للنشر والتوزيع، ص:٢٧٣-٢٧٤.

٦ عبید، ليم. (٢٠٠٩)، استراتيجيات التعليم والتعلم في سياق ثقافة الجودة، ط١، عمان، دار المسيرة، ص٢٥٣.

طريقة التعليم الإلكتروني: يعرف التعليم الإلكتروني على أنه ذلك النوع من التعليم القائم على شبكة الحاسب الآلي، وفيه تقوم المؤسسة التعليمية بتصميم موقع خاص بها ورموزها أو برامج معينة لها. ويتعلم الطالب فيه عن طريق الحاسب الآلي ويكون بإمكانه الحصول على التغذية الراجعة¹.

والتعلم الإلكتروني هو فرص التعلم التي يتم إتاحتها وتسييرها بوسائط إلكترونية تتضمن وسائط متعددة كتابية ورمزية وبصرية وبيانية، صامتة ومتحركة، كما أنه لا يتيح فقط للمتعلم أن يختار المحتوى الذي يتعلمه بل وأن يختار الوقت الذي يتعلم فيه².

٢٤ الدافعية للتعلم: يرى علماء النفس التربوي أن الدافعية تعد من أهم المبادئ التربوية، فبدون الرغبة في التعلم لن يكون هناك أي تعلم، ويمكن تعريفها بأنها حالة داخلية في الطالب تثير سلوكه وتعمل على استمرار هذا السلوك وتوجيهه نحو تحقيق هدف، أي توجه ميل اهتمام الطالب نحو متعلم معين مروراً بالمراحل التالية:

- توجد لدى الطالب حالة توتر نفسي والتي قد تفضي إلى سلوك معين لإشباع هذا الميل.
- يحدد الطالب طريقة معينة لاختيار السلوك المرتبط بهذا الميل.
- توجيه هذا السلوك بالطريقة التي يرى بأنها تؤدي إلى تحقيق الهدف المسطر³.

وهناك مجموعة من الأساليب الواجب استخدامها في ظل نظام ل م د من أجل زيادة الدافعية عند الطالب، فيما يلي أهمها:

- وضع الطلبة في مواقف البحث والاستطلاع، لأن حب الاستطلاع أساسي للتعلم والإبداع، ويتحدد دور المدرس برعايت البحث وتنمية الاستطلاع لدى طلبته.
- استخدام أسلوب الأسئلة بدلاً من تقديم المعلومات.
- استخدام مفاهيم جديدة وحديثة في التعليم.
- استخدام الاستكشاف.
- تقليل فرص الرقابة التي تخلق الملل وتقلل من انتباه الطلبة.
- ربط الدافعية بالتحصيل ونتائجه.
- استخدام أسلوب التشكيك في معلومات الطالب بالشكل الذي يزيد من دافعيته للبحث.
- توفير جو تعليمي يسوده الحب والأمن والحرية.
- تقليل فرص التهكم والسخرية بآراء الطالب.
- إتاحة الفرص للنجاح لأن النجاح يؤدي إلى النجاح.
- توفير ظروف بيئية ملائمة للتعلم مثل استخدام الوسائط والمثيرات الحسية.
- استخدام أساليب التعزيز المختلفة والمناسبة لكل موقف تعليمي.
- تجنب الممارسات النمطية في إجراءات التعلم.

١ مقداد، محمد (٢٠٠٤). الإعداد التربوي للأستاذ الجامعي نحو طريقة شاملة، كتاب وقائع ندوة تنمية أعضاء هيئة التدريس، كلية التربية جامعة الملك سعود، الرياض، ص: ٤.

٢ عبيد، نفس المرجع، ص ٢٥٣.

٣ درويش، جلس داوود، وأبو شقير محمد (دس). محاضرات في مهارات التدريس، دط، عمان، دار رافا، ص: ٢٠٠.

- وضع أهداف واقعية يمكن تحقيقها لدى الطلبة.
- تعريف الطالب بما يحققه من نجاح عند تحقيق الأهداف مهما كان نوع النجاح.
- إتاحة الفرص أمام الطلبة للتعبير عما اكتسبوه من خبرات واستخدامها في حل المشكلات التعليمية.
- استخدام أساليب التشجيع لأن ذلك يؤثر إيجابا على الطالب، وخاصة التشجيع المتتابع فإنه يزيد من استمرار أداء الطالب ويقلل من فرص كفه وسلبياته.
- زيادة فرص التعاون الذي يعتبر ذا فاعلية كبيرة في التعلم.¹
- مشاركة الطلبة أثناء البحث والعمل.
- التنبيه المستمر بالأخطاء أثناء متابعة عملهم.
- تبيان أهمية مشاريعهم وأدائهم المميز فيه.
- التغذية الراجعة والتي يشترط أن تكون آنية.²

والأستاذ الجامعي شأنه في ذلك شأن باقي المدرسين في مختلف المستويات التعليمية يجب أن يراعي المؤشرات السابقة الذكر والتي يمكن الاستدلال من خلالها على أن طريقة التدريس المنتهجة من قبله قادرة على خلق الدافعية للتعلم لدى طلبته، وهي الدلائل التي سنعتمدها في الجانب التطبيقي للكشف عن ما إذا كان الأستاذ يراعي هذه النقاط في طريقته التدريسية.

٣.٤ الجامعة والأستاذ الجامعي:

تعرف الجامعة بأنها فضاء بيروقراطي يضم مجموعة من الموارد المادية والمالية والبشرية لها هيكل يوضح مختلف الاختصاصات وصلاحيات متخذي القرار فيها، تتفاعل مع البيئة التي تنشط بها، وتنفرد عن باقي التنظيمات البيروقراطية بخصوصية أهدافها ومكوناته.³

والجامعة هي مؤسسة علمية تهدف إلى خلق المعرفة العلمية ونشرها، وتعتبر مصدرا للاستثمار والتنمية في المورد البشري من أجل خلق العناصر الفعالة في المجتمع، وعموما يمكن القول أن التعليم الجامعي هو ذلك النوع من التعليم والذي يأتي بعد مراحل تعليمية سابقة له (التعليم الابتدائي، الثانوي) فهو يعتبر تتويجا لهذه المراحل وأعلاها.

أما الأستاذ الجامعي فيعد الركيزة الأساسية في الجامعة، حيث تتمحور حوله وظيفة إعداد الكوادر البشرية التي تعتبر أهم مخرجات النظام الجامعي، ويصنف الأساتذة الجامعيون في جل دول العالم إلى:

- أساتذة محاضرين.
- أساتذة مكلفون بالدروس.
- أساتذة معيدين.⁴

أما عن وظائف الأستاذ الجامعي في ظل نظام ل م د فيمكن حصرها فيما يلي:

١ حمادات، محمد حسن. (٢٠٠٨)، السلوك التنظيمي، ط١، عمان، دار الحامد، ص١٥٩-١٦٠.

² Mucchielli, Riger.(1985), les methodes actives dans la pédagogie des adultes , Séd, france, librairies techniques,p :82

^٣ جبارة، سامية (٢٠٠٨). رضا الأستاذ الجامعي وعلاقته بالأداء الوظيفي في الجامعة الجزائرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة، ص:٧٨.

^٤ نوار، مبروكة (١٩٩٠). العاملون في التدريس الجامعي أوضاعهم واتجاهاتهم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عنابة، ص:١١٥.

▪ وظيفة التدريس: التدريس هو نشاط مخطط له لمساعدة شخص أو أشخاص ما لاكتساب أو تغيير بعض المعارف أو الأفكار أو الاتجاهات أو القيم أو المهارات، وفق أهداف معلنة، وضمن مناهج محددة¹، حيث يقوم من خلالها بتزويد الطالب الجامعي بالمهارات والخبرات، و إعداده للحياة المهنية، وكذلك تقديم كافة المعارف والمعلومات التي تساعد على إثراء تكوين الطالب و إثارة الدافعية لديه للتطلع لطلب المزيد من العلم والمعرفة، فوظيفة التدريس هي بمثابة ترجمة للأهداف التربوية وجعلها حقائق ومعلومات واتجاهات.

▪ وظيفة البحث العلمي: يعد البحث العلمي من الركائز الأساسية للنهوض الحضاري بأي بلد، وهو قرين و ملازم للتعليم الجامعي باعتبار الجامعة مصنع المعرفة وحلقة الوصل بين المجتمع ومتطلباته وبين صانعي المعرفة (أساتذتها الباحثين)²، ويمكن القول أن البحث العلمي يلعب دورا هاما في تقدم المجتمعات وتطورها عن طريق معالجة المشاكل والصعوبات التي تعترض سبيل تقدم المجتمعات، ومحاولة التوصل إلى حلول مناسبة كما أن وظيفة البحث العلمي قادرة على تجديد المعارف والمعلومات للأستاذ الجامعي باستمرار، والتي يمكن له أن يستغلها ويوظفها في عملية التدريس التي يتم على أساسها توصيل المعارف للطلبة بما يتناسب مع التكنولوجيات الجديدة.³

▪ وظيفة التنشيط: تتضمن وظيفة التنشيط لدى الأستاذ الجامعي ما يلي:

- مناقشة أهداف التكوين والتدريس مع المعنيين والمهتمين.
- القيام بتحليل الجماعي للطلب على التكوين.
- القيام بدراسات تحليلية للوضعيات والهيئات التكوينية.
- القيام بتحليل البرامج وتقييمها والعمل على جعلها تسير التطورات والتغيرات .
- ممارسة قيادة المجموعات داخل الجامعات.
- تسهيل وتنظيم عملية التكوين التعاوني.
- تحليل واستعمال التحفيز الفردية والجماعية للحصول على الأهداف التكوينية المرغوبة⁴
- وظيفة الإعلام والتوجيه: تتضمن هذه الوظيفة ما يلي:
- تقييم اتجاهات الطلبة من أجل العمل على توجيههم إلى أفضل تكوين يناسبهم.
- توجيه عملية التكوين بعد دراسة المعطيات الاقتصادية والاجتماعية للطلاب والمحيط.
- توجيه الطلبة أثناء إنجازهم لمشاريعهم، من أجل ضمان الوصول إلى الأهداف المرسومة
- إعلام الطلبة بنتائجهم ومدى تقدمهم لتوفير التغذية الراجعة والعمل على تطوير ذواتهم.
- مساعدة الطلبة على اختيار أنسب المسارات الدراسية والمهنية.⁵

¹ معمري، بشير (٢٠٠٦). واقع التدريس والبحث الجامعيين، كتاب الملتقى الدولي حول (نظرة جديدة للتعليم العالي والبحث العلمي بين الضغوطات الداخلية والاختيارات الذاتية) ، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي، ص: ٤٧١.

^٢ دباس، هاشم فوزي، وحجيم يوسف.(٢٠٠٨). إدارة التعليم الجامعي مفهوم حديث في الفكر المعاصر، ط١، الأردن، الوراق للنشر والتوزيع، ص: ١٢٥.

³ André, Gustin.(2001), management des établissements scolaires, 1er éd, Belgique, debook université et larcier p:50.(

⁴ ibid,p:141

⁵ Bireaid, Annie. (1990), les méthodes pédagogique dan l'enseignement, édition organisation,p :74

▪ وظيفة التقويم: إن الممارسة التقويمية من أبرز مهام الأستاذ الجامعي، فهي تتضمن تقدير قدرات الطلبة والوقوف على مدى تحصيلهم وتقديمهم الدراسي والفكري.

ولتحقيق الفعالية في الممارسات التقويمية لا بد على المقوم أن يعتمد طرق منهجية في التقويم، كما يجب أن ينوع في مصادره، ووسائله، ولا بد أيضا أن يكون للأستاذ إطلاع على عملية التقويم وفوائدها، كما يجب أن يكون قادرا على تطبيق الممارسات التقويمية.¹

▪ خدمة المجتمع: ينتظر من الأستاذ الجامعي أن يساهم في خدمة المجتمع ويقدم كل أشكال المساعدة له. فليس من خصائص الأستاذ الجامعي التوقع في برجه الجامعي دون الاندماج في المجتمع والتفاعل معه وجعل علمه في متناول هذا المجتمع للاستفادة منه.²

إضافة إلى ما سبق من الوظائف يمكن القول أن هناك وظائف ضمنية تهدف إلى مواكبة متطلبات العصر والعولمة.

٤٤ العلوم الاجتماعية: هي تلك المجموعة من العلوم التي تهتم بدراسة شتى العلاقات التي تحدث بين بني البشر نتيجة لتفاعلهم مع بعضهم البعض في حياتهم اليومية، ومع بيئتهم التي يعيشون فيها من ناحية أخرى؛ وتتعدد مسميات هذا المجال: فتارة العلوم الاجتماعية، وتارة العلوم الإنسانية، وتارة العلوم السلوكية، وتارة العلوم الثقافية، وتارة العلوم المعنوية، وتارة العلوم، العقلية، وتارة العلوم الروحية.

٥٤ نظام ل م د (ليسانس-ماستر-دكتوراه): هو نظام خاص بالتعليم العالي، ظهر في الدول الأنجلوسكسونية «الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا»، ثم تبنته الدول الأوروبية في أواخر التسعينيات، أما في الجزائر فقد تم تبنيه في ضوء التوصيات الخاصة بلجنة إصلاح المنظومة التربوية بهدف التماشي مع التحولات السياسية، الاجتماعية، والاقتصادية الوطنية، ومن جهة أخرى للتماشي مع التحولات العالمية و نظام العولمة، وقد تم تطبيقه منذ الدخول الجامعي ٢٠١٠، وهو قائم على ثلاث مراحل (ليسانس-ماستر-دكتوراه).

وتمثلت أهدافه الرئيسية فيما يلي:

✓ المرونة: التي تسمح بمقارنة ومعادلة الشهادات على الصعيد الدولي، حيث يتم إرفاق الشهادة بملحق يوضح الكفاءات التي تم منحها للمتكون بالتفصيل.

✓ الحركية: من أجل الجميع، بمعنى السماح بحركية (الطلبة، الأساتذة، الباحثون وباقي أفراد الطاقم الجامعي) كل ذلك من أجل السماح بتبادل الخبرات على المستوى الدولي.

✓ حرية الطالب في اختيار مسار التكوين، وتحديد مشروع دراسته المهني وذلك بالتنسيق مع المؤسسات أو الهيئات الموظفة.

✓ هيكلية متكونة من ثلاث مراحل متدرجة

✓ تعميم نظام القروض (ECTS)، أي نظام القروض الأوروبي للتعليم العالي.

¹ بوسنة، محمود (٢٠٠٤). التقويم والبيداغوجيا في النسق التربوي، منشورات مخبر التربية، العدد ٥، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، ص: ١٠٥.

^٢ مقداد، محمد (٢٠٠٤). الإعداد التربوي للأستاذ الجامعي نحو طريقة شاملة، كتاب وقائع ندوة تنمية أعضاء هيئة التدريس، كلية التربية جامعة الملك سعود، الرياض، ص: ٧.

✓ تقييم جودة أنظمة التعليم الجامعي وفق قاعدة أو مبدأ المعارف المشتركة والتي تسمح كما سبق الذكر بالحركية لمختلف العناصر.

✓ التسيير الذاتي للجامعة والتكفل بتغطية نفقاتها ذاتيا، حيث تصبح الجامعات مؤسسات منتجة.

✓ التكوين من أجل النوعية، أي ضمان تكوين نوعي وفي نفس الوقت يلبي حاجات ومتطلبات المجتمع في سوق العمل من كفاءات جامعية.

✓ التقليل من الحجم الساعي الدراسي (أقصاه ٢٩ ساعة، وأدناه ٢٥ ساعة).

✓ تطوير ميكانيزمات التكيف المستمر والتوافق مع المهن.

✓ إعطاء بعد أوروبي للتعليم الجامعي، وخلق الهوية الأوروبية وروح الإنماء لدى الطالب الأوروبي.

إذن فالدول الأوروبية قد سعت من خلال انتهاجها لهذا النظام إلى تجديد وتطوير وعصرنة أنظمتها الجامعية.

حاولنا مما سبق تهيئة أرضية صلبة لدراستنا من خلال التعريف بمكان عمل الأستاذ باعتباره مكان الدراسة من جهة، ومن جهة أخرى حاولنا التعريف بالأستاذ الجامعي وكل ما يتعلق به ويخدم دراستنا وصولنا إلى التعريف بتخصص الأستاذ موضوع الدراسة، وهي العلوم الاجتماعية، وحاولنا التركيز على وظائفه كونها تشتمل وظيفة التدريس والتي تعد محورا للدراسة الحالية، والمهمة التي يستطيع من خلالها الأستاذ التأثير على طلبته ورفع مستويات الدافعية لديهم إذا أحسن اختيار الطرائق التدريسية القادرة على ذلك.

٥- إجراءات الدراسة الميدانية:

١٥ المنهج المستخدم: نظرا لطبيعة أو هدف دراستنا الحالية وهو الطريقة التدريسية السائدة في ظل نظام ل م د وعلاقتها بالدافعية للتعلم لدى طلبة العلوم الاجتماعية، فقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي المناسب لذلك كونه يهتم بدراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، فيصفها وصفا دقيقا ويعبر عنها تعبير كينيا أو تعبيرا كيميا.

٢٥ حدود الدراسة:

أ - الحدود المكانية: لقد تم إجراء الدراسة التطبيقية بقسم العلوم الاجتماعية التابع لكلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة العربي بن مهيدي بولاية أم البواقي.

ب - الحدود الزمانية: بما أن مكان الدراسة وكذا مجتمع الدراسة معروف لدى الباحثة لم تكن هناك حاجة إلى إجراء دراسة استطلاعية فكانت مباشرة الدراسة الأساسية، والتي امتدت من ١٢ نوفمبر ٢٠١٠ إلى غاية ١٠ جانفي ٢٠١١ تم خلالها إجراء الدراسة الأساسية.

٣٥ عينة الدراسة:

أ - العينة التي طبقت عليها أداة الاستبيان: تتمثل في الطلبة الذين طبقنا عليهم مقياس الدافعية للتعلم، ويمكن توضيح تصنيف أفراد المجتمع حسب تخصصاتهم كالتالي:

السنة	التخصص	العدد	النسبة	
الأولى	جذع مشترك علوم اجتماعية	٢٧٦	%٤٢.٣	
	الثانية	أرطوفونيا	٢٣	%٣.٥
		علم النفس	٥٥	%٨.٤
		علم الاجتماع	٣٦	%٥.٥
		علوم التربية	٣٠	%٥
المجموع		١٤٤	% ٢٢	
الثالثة	علم النفس العمل	١٦	%٢.٤	
	علم النفس العيادي	٢٣	%٣.٥	
	أرطوفونيا	٢٤	%٣.٦	
	إدارة وتسير في التربية	٢٩	%٤.٤٤	
	علم الاجتماع	٢٤	%٣.٦	
	المجموع		١١٦	%١٧.٧٦
أولى ماستر	إدارة وتسير في التربية	١٩	%٢.٩	
	أرطوفونيا	٢٨	%٤.٢٨	
	علم النفس العمل	١٢	%١.٨	
	علم النفس العيادي	٢٣	%٣.٥	
	المجموع		٨٢	%١٢.٥٥
ثانية ماستر ماستر	علم النفس العمل	٣٥	%٥.٣٥	
المجموع الكلي		٦٥٣	%١٠٠	

الجدول رقم (٠): توزيع أفراد المجتمع حسب التخصص الذي ينتمون إليه.

وقد تم توزيع مقياس الدافعية للتعليم على ٢٤ طالبا أي ما يقابله نسبة ٣٧% من حجم المجتمع الأصلي، باعتبار أن حجم العينة المقابل لـ ٦٥٣ في جدول uma skaran هو ٢٤ ، وتم استرجاع ١٦ إستبانا كاملا وقابلا للتحليل، أي ما يقارب نسبة ٦٦%.

ويمكن توضيح توصيف العينة حسب التخصص كالتالي:

السنة	التخصص	العدد	النسبة المئوية	
الأولى	/	٦٦	%٤١.٢٥	
	الثانية	أرطوفونيا	٥	%٣.١٢
		علم النفس	١٦	%١٠.
		علم الاجتماع	١٠	%٦.٢٥
		علوم التربية	٧	%٤.٣٧
المجموع		٣٨	%٢٣.٧٥	
الثالثة	علم النفس العمل	٦	%٣.٧٥	
	علم النفس العيادي	٧	%٤.٣٧	
	أرطوفونيا	٥	%٣.١٢	
	إدارة وتسير في التربية	٧	%٤.٣٧	
	علم الاجتماع	٥	%٣.١٢	
المجموع		٣٠	%١٨.٧٥	
أولى ماستر	إدارة وتسير في التربية	٤	%٢.٥	
	أرطوفونيا	٩	%٥.٦٢	
	علم النفس العمل	٣	%١.٨٧	
	علم النفس العيادي	٤	%٢.٥	
المجموع		٢٠	%١٢.٥	
ثانية ماستر	علم النفس العمل	٦	%٣.٧٥	
المجموع الكلي		١٦٠	%١٠٠.	

الجدول رقم (٥): توزيع أفراد العينة حسب التخصص الذي ينتمون إليه.

ب- العينة التي طبقت عليها أداة المقابلة: م إجراء المقابلة مع ١ أساتذة من أصل ٥ أساتذاء، أي ما يقابله ٢٠% من العدد الإجمالي، وهو العدد الأقصى الذي تمكنت الباحثة من مقابله نظراً لتواكب مجريات الدراسة الميدانية مع نهاية السداسي الثاني والتي تعتبر فترة انشغال بالنسبة لهم.

٤٥ أدوات جمع البيانات: من أجل جمع البيانات اللازمة لدراستنا اعتمدنا على:

أ- مقياس دافعية التعلم: استخدمت الباحثة مقياس الدافعية للتعليم المدرسي والجامعي، الذي أعد لتقييم المواقف التعليمية التي يواجهها الطالب في المدرسة أو الجامعة الذي أعده كل من: كوزيكي وأنتوسل، وقد نقل إلى العربية وطور من قبل سليمان ١٩٨٩، وفي ٢٠٠٩ قام الرافعي بتطوير الأداة لتتواءم مع الطالب السعودي بعد الاطلاع على عدة مقاييس في

الدافعية للتعلم مثل مقياس راسل وكذا ما تضمنته الأبحاث في موضوع الدافعية للتعلم، وقد قامت الباحثة بتطبيقه بعد تعديل بعض البنود لتتلاءم مع دراستها والتأكد من صدقه وثباته، ويمكن توضيح المحاور التي بني على أساسها المقياس وبنود كل محور كالتالي:

البنود	المحاور
٣١، ٢٥، ١٩، ١٣، ٧، ١	الدفء
٣٢، ٢٦، ٢٠، ١٤، ٨، ٢	الاجتماعية
٣٣، ٢٧، ٢١، ١٥، ٩، ٣	الكفاءة
٣٤، ٢٨، ٢٢، ١٦، ١٠، ٤	الميل
٣٥، ٢٩، ٢٣، ١٧، ١١، ٥	الطاعة
٣٦، ٣٠، ٢٤، ١٨، ١٢، ٦	المسؤولية

الجدول رقم (٥): محاور وبنود مقياس الدافعية للتعلم.

*ونشير هنا إلى أن كل بنود المقياس تتسم بالصيغة الإيجابية وذلك لتسهيل جرد النتائج النهائية.

■ الخ صائص السيكموترية:

● صدق الاستبيان: تم التحقق من صدق الاستبيان باستخدام صدق الاتساق الداخلي من خلال توزيعه على عينة استطلاعية قدرت بـ ٥٣ طالباً، حيث تم إعطاء كل بديل من البدائل الثلاث درجة: دائماً (٥)، أحياناً (٥)، أبداً (٥)، وذلك من أجل تطبيق معادلة كارل برسون لحساب معامل الارتباط بين درجات كل بند والدرجة الكلية للاستبيان، من أجل استبعاد البنود ذات الارتباطات الأقل من ٥.٠. تبعاً لمحك ميشيل^{١٩٦}، وكانت النتائج كما هي موضحة في الملحق (رقم: ٥).

وبالتالي فقد احتفظت الباحثة بكل بنود الاستبيان مع إجراء بعض التعديلات في البنود التي حازت على نسبة أقل من ٥.٠، لأنها ليست بعيدة عن ٥.٠ والمقياس النهائي كما يوضحه الملحق (رقم: ٥).

● ثبات الاستبيان: للتأكد من ثبات الاستبيان استخدمت الباحثة طريقة التطبيق وإعادة التطبيق والتي تعرف أيضاً بمعامل الاستقرار عبر الزمن، حيث طبق المقياس مرتين على عينة من الطلبة قدرت بـ ٥٥ طالباً وطالبة مع مراعاة الفاصل الزمني والذي قدر بـ ١٨ يوماً، ثم قمنا بحساب معامل الارتباط بين نتائج التطبيقين وفق المعادلة التي إقترحها برسون

$$(ن \text{ مـج س} \times \text{ص}) - (\text{مـج س} \times \text{مـج ص})$$

$$\sqrt{\frac{[ن \text{ مـج س}^2 - 2(ن \text{ مـج س} \times \text{مـج ص}) + (مـج ص)^2]}{[ن \text{ مـج س}^2 - 2(ن \text{ مـج س} \times \text{مـج ص}) + (مـج ص)^2]}}$$

٥.٧٤

أي أن معامل الارتباط بيرسون بين التطبيقين تساوي ٥.٧. أي أن الاستبيان ثابت.

ب. المقابلة: تمت مع ١ أساتذة من بين الأساتذة الذين يدرسون طلبة التخصصات المختلفة التي تندرج ضمن ميدان العلوم الاجتماعية من ذوي التخصص، وكانت تهدف الباحثة من خلالها إلى التوصل إلى طريقة التدريس السائدة في ظل نظام ل م د، باعتبار أن هذه الأخيرة لا يمكن التوصل إليها عن طريق الطالب فهناك بعض المراحل الخفية عنه، كمرحلة تحضير الدروس والتي تعتبر من أهم مؤشرات التعرف على طريقة التدريس فلا يمكن للطلاب التعرف على سيرورتها، كما أن مرحلة التقييم في جزئها الأكبر تكون خفية عن الطالب وبالتالي فإن الأستاذ هو القادر على إفادتنا أكثر في هذين المجالين لا سيما التحضير للدروس هذا من جهة، ومن جهة أخرى لتحديد علاقة الطريقة المستخدمة من قبله بمستوى الدافعية لدى طلبتهم والذي تم التوصل إليه من خلال نتائج الاستبيان.

ولتنفيذ المقابلة قمنا بتصميم الدليل الذي سيتم في ضوئه تصنيف استجابات الأساتذة لتحديد طريقة تدريسهم حسب مدى تطابق استجاباتهم مع خصائص كل طريقة (الملحق رقم: ٣٠).

٥٥ الأساليب الإحصائية:

لقد تم استخدام الأساليب الإحصائية التالية من أجل تحليل البيانات التي تم جمعها بغرض تحقيق أهداف الدراسة: التكرارات، النسب المئوية لتحديد توزيع الاستجابات، المتوسط الحسابي.

٦٥ عرض نتائج الدراسة وتفسيرها في ضوء التساؤلات:

أ - نتائج الاستبيان:

▪ المحور الأول: الدفاء

المجموع	أبدا	أحيانا	دائما	
١٦٠	٨٧	٤٤	٢٩	التكرارات
%١٠٠	%٥٤.٣٧	%٢٧.٥	%١٨.١٢	النسب

الجدول رقم ٦٠): نتائج المحور الأول من الاستبيان.

من الجدول رقم ٦٠): نلاحظ أن ١٨.١% من الطلبة يشعرون بمستويات عالية من الدفاء جراء دراستهم بالجامعة في ظل نظام ل م د، بينما نسبة ٢٧% يشعرون بمستويات متوسطة من الدفاء، ونسبة ٥٤.٣% لا يشعرون بأي دفاء.

▪ المحور الثاني: الاجتماعية

المجموع	أبدا	أحيانا	دائما	
١٦٠	١١٨	١٤	٢٨	التكرارات
%١٠٠	%٧٣.٧٥	%٨.٧٥	%١٧.٥	النسب المئوية

الجدول رقم ٦١): نتائج المحور الثاني من الاستبيان

من الجدول رقم ٦١): نلاحظ أن ١٧% من الطلبة يشعرون بمستويات عالية من الاجتماعية جراء دراستهم بالجامعة في ظل نظام ل م د، بينما نسبة ٨.٧% يشعرون بمستويات متوسطة من الاجتماعية، ونسبة ٧٣.٧% لا يشعرون بأي اجتماعية.

■ المحور الثالث: الكفاءة

المجموع	أبدا	أحيانا	دائما	
١٦٠	٩٥	٥١	١٤	التكرارات
%١٠٠	%٥٩.٣٨	%٣١.٨٧	%٨.٧٥	النسب المئوية

الجدول رقم (٠٩): نتائج المحور الثالث من الاستبيان

من الجدول رقم (٠٩): نلاحظ أن ٨.٧% من الطلبة يشعرون بمستويات عالية من الكفاءة جراء دراستهم بالجامعة في ظل نظام ل م د، بينما نسبة ٣١% يشعرون بمستويات متوسطة من الكفاءة، ونسبة ٥٩.٣% لا يشعرون بأي كفاءة.

■ المحور الرابع: الميل

المجموع	أبدا	أحيانا	دائما	
١٦٠	٧٢	٤٧	٤١	التكرارات
%١٠٠	%٤٥	%٢٩.٣٧	%٢٥.٦٢	النسب المئوية

الجدول رقم (٠٧): نتائج المحور الرابع من الاستبيان

من الجدول رقم (٠٧): نلاحظ أن ٢٥.٦% من الطلبة يشعرون بمستويات عالية من الميل لدراساتهم بالجامعة في ظل نظام ل م د، بينما نسبة ٢٩.٣% يشعرون بمستويات متوسطة من الميل، ونسبة ٤٥% لا يشعرون بأي ميل.

■ المحور الخامس: الطاعة

المجموع	أبدا	أحيانا	دائما	
١٦٠	١٢٣	٢٤	١٣	التكرارات
%١٠٠	%٧٦.٨٧	%١٥	%٨.١٢	النسب المئوية

الجدول رقم (٠٨): نتائج المحور الخامس من الاستبيان

من الجدول رقم (٠٨): نلاحظ أن ٨.١% من الطلبة لديهم مستويات عالية من الطاعة تجاه قوانين وأنظمة الجامعة، بينما نسبة ١٥% من الطلبة لديهم مستويات متوسطة من الطاعة، ونسبة ٧٦.٨% ليس لديهم بأي طاعة لقوانين وأنظمة الجامعة.

■ المحور السادس: المسؤولية

المجموع	أبدا	أحيانا	دائما	
١٦٠	٩٧	٥٣	١٠	التكرارات
%١٠٠	%٦٠.٦٢	%٣٣.١٢	%٦.٢٥	النسب المئوية

الجدول رقم (٠٨): نتائج المحور السادس من الاستبيان

من الجدول رقم (٠٨): نلاحظ أن ٦.٢% من الطلبة يشعرون بمستويات عالية من المسؤولية تجاه جامعتهم، بينما نسبة ٣٣.١% من الطلبة يشعرون بمستويات متوسطة من المسؤولية، ونسبة ٦٠.٦% ليس لديهم أي شعور بالمسؤولية تجاه جامعتهم.

■ النتائج الكلية لمقياس الدافعية للتعلم:

المجموع	أبدا	أحيانا	دائما	
٩٦٠	٥٩٢	٢٣٣	١٣٥	التكرارات
%١٠٠	%٦١.٦٦	%٢٤.٢٧	%١٤.٠٦	النسب المئوية

الجدول رقم (١): النتائج الكلية الاستبيان

من الجدول رقم (١): نلاحظ أن ١٤.٠٦% من الطلبة لديهم مستويات عالية من الدافعية للتعلم، بينما نسبة ٦١.٦٦% من الطلبة لديهم مستوى متوسط من الدافعية للتعلم، ونسبة ٢٤.٢٧% ليس لديهم أي دافعية للتعلم. أي أن مستويات الدافعية لدى الطلبة عموما منخفضة.

ب عرض نتائج المقابلة: من خلال تحليل المقابلات كيفيا تم التوصل إلى النتائج التالية:

- معظم الأساتذة يعمدون في التحضير للمادة الدراسية في ظل نظام ل م د على الخصائص التقليدية، أي إما الاكتفاء بالتحضير للمادة الدراسية التي سوف تقدم أو بتحضير القضايا التي ستثار للنقاش من قبلهم، حيث يرى الأساتذة بأن البراعة تكمن في الاستعداد الجيد والتحضير المسبق للمادة العلمية والاستعداد للأسئلة والأمثلة المحتملة، خاصة إذا كان المقياس جديد بالنسبة للأستاذ (لم يدرسه سابقا).
- تقوم نسبة كبيرة من الأساتذة بطرح أسئلة في كل مرحلة من مراحل الدرس بهدف التأكد من وصول المعلومات، ومن انتباههم واستيعابهم للمادة التي قدمت، كما يتم تشجيعهم دائما على طرح تساؤلاتهم التي تساعد الأستاذ على تحديد مواطن الغموض لديهم، وهو الأمر الذي ينطبق مع خصائص طريقة المحاضرة.
- كما أن نسبة كبيرة أيضا من الأساتذة المقابلين صرحوا بأنهم يشجعون الطلبة على النقاش عن طريق طرح مواضيع وأسئلة قابلة للنقاش للاستفادة من معلوماتهم ولتنمية مهارات النقاش والحوار والتفكير...، وهو ما يتوافق مع خصائص طريقة المناقشة.
- يستخدم بعض الأساتذة طريقة حل المشكلات في الحصص التطبيقية (TD)، لكن فقط في بعض المواضيع التي تصلح لأن تطرح في شكل قضايا إشكالية حسب وجهة نظرهم.
- ويستخدم الأساتذة خاصية من خصائص التعليم التعاوني في الحصص التطبيقية وهي تقسيم طلبة الفوج إلى مجموعات لإنجاز البحوث، لكن دون مراعاة الخصائص الأخرى لطريقة التعليم التعاوني.
- إذا إجمالاً يمكن القول أن الأساتذة يستخدمون في تقديم دروسهم الطرق التقليدية بشكل أكبر من الطرق الحديثة.
- أغلبية الأساتذة يستخدمون نوعين من التقويم المستمر والتقويم في نهاية السداسي.
- أما بخصوص العلاقة بين طريقة التدريس المستخدمة من قبلهم وانخفاض مستوى الدافعية لدى طلبتهم فإن:
 - ✓ بعض الأساتذة أرجعه إلى طريقة التدريس الغير محفزة والمنتهجة من قبل الأساتذة خاصة القليلي الخبرة منهم، وإلى طريقة تعامل الأستاذ مع الطلبة أثناء التدريس لجذبهم للمادة العلمية المقدمة من قبلهم.
 - ✓ لكن عددا كبيرا من الأساتذة أرجعه إلى الطلبة في حد ذاتهم، فحسب وجهة نظرهم فالطالب الجامعي هو نتاج لمنظومة تعليمية تعاني جملة من الاختلالات أفرزت هذه النوعية من الطلبة التي لا يمكن إعادة تدرارك الفجوات التي يعاني منها خلال مرحلة التعليم الجامعي التي تعتبر توجيهية أكثر منها تعليمية.

✓ كما أرجع الأساتذة هذا الانخفاض أيضا إلى جملة من العوامل الخارجة عن الطالب والأستاذ والتي يمكن اعتبارها عوامل إدارية تجهيزية، كنقص الوسائل والتقنيات الحديثة والتي تجعل الأستاذ مجبرا على انتهاج الطرق التقليدية في التدريس، وكذا ضيق الوقت المخصص للمقياس في المقابل كثافة المحتوى الواجب تقديمه للطالب فيجد أن أنجع طريقة هي الطريقة التقليدية.

- التوصيات: في ظل ما سبق توصلت الباحثة إلى تقديم جملة من التوصيات هي كالتالي:

- فاعلية الطرق التقليدية في التدريس (المحاضرة، المناقشة) تعتمد على درجة اهتمام الطلبة وطريقة تفكيرهم ومستوى خبراتهم، وهي أمور لا تتوفر في معظم الطلبة، في حين نلاحظ أن الأساتذة اتخذوا من هذا الضعف مبررا لانتهاج الطرق التقليدية في التدريس في ظل نظام حديث.
- يحتاج الطالب في التعلم من خلال المحاضرة إلى البقاء منتبها لمدة طويلة، وهو الأمر الذي لا يتوفر في الطلبة خصوصا في ظل متغير الفترة العمرية التي يعيشونها، أي أنه من الأنجع للأستاذ أن يستخدم الطرق القادرة على جعل الطالب منتبها وقادرا على التعلم وليس العكس.
- ربط التعلم بالعمل والمشاركة من أجل تنشيط أذهان المتعلمين، وبالتالي التمكين من خلق متعلم قادر على التكيف مع مختلف المواقف الواقعية في ظل التغيرات المتسارعة التي يعرفها المجتمع.
- السعي إلى تشجيع استقلالية الطالب في الحصول على المعرفة، من أجل تزويده بخصائص الفرد الفاعل في المجتمع مستقبلا وهو ما ينص عليه نظام ل م د.
- تزويد الطلبة بالمهارات الكفيلة بجعلهم قادرين على الاعتماد على أنفسهم لاحقا عن طريق التعلم الذاتي.
- تهيئة الموقف التعليمي ومنظومته على النحو الذي يستثير دوافع الفرد إلى التعلم ويزيد من قدرته في الاعتماد على نفسه في تعلمه متفاعلا مع مصادر الخبرة من حوله، وهو الشيء الذي يوفر له قدرا أكبرا من المشاركة في اختيار مادته التعليمية، ويعينه على اكتساب مهارات التعلم الذاتي، والقدرة على تقييم تقدمه نحو تحقيق أهدافه
- إعطاء حرية أكبر للطلبة في تخطيط النشاطات وتنفيذها.

قائمة المراجع:

- ١- الحريري، رافدة (٢٠١). الجودة الشاملة المناهج وطرق التدريس، ط١، عمان، دار المسيرة.
- ٢- درويش، حلس داوود، وأبو شقير محمد (دس). محاضرات في مهارات التدريس، دط، عمان، دار رافا.
- ٣- دباس، هاشم فوزي، وحجيم يوسف (٢٠٠٩). إدارة التعليم الجامعي مفهوم حديث في الفكر المعاصر، ط١، الأردن، الوراق للنشر والتوزيع.
- ٤- الحريري، رافدة (٢٠١). الجودة الشاملة المناهج وطرق التدريس، ط١، عمان، دار المسيرة.
- ٥- ردينة، عثمان يوسف (٢٠٠٩)، حذام عثمان يوسف، طرائق التدريس (منهج، أسلوب، وسيلة)، ط١، عمان، دار المنهاج للنشر والتوزيع.
- ٦- فرج، عبد اللطيف حسين (٢٠٠٩)، تحفيز التعلم، ط١، السعودية، دار الحامد للنشر والتوزيع.
- ٧- عبيد، لييم (٢٠٠٩)، استراتيجيات التعليم والتعلم في سياق ثقافة الجودة، ط١، عمان، دار المسيرة.
- ٨- الصمادي، محارب علي محمد (٢٠٠٩)، استراتيجيات التدريس بين النظرية والتطبيق، ط١، الأردن، دار قنديل للنشر والتوزيع.

- ٩- حمادات، محمد حسن، (٢٠١٠)، السلوك التنظيمي، ط١، عمان، دار الحامد.
- ١٠- معمريّة، بشير (٢٠١٠). واقع التدريس والبحث الجامعيين، كتاب الملتقى الدولي حول (نظرة جديدة للتعليم العالي والبحث العلمي بين الضغوطات الداخلية والاختيارات الذاتية)، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي.
- ١١ - بوسنة، محمود (٢٠١٠). التقويم والبيداغوجيا في النسق التربوي، منشورات مخبر التربية، العدد ٥، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر.
- ١٢- مقداد، محمد (٢٠١٠). الإعداد التربوي للأستاذ الجامعي نحو طريقة شاملة، كتاب وقائع ندوة تنمية أعضاء هيئة التدريس، كلية التربية جامعة الملك سعود، الرياض.
- ١٣ - جبارة، سامية (٢٠١٠). رضا الأستاذ الجامعي وعلاقته بالأداء الوظيفي في الجامعة الجزائرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة.
- ١٤ - نوار، مريوحة (١٩٩٩). العاملون في التدريس الجامعي أوضاعهم واتجاهاتهم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عنابة.

15- Mucchielli, Riger.(1985), les methodes actives dans la pédagogie des adultes , 5éd, france, librairies techniques.

16- André, Gustin.(2001), management des établissements scolaires, 1^{er} éd, Belgique, debook université et larcier.

17- Arezki, Dalida.(2004), cours de psychopédagogique, édition dare algharbe.

18- Bireaid, Annie. (1990), les méthodes pédagogique dan l'enseignement, édition organisation.

الملاحق:

معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط	البند
0.63	31	0.7	25	0.68	19	0.8	13	0.91	07	0.6	01
0.72	32	0.62	26	0.93	20	0.72	14	0.61	08	0.53	02
0.9	33	0.46	27	0.81	21	0.61	15	0.82	09	0.38	03
0.49	34	0.69	28	0.55	22	0.63	16	0.52	10	0.86	04
0.57	35	0.51	29	0.62	23	0.59	17	0.64	11	0.55	05
0.66	36	0.71	30	0.5	24	0.52	18	0.56	12	0.6	06

الجدول رقم (٥): معاملات الارتباط لكل بند مع الدرجة الكلية للاستبيان

الترقيم	العبارة	درجة مناسبة العبارة لك		
		دائما	أحيانا	أبدا
01	اشعر بالسعادة عندما أكون موجودا بالقاعة الدراسية.			
02	يهتم والدي بدرجاتي			
03	أفضل أن أقوم بالعمل الدراسي ضمن مجموعة			
04	يصعب علي الانتباه لشرح الأستاذ ومتابعته.			
05	أحب أن يرضى عني جميع زملائي في الدراسة.			
06	أواجه للمواقف الدراسية المختلفة بمسؤولية تامة			
07	استمتع بالأفكار الجديدة التي أتعمها في الجامعة			
08	يصغي لي والدي عندما أتحدث عن مشكلاتي الدراسية بالجامعة			
09	لا أشعر بالضيق أثناء أداء الواجبات التي تتطلب العمل مع الزملاء في الجامعة			
10	لا أشعر بالتفوق تجاه واجباتي الدراسية			
11	أحرص على أن أتقيد بالسلوك الذي تتطلبه قوانين الجامعة			
12	لا أتجنب المواقف التي تتطلب تحمل المسؤولية في الجامعة.			
13	أشعر بأن غالبية الدروس التي تقدم لنا في الجامعة مثيرة			
14	يهتم والدي بمعرفة حقيقة مشاعري تجاه الجامعة			
15	يسهل علي تكوين صداقة بسرعة مع الزملاء في الجامعة			
16	أشعر بالرضا عندما أقوم بتطوير معلوماتي ومهاراتي بالجامعة			
17	أحرص على تنفيذ ما يطلبه مني الأساتذة بخصوص البحوث والواجبات الدراسية			
18	أشعر إنزال العقوبات على الطلبة إذا كانت الأسباب مقنعة.			
19	أفضل أن يعطينا الأستاذ أسئلة صعبة تحتاج إلى تفكير			
20	يهتم والداي عندما أتحدث إليهما عن علاماتي الدراسية			
21	العمل مع الزملاء في الجامعة يكتسبني من الحصول على علامات أعلى			
22	لدي رغبة قوية للاستمرار عن النقاط التي لا أقيمها خلال درس			
23	أشعر بأن الالتزام بقوانين الجامعة يخلق جوًا دراسيًا مريحًا			
24	يسعدني أن تعطى لمكافآت للطلبة بمقدار الجهد المبذول			
25	أفضل الاهتمام بالمواضيع الدراسية على أي شيء آخر			
26	يحرص والداي على متابعة أدائي الدراسي.			
27	تعاوني مع زملائي في حل واجباتي الدراسية يعود علي بالمنفعة			

الملحق رقم(02): مقياس الدافعية للتعلم بعد خلط البنود

الإسئلة الرئيسية	مجاور المقابلة
	مقدمة تمهيدية حول موضوع المقابلة بهدف التهيئة لها
هل يقوم الأساتذة بالتخطيط للدروس قبل تقديمها؟	التحضير
ما هي النقاط التي يركز عليها في تحضيره للدرس؟	
كيف يسير الأساتذة حصصهم التدريسية؟	التدريس
ماهي الوسائل التي يستخدمها في التدريس؟	
ماهي المدعمات التي يستخدمها في التدريس؟	التقويم
كيف يقيم الأساتذة طلبتهم (TD) ؟	
كيف يكون موضوع الامتحانات؟	العلاقة
كيف تصرون المستوى المنخفض لدافعية التعلم لدى الطلبة في ضوء طرائق التدريس المنتهجة من قبلكم؟	
	<ul style="list-style-type: none"> بالإضافة إلى بعض الأسئلة المتضمنة في كل محور. وقد كانت أسئلة المقابلة نصف موجهة وذلك لكي لا يخرج الأستاذ في إجاباته عن المنحى المطلوب من جهة وترك المجال مفتوح للأستاذ للتعبير بهدف الحصول على أكبر قدر من المعلومات القابلة للتحليل من جهة أخرى.

الملحق رقم(03): دليل المقابلة مع الأساتذة.

قراءة في مشروع أكسل هونيث السوسولوجي: الاعتراف لفهم وتفسير باتولوجيا المجتمعات المعاصرة لأجل ترقيع براديفم العيش المشترك

أ.بوعبد الله محمد/جامعة الجزائر ٢

ملخص:

المتتبع لسيرورة الحركات الفكرية في العالم العربي والإسلامي يقف على مفارقة عجيبة، فيعد أن كانت الأصوات تنادي في وقت غير بعيد إلى رص الصفوف تحت شعار القومية العربية لتحرير هاته الشعوب وتنمية تلك الأوطان لإعداد العدة لتحرير ما تبقى منها تحت وطأة الإحتلال، وكانت البوصلة أنا ذاك فلسطين، نجد أنفسنا اليوم نعزي تلك الحركات القومية والأصوات الجامعة ونقرأ السلام على أرض الأجداد فلسطين وأخواتها والوضعية المقيتة التي أضحت تعيشها المجتمعات والأوطان العربية مع تنامي نزعات التفيت ومخططات التشتيت وتفجير للهويات الكبرى تحت مسميات حقوق الإنسان وتقسيم للدول تحت غطاء حقوق تقرير المصير كشفت في الأخير عن مشاريع نيوكولونيالية واستراتيجيات أمبريالية غاشمة دفعت إلى بزوغ أصوات عربية تنويرية تدعو إلى رص الصفوف ولكن هاته المرة للإبقاء على الدولة الوطنية وحفاظا عليها من مشاريع التقسيم وتقسيم المقسم (فتات سايكس بيكو) ونظريات الفوضى الخلاقة ونظريات الدم - تشكيل دول حسب الأعراق -، فأصبح هناك ضرورة ملحة للبحث والتنقيب في التراث الفكري لمختلف المدارس المتاحة في العالم والدفع بها إلى الفضاء العمومي العربي والإسلامي لفض التنازع والصراع والتشدد والتطرف والتناحر، لإعلاء أصوات التعايش والتضامن والتآخي والتسامح والتواصل والحوار والتعدد الثقافي، من أجل تحيين وتطوير براديفم العيش المشترك، ومن هاته المفاهيم التي ألمعت في الفكر المعاصر مفهوم الإعتراف والمشروع السوسولوجي للعلامة الألماني أكسل هونيث الموضوع بين أيدينا اليوم.

الكلمات المفتاحية: براديفم الاعتراف، العيش المشترك، أكسل هونيث.

مقدمة:

بقيت مدرسة فرانكفورت الألمانية وفيية لتقاليدها في دراستها النقدية للظواهر الاجتماعية وتتبع وتفسير لسيرورات المجتمعات المعاصرة التي سقطت حسب عموم روادها في حالات من الباتولوجيا الاجتماعية المقيتة من إغتراب، استيلا، تشيؤ، احتقار، ازدراء، تهميش، استبعاد اجتماعي، تسليع، استهلاك، نكران ثقافي، نزعات السيطرة والإستبعاد، اللأعدالة، ومختلف مظاهر الجور الاجتماعي التي دفعت إلى تسريع إنفجار وتفتق الهويات الفرعية وتوجه الإنسان الحديث إلى الإحتماءهاته الهويات الضيقة، مقابل نبذ وتململ من الهويات الكبرى معلنة بذلك تراجع وانحصار للدولة الوطنية؛ وهو ما جعل إنفجار الهويات وصراع الإثنيات عنوان كبير للعالم اليوم، مدفوعا بالنزعة المادية والرأسمالية المتوحشة، حيث تصبح قيم الإنسانية من تضامن وتعايش في آخر أولويات الإنسان في هذا العصر.

التنقيب في اجتهادات وتراث رواد ومفكري هاته المدرسة الكبيرة - مدرسة فرانكفورت النقدية- تجدنا نقف على استشراق هؤلاء منذ زمن للحالة الباتولوجية التي يعيشها العالم اليوم، حيث اشتغلوا على تحليل مظاهر العقلنة والعقلانية (La rationalité) التي كانت تستهدف في البداية التنوير وتحرير الإنسان لكنها سقطت في براثن العقلانية الأداتية (La rationalité instrumentale) حيث أصبح الإنسان مستعبدا داخل دورة الرأسمالية والمكننة وهو ما جعل ثيودور أدورنو عالم الاجتماع الألماني الشهير وهو من الرعيل الأول (الجيل الأول) للمدرسة يُبدع براديفم العقل الجمالي لتحرير وتخليص الإنسان من هاته الوضعية المرضية؛ فيما عمل يورغن هابرماس وهو من أشهر المفكرين الألمان في العصر الحالي على إبداع براديفم العقلانية التواصلية (La rationalité comunicacionale) لتحرير الإنسان من الوضعية البئيسة التي أضحي يعيشها.

ولكن مع مجيء أكسل هونيث واستفادته من مختلف العلوم المتاحة لفهم التجارب المعاشة للإنسان في العصر الحالي كعلم الاجتماع، علم النفس، والتحليل النفسي وإنفتاحه على مختلف الروافد الفكرية المتاحة، أبداع براديفم آخر لتفسير هاته الحالة المرضية، حيث قام بإعادة إحياء وتحيين مفهوم الإعتراف الذي ورد في كتاب هيغل الشاب وأصبح هذا المفهوم أكثر إنتشارا ولقي رواجاً فكرياً كبيراً وإخترق مجالات عدة من الحياة نظراً لقدرته الكبيرة على التفسير في ميادين علم الاجتماع والنفس والإقتصاد والانتروبولوجيا وغيرها، وهذا ما جعلنا نهتم بفكر هذا العلامة وهو المدير الحالي لمدرسة فرانكفورت لنبحث في مشروعه السوسيولوجي، متسائلين: ما هو فحوى مشروع أكسل هونيث السوسيولوجي؟ وما أهميته في ترقية براديفم العيش المشترك؟ هذا الأخير الذي أملكنا تسميته بالبراديفم المتهاك.

الاتجاهات الكبرى لمفهوم الإعتراف:

غدى مفهوم الإعتراف (La reconnaissance) من المفاهيم المركزية في الدراسات الفلسفية والأخلاقية والسياسية، حيث أخذ حيزاً من النقاشات والإنتقادات السوسيولوجية، فقد برز وبرز مع المفكر الفرنسي بول ريكور (Paul Ricoeur) في كتابه الموسوم بـ: "مسار الإعتراف" وتطور مع الفيلسوف الكندي تشالز تايلور (Chalestaylor) تحت عنوان "سياسة الإعتراف"، ومع المفكرة الأمريكية نانسي فرايزر (Nancy frazer) من خلال مؤلفاتها المعروفة مثل "العدالة الاجتماعية إعادة توزيع وإعتراف"، وإزدهر هذا المفهوم مع المفكر الألماني وأحد أهم ممثلي الجيل الثالث للنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت أكسل هونيث (Axel Honneth) من خلال مؤلفاته "الصراع من أجل الإعتراف"، "مجتمع الإحتقار" وغيرها، إضافة إلى مفكرين آخرين من مختلف المشارب الفكرية والتخصصات العلمية.

ولكن على العموم وخاصة بعد التزايد السجال الفكري حول هذا المفهوم وأصبح يُتناول كبراديفم معرفي، اصطفت هاته الاجتهادات الفكرية ضمن ثلاث اتجاهات فكرية أساسية كبرى يمثلها كل من المفكر الكندي تشالز تايلور والمفكرة الأمريكية نانسي فرايزر والمفكر الألماني ألكس هونيث، حيث تناولوا بإسهاب هذا البراديفم غير أنه كل واحد من هؤلاء تناولوه من منظوره الخاصه.

فنجد المفكر الكندي تشالز تايلور يميل إلى تناول مفهوم الإعتراف من الناحية السياسية خاصة فيما تعلق بالإعتراف العمومي الخاص بالأقليات الثقافية والإثنيات العرقية والهويات المتعددة.

بينما المفكرة الأمريكية نانسي فرايزر ترنو إلى تناول مفهوم الإعتراف ضمن بحوثها المتعلقة بالفضاء العمومي وآليات تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال الجمع بين نموذجين متكاملين من الإعتراف يشمل إعادة التوزيع المتساوي للثروات والخيرات وتحقيق الإعتراف المتساوي للهويات التي تطالب بها الحركات الاجتماعية والثقافية.

فيما الفيلسوف وعالم الإجتماع الألماني أكسل هونيث يتناول مفهوم الإعتراف على خلاف المفكرين الآخرين بتركيزه على الجوانب الاجتماعية والأخلاقية والنفسية كالظلم الاجتماعي والاحتقار والتهميش والاعتراب والتشيؤ التي يعاني منها الأفراد والجماعات في المجتمعات المعاصرة¹.

وهذا يعتبر أكسل هونيث أهم أقطاب براديغما الإعتراف والسوسولوجيا المعاصرة وهذا نظير ما قدمه للنظرية النقدية وإسهامه في توسيع مفهوم التواصل (براديغم الفعل التواصل) ليورغن هابرماس وكذا تعمقه بجدية في تطوير مفهوم الإعتراف لهيغل وإعادة تحيينه بما يواكب المجتمعات المعاصرة وهذا من خلال استعانتة بمختلف المقاربات الفكرية الفلسفية منها والسوسولوجية والنفسية، وكذا استفادته من تراث المدرسة النقدية كفكر هيغل وابداعات هابرماس وآخرون والمدرسة الفرنسية مثل تراث موريس ميرلوبونتي والدراسات السوسولوجية والنفسية الأمريكية كدراسات جورج هيربرت ميد ودونالد وينيكوت.

كما لا ينبغي أن ننسى توجه مهم مغاير لمفهوم الإعتراف وهو ما قدمه المفكر الفرنسي بول ريكور من خلال معالجته لحالات الإعتراف والسلم معتمدا في ذلك على ما قدمه مارسيل هناف (Mercelhenaff) في كتابه "ثمن الحقيقة" حيث حلل موضوع العطاء، الكرم، الوليمة وأطلق على هاته الأشكال الاجتماعية التذاوتية تسمية "الإعتراف الرمزي"².

وكذا ما قدمه بيار لوجندر (Pierre le gendre) في كتابه "هذا الموضوع المنقول الذي لا يقدر بثمن" ويعالج فيه مفهوم الصفة واسم العائلة المنقول من جيل إلى جيل وهو يعبر عن ما يسمى "الإعتراف ضمن النسل"³.

وهكذا يلخص المفكر الجزائري زواوي بغورة مسألة التأسيس الفكري للإعتراف بأنها تمر بحالة من التراكمية المعرفية حيث نجد حسبه مفهوم الإعتراف مفهوما مركزيا لدى ثلة من المفكرين ويقوم بالدور التفسيري لمختلف المشكلات التي يعالجونها بنجاعة وفعالية مشهودة، فهو عند تشالز تايلور في صورة سياسة الإعتراف، وعند نانسي فرايزر في صورة نظرية في العدالة، وعند أكسل هونيث في صورة فلسفة اجتماعية.

مشروع أكسل هونيث:

لابأس في البداية أن نقدم نبذة عن أكسل هونيث (Axel Honneth): ولد الفيلسوف وعالم الإجتماع الألماني أكسل هونيث في مدينة أسن بألمانيا عام ١٩٤٤ درس الفلسفة وعلم الإجتماع في بون ثم واصل دراساته الأكاديمية في جامعة برلين، وبعد ذلك التحق بمعهد ماكس بلانك واستقر في الأخير بجامعة غوته بمدينة فرانكفورت لتدريس الفلسفة الاجتماعية، كان في بداية حياته الفكرية متأثرا بأستاذه يورغن هابرماس ثم عمل على تأسيس فلسفة اجتماعية جديدة⁴؛ وإنطلاقا من مناقشته النقدية لنموذج التواصل عند هابرماس توصل إلى قناعة فكرية بأن نظرية التواصل لم تعد كافية لتفسير النزاع الاجتماعي لذلك عمل على الإجتهد لأجل بلورة براديغم جديد وهو ما أتى من خلال مفهوم الصراع من أجل الإعتراف، حيث يرى

¹ كمال بومير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠١٠، ص ١١٥-١١٦.

² زواوي بغورة، الإعتراف من أجل مفهوم جديد للعدل، دار الطليعة، لبنان، ط ١، ٢٠١٢، ص ٤٢.

³ بول ريكور، سيرة الإعتراف، ترجمة فتحي أنقزو، دار سيناترا، تونس، ط ١، ٢٠١٠، ص ٢٤٢.

⁴ نورالدين علوش، أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة، ابن النسيم للشر والتوزيع، الجزائر، ط ١، ٢٠١٣، ص ٦١.

هونيث أن العالم المعاش الأولي الخاص بالوجود الإنساني هو عالم الإعتراف لا عالم التفاهم اللغوي والأولوية للإعتراف لا للتفاهم!

ومن خلال براديفم الإعتراف أمست له شهرة عالمية في البلدان الأوروبية والعالم الأنغلو ساكسوني وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وترجمت أهم أعماله إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية، ويعد أبرز ممثلي الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت النقدية ويعمل حالياً أستاذ للفلسفة الإجتماعية في جامعة "غوته" في فرانكفورت، وفي سنة ٢٠٠٠ عين مديراً لمعهد البحث الإجتماعي وبذلك يعد الممثل المعاصر للمدرسة النقدية، ولهونيث العديد من الكتب أهمها: نقد مفهوم السلطة ١٩٨٤، الصراع من أجل الإعتراف ١٩٩٢، حول راهنية فلسفة الحق لهيغل ٢٠٠٠، مجتمع الإحتقار ٢٠٠٠، التشيؤ ٢٠٠٠، مفارقات الرأس المالية ٢٠٠٠، أمراض الحرية ٢٠٠٠، الحق في الحرية ٢٠٠٠.

ويعتبر أكسل هونيث من فلاسفة مدرسة فرانكفورت الأكثر إنفتاحاً على الفكر الفرنسي، وقد عمل على إدخال عناصر من هذا الفكر وخاصة ميرلوبونتي، سارتر، وفوكو في نظريته النقدية الجديدة القائمة على الإعتراف، وهذا الإنفتاح أيضاً هو ما جعل هذا البراديفم الجديد حاضر بقوة في الحقل الفلسفي الفرنسي في السنوات الأخيرة لدى بعض الفلاسفة الفرنسيين الجدد من أمثال إيمانويل رنو (Emmanuel Renault)، أوليفيه فوارول (Olivier Voiron)، جون بيار ديرانتي (J.P, Déranthy)، ستيفان لازاري (Stephan Lazzari)، إيف كوسيه (Yves Cusset)³؛ وعلى خطى هوركهaimer يشير ويدعو هونيث إلى أهمية الإستعانة بالعلوم الإجتماعية الأخرى لأنها حسبه تتيح لنا فهم آليات العمل الإجتماعي بصورة جيدة.

أما عن مشروع أكسل هونيث السوسولوجي:

فيمكن القول أنه إذا ما أردنا أن نؤرخ بعبارة موجزة لمدرسة فرانكفورت أو النظرية النقدية من وجهة نظر هونيث فإننا نقول بأن هنالك إنتقالاً من نموذج الإنتاج الذي قام به الجيل الأول من المدرسة إلى نموذج التواصل القائم على التواصل الذي قام به الجيل الثاني ومنه إلى نموذج النزاع والصراع من أجل الإعتراف الذي يقوم به الجيل الثالث من مدرسة فرانكفورت⁴.

فقد احتلت نظرية الإعتراف للفيلسوف المعاصر أكسل هونيث Axel honneth مكانة متميزة في الفكر الغربي في السنوات الأخيرة وأصبح هذا المفهوم من أكثر المفاهيم تداولاً بين الباحثين في المجالات الاجتماعية والسياسية والأخلاقية وقد استند هونيث في تأسيسه لهذه النظرية على نظريات كثيرة ومتنوعة من التراث الفكري لهيغل، ماركس، موريس ميرلوبونتي، جورج هيربرت ميد، دونالد وينيكوت... الخ⁵.

¹ كمال بومنيير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، كنوز الحكمة، الجزائر، ٢٠١٢، ص ٩١.

² نورالدين علوش، حوارات في الفلسفة السياسية المعاصرة، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط ١، ٢٠١٣، ص ١٠٦؛ وأنظر أكسل هونيث، النزاعات الاجتماعية ومسألة الإعتراف، ترجمة زاوي بغورة، مجلة الثقافة العالمية، الكويت، العدد ١٤٩، أوت ٢٠٠٨.

³ كمال بومنيير، مكانة مفهوم الجسد لميرلو بونتي في نظرية الإعتراف لأكسل هونيث، مقالة ضمن كتاب جمال مفرج وآخرون، الطريق إلى الفلسفة، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٩، ص ١٥٢.

⁴ زاوي بغورة، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٠.

⁵ كمال بومنيير، مكانة مفهوم الجسد لميرلو بونتي في نظرية الإعتراف لأكسل هونيث، مقالة ضمن كتاب جمال مفرج وآخرون، الطريق إلى الفلسفة، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٩، ص ص ١٤٧-١٤٨.

وجاء مشروع هونيث الفلسفي بهدف تأسيس نظرية اجتماعية جديدة بغرض إعادة تحيين Réactualisation النظرية النقدية حتى تتلاءم مع التطورات التاريخية الجديدة وتستجيب للتطلعات الإنسانية الحالية، وتتمثل مهام هذه النظرية الاجتماعية في نظر هونيث في:

أ - مهمة وصفية: تقوم على تشخيص وفهم العمليات الاجتماعية "المَرَضِيَّة" Pathologique على مستوى التجارب الفردية والجماعية والتي تعيق أخلاقيا واجتماعيا تحقيق الأفراد والجماعات حياة طيبة.

ب - مهمة معيارية: تعمل على معرفة وتحديد معايير أشكال الحياة الاجتماعية الناجحة.

ومن خلال هاتين المهمتين حسب هونيث اللتين تشكلان وحدة متكاملة بين الطابع الوصفي والمعياري تتجلى لنا كنظرية نقدية للمجتمع¹.

وقد اتبع هونيث استراتيجية تقوم على المزج بين اجراءات كثيرة منها المزاجية بين النظام الاستدلالي التأملي وبين التنظير المستند على قاعدة عيانية من التفاعلات تحدث بين الأفراد².

ولهذا عمد هونيث من خلال نظريته الجديدة إلى تغيير جذري في بنية النظرية النقدية حيث لم يعد تحليل المجتمع من خلال مفهوم علاقات الإنتاج كافيا المبني على التحليل الماركسي وهو توجه الجيل الأول للنظرية النقدية (أدرنو، هوركهايمر، ماركيز) ولهذا قدم هابرماس نظرية جديدة تدعو إلى تجاوز براديغم الإنتاج نحو براديغم جديد يُعرف ببراديغم التواصل؛ ولكن نقد هونيث لهذا البراديغم وخاصة أنه لا يولي أهمية ومكانة الصراع والنزاع في المجتمع أدى به إلى تقديم براديغم الإعراف، وهي مقارنة تعمل على تعميق البراديغم التواصل الهابرماسي³.

وعلى هذا الأساس قام هونيث في كتابه المعروف "الصراع من أجل الإعراف" بإعادة التجربة الاجتماعية إنطلاقا من أشكال الإعراف التذاتية التي يعتبرها هونيث مؤسسة ومُشكِّلة للهوية، وهذا حتى تحقق الذات وجودها داخل نسيج العلاقات الاجتماعية والانسانية برمتها؛ ولذلك حاول هونيث إعادة إدماج بنيوي لأشكال الصراعات الاجتماعية وأنماط التجارب الأخلاقية المعاشة ضمن نموذج معياري للإعراف المتبادل، وضمن هذا السياق يرى هذا الأخير أن عملية تكوين الذات أمر يتوقف على ما يسميه بالتبادلات التفاعلية، فمن خلال العلاقات التذاتية التي تقام بين الفرد والآخرين وما تتضمنه هذه العلاقات من أشكال التعامل الاجتماعي يكتسب الفرد وعيه بذاته وبكيفية تحقيقها⁴.

هكذا عمل هونيث على استبدال براديغم التواصل الذي قامت عليه النظرية الاجتماعية لهابرماس ببراديغم الإعراف الذي يعتبره هونيث المفهوم الأقدر على تفسير القضايا والمسائل التي يطرحها الفكر الاجتماعي والأخلاقي والسياسي المعاصر؛ كما أن هذا المفهوم يمكننا من القيام بتحليل نقدي لأليات وطرق التهميش الاجتماعي والأخلاقي والسياسي التي قد يتعرض لها الأفراد داخل الفضاء العمومي الذي يمكن أن يشكل فضاءا مناسباً لتبلور أشكال الإحتقار والسيطرة وتجارب الظلم

¹ كمال بومنيير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، كنوز الحكمة، الجزائر، ٢٠١٢، ص ١٠٤.

² بول ريكور، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٦.

³ كمال بومنيير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، مرجع سبق ذكره، ص ٨٧.

⁴ كمال بومنيير، أكسل هونيث نحو نظرية نقدية جديدة، ضمن كتاب مدرسة فرانكفورت النقدية، مجموعة مؤلفين، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر،

ط ١، ٢٠١١، ص ٢٨٦.

الاجتماعي والتمهيش التي يعاني منها هؤلاء الأفراد، ولهذا يعد الاعتراف الاجتماعي مفهوم مركزي ومهم لحماية البشرية بالتقليل من مشاكل العنف والتوتر والحروب ومختلف النزاعات.¹

وغدى هذا المفهوم مطلباً مركزياً في المجتمعات المعاصرة خصوصاً لدى تلك المجتمعات المكونة من إثنيات عرقية وأقليات ثقافية مختلفة حيث يتيح هذا المفهوم تجاوز مرحلة الصراعات والحروب ومختلف الأعراض المرضية الموجودة بها والتي تعرقل مسيرة التطور والتقدم على مختلف الأصعدة، وهذا ما جعل الكثير من الباحثين والمطلعين على براديجم الاعتراف ومشروع هونيث بأنه مشروع للإنعتاق والحرية وتحقيق الذات والهوية.

مفهوم الاعتراف:

انطلاقاً من مناقشته النقدية لنموذج التواصل الهابرماسي توصل هونيث الى قناعة فكرية تتمثل في القول إن نظرية التواصل لم تعد كافية لتفسير النزاع الاجتماعي لذلك كان لزاماً الاجتهاد لبلورة براديجم جديد تحت مسمى الاعتراف². وإستند هونيث في تعميقة لنظرية الاعتراف على مكتسبات ونتائج العلوم الاجتماعية (علم الاجتماع، علم النفس، التحليل النفسي)، من خلال إنفتاحه العلمي على أعمال عالم الاجتماع الأمريكي البراغماتي جورج هيربرت ميد (G,h,mead)، وعالم النفس الإنجليزي دونالد وينيكوت³ (D,winnicott)؛ كما نهل هونيث من فلسفة هيغل في تأسيس نظرية الاعتراف ولكن دون تبني لتصوراتها ومقولاتها الميتافيزيقية وترجع أهمية هيغل حسب هونيث إلى كونه أول فيلسوف درس العلاقات الاجتماعية بوصفها علاقات بين ذوات تسعى لتحقيق الاعتراف المتبادل من خلال ما يسمى بالتداوت أو البنذاتية (Intersubjectivité) الذي يميز حياة البشر وهو ما عبّر عنه هيغل في كتابه "فينومينولوجيا الروح"، حيث يرى هونيث ضمن هذا السياق أن عملية تكوين الذات أمر يتوقف على ما يسميه بالتبادلات التفاعلية⁴، بمعنى أن الفرد يقوم ببناء ذاته من خلال تفاعله مع غيره وأنها مسألة تتوقف على نوعية هذه المعاملات ونوعية التفاعل، وهو يعني كذلك الوعي بالذات من خلال نظرة الآخرين ورأيهم عني.

والاعتراف حسب "بول ريكور" هو قبل كل شيء "إعتراف متبادل" بين ذاتين ووعيين، وهو بالأحرى "تعارف" يتجاوز المعرفة البسيطة حول الشرط الإنساني للآخر⁵، والاعتراف المتبادل بوصفه تعين للشيء على وجه العموم فإن العلاقة ما بين الذات والآخر ليست علاقة إقرار دائم، وإنما قد تكون كذلك علاقة إقصاء⁶، وعلى الرغم من أن هونيث ناقش مفهوم الاعتراف في أكثر من دراسة وبخاصة في أطروحته "الصراع من أجل الاعتراف" فإنه مع ذلك يعود إلى مناقشة مفهوم الاعتراف كلما تم ربطه بقضية من القضايا أو مسألة من المسائل الراهنة، ولهذا يعد مفهوم الاعتراف مفهوماً أكثر حيوية وديناميكية. وعليه فمفهوم الاعتراف عند هونيث أخذ معاني عديدة سمحت له بأن يشكل مقارنة فلسفية وذلك لقدرته التفسيرية لعدد المسائل والظواهر الاجتماعية والسياسية والنفسية والدينية والأنثروبولوجية.

¹ كمال بومنيير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، مرجع سبق ذكره، ص 126-132.

² كمال بومنيير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، مرجع سبق ذكره، ص 90.

³ نفس المرجع، ص 92.

⁴ نفس المرجع، ص 119، 102.

⁵ محمد شوقي الزين، الإزاحة والاحتمال، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط 1، 2008، ص 126.

⁶ زواوي بغورة، الاعتراف من أجل مفهوم جديد للعدل، دار الطليعة، لبنان، ط 1، 2012، ص 41.

ويتكون الإعراف في نظر هونيث من ثلاث مجالات بين ذاتية وهي: الحب، القانون (الحق)، التضامن؛ متناسبة مع ثلاث نماذج من تحقيق الذات وهي: تحقيق الثقة في النفس، تحقيق إحترام الذات، تحقيق التقدير الإجتماعي:

١/ الحب يعرفه هونيث بأنه مجموعة العلاقات الأولية الإيروسية والأسرية بالإضافة إلى علاقات الصداقة الموجودة بين الناس، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نعتبر الحب علاقة تفاعلية مؤسسة على نموذج خاص للإعراف المتبادل وهذا يعني أن هناك علاقة متداخلة بين العلاقات العاطفية وقدرة الفرد على الشعور بقيمته أو مكانته التي تجعله يثق في نفسه^١، وهكذا فإن الأسرة حسب هونيث ركيزة مهمة في البناء الإجتماعي مهمتها أساسية في بناء شخصية الفرد السوية من خلال توفير الأمن العاطفي لأبنائها، كما أنها قد لا تسمح للفرد بتحقيق ذاته بشكل سليم ما لم يكن أساسها عاطفي يسوده العطف والحنان لتوفير الأمن العاطفي.

٢/ الحق (القانون): الإعراف القانوني هو الذي يضمن حرية الأفراد وإستقلالهم الذاتي، لأن الفرد يتقاسم مع الآخرين مميزات الفاعل الإجتماعي الأخلاقي المسؤول عن أفعاله، بحيث يستطيع أن يتمتع بحريته المعترف بها إجتماعيا والمضمونة قانونا، حيث أن القانون يسمح بتحقيق هذه الحقوق في إطار الإعراف المتبادل ويفترض المسؤولية الأخلاقية على كل أعضاء المجتمع^٢، كما أن العلاقة القانونية تسمح بتعميم وسيط الإعراف من خلال إتجاهين أساسيين وهما، أولا: التعيين وثانيا: توسيع مجال الحقوق، فمن جهة سيكون للحق مضامين مادية التي ستسمح من الناحية القانونية بمراعاة تباين حظوظ الفرد في تحقيق الحريات المضمونة على المستوى التذاتي من خلال القانون، ومن جهة أخرى يتم التعميم العلاقة القانونية عندما تعطى هذه الحقوق التي يتمتع بها أعضاء الجماعة لأولئك المهمشين والمحرومين الذين يتراخي عددهم بإستمرار^٣، وهذه الدائرة من الإعراف هي محط نزاع بين من يملك الحقوق ومن هو محروم منها^٤؛ ويصنف يورغن هابرماس الحقوق ضمن أعماله الفكرية خاصة فيما تعلق بتصنيف وشرعنة الحقوق إلى ثلاثة أقسام هي: ١- الحقوق المتعلقة بالحريات الفردية^٥، ٢- حقوق المشاركة السياسية^٦، ٣- الحقوق الإجتماعية^٧.

وهذه الحقوق في كثير من الأحيان يتم تضخيمها أو تقزيمها من الأطراف القوية حيث تتعرض الأطراف الحاكمة والقوية إلى تضخيم وتوسيع حقوقها لتضم بذلك حقوق الآخرين في حين تقوم بتقزيم حقوق الآخرين، وهنا تكمن أهمية القوة أو القدرة وعلاقتها بالحقوق، وهذا ما تطرق إليه المفكر الهندي المعروف أمارتيا صن عندما ربط بين القدرات والحقوق، لكن في دولة القانون يمكن للقوانين العادلة أن تضمن حقوق الأقوياء والضعفاء على حد سواء.

٤/ التضامن: يرى هونيث أن التضامن هو الصورة الأكثر إكتمالا من العلاقة العملية بين الذات وهذا لتحقيق مقصد أساسي يتمثل في إقامة علاقة دائمة بين أفراد المجتمع، بحيث يتمكن كل فرد من التأكد بأنه يتمتع بمجموعة من المؤهلات والقدرات التي تسمح له من الإنسجام مع وضعه الإجتماعي^٨، والتضامن هو الذي يسمح للأفراد بتحقيق ذواتهم من خلال

^١ كمال بومنيير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٠، ص ١٠٨-١٠٩.

^٢ كمال بومنيير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٠.

^٣ أكسل هونيث، ثلاثة أشكال معيارية من الإعراف، نصوص مترجمة ضمن كتاب كمال بومنيير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٩.

^٤ نورالدين علوش، حوارات في الفلسفة السياسية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص ١٦.

^٥ علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحدثة، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١١، ص ٢٩٢.

^٦ كمال بومنيير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٢.

علاقات الإعتراف القهالة فالإنسان في حاجة إلى بناء علاقة إيجابية مع الأخر وهي علاقة ينبغي أن تبنى على ضرورة الإعتراف بوجوده والتضامن معه، والتضامن عند هونيث إتخذ كذلك دلالة الإحترام المتبادل¹.

غير أن التضامن قد أصبح في المجتمعات الحديثة متوقفا داخل نسيج شبكة العلاقات الإجتماعية على وجود علاقات التقدير المتماثل بين الذات التي حققت إستقلالها الذاتي غير أنه من الملاحظ أن شعور المرء بالتقدير يتوقف على الآخرين أو تقدير الغير، وعندما يحصل على هذا التقدير يستطيع تحسين صورته لذاته بشكل إيجابي لأنه يتأثر بصورة كبيرة بمواقف الآخرين غير أن الأفراد يحصلون على التقدير الإجتماعي والأخلاقي نظير ما يقدمونه وما يتمتعون به من مؤهلات وكفاءات وما ينجزونه من أعمال لها قيمة في نظر الآخرين أو بالأدوار التي يقومون بها في المجتمع، وهذا ما يسمى بمبدأ المساهمة أي أن الإنسان يحصل على التقدير الإجتماعي مقابل المساهمة في المجتمع وكذا مختلف المهام والخدمات التي يساهم بها في خدمة المجتمع الذي يحيا ضمنه.

وفي هذا الشأن يقول هونيث:

"تعتبر تجربة الإعتراف أساسية بالنسبة للإنسان، فلتحقيق علاقة ناجحة مع ذاته يحتاج المرء إلى الإعتراف التداوتي للإمكانات والمؤهلات، أما إذا غاب أو إنعدم هذا الشكل من الإستحقاق الإجتماعي فقد يُصاب المرء بِضَرْزِ نفسي ومشاعر سلبية كالغضب والإحباط مثلا"²؛ ومن خلال هذه الدوائر من الإعتراف يحقق الأفراد ذواتهم ويُكوّنون صورة إيجابية عن ذاتهم، ومحتوى هذه العلاقة الإيجابية بين ذواتهم يتحد بالتوازي مع كل شكل من أشكال الإعتراف بمعنى أن الحب يجعل الفرد يحقق الثقة في نفسه، والحق (القانون) يجعل الفرد يحقق إحترام الذات والتضامن يُمكن الفرد من الحصول على تقدير الذات.

ويمكن تفسير محتوى العلاقات الإيجابية التي يشكلها الفرد مع ذاته كالتالي:

١/ الثقة في النفس: فمن خلال الحب والعلاقات العاطفية التي تطبع على العلاقات التفاعلية يتحقق نموذج من الإعتراف المتبادل، ثم أن هناك علاقة بين العلاقات العاطفية الأولية الإيروسية والأسرية والتي تتوسع بعد ذلك إلى الصداقة بين شخصين أو أكثر وإمكانية شعور الفرد بمكانته وقيمه الإجتماعية التي تجعله يثق في نفسه.

ولكن إذا تعرض هذا الفرد للإهانة أو النكران كالتعذيب والإغتصاب مثلا فإن ذلك يجرمه من تلك العلاقة الإيجابية مع ذاته على المستوى النفسي والأخلاقي، فيفقد الثقة في نفسه وبالآخرين كذلك³.

٢/ إحترام الذات: من خلال نيل الأفراد لحقوقهم المختلفة، السياسية والإقتصادية والإجتماعية وغيرها، والتي يعمل القانون على توفيرها وحمايتها من الإنتهاك والظلم والنكران والإحتقار، يجعل الأفراد يكوّنون علاقة إيجابية مع ذواتهم تتضمن إحترام الذات.

٣/ تقدير الذات: من خلال التضامن والتآزر المتضمن الإعتراف المتبادل بين الأنا والآخر يحصل الأفراد على التقدير الإجتماعي والقيمة نظير المؤهلات والقدرات والكفاءات التي يتمتعون بها وكذا الأعمال المهمة والأدوار التي يلعبونها في

¹ محمد عبد السلام الأشهب، أخلاقيات المناقشة، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، ٢٠١٣، ص١٢٤.

² كمال بومنيير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، مرجع سبق ذكره، ص١١٠.

³ نفس المرجع، ص١٢٦.

المجتمع، وينعكس هذا النوع من الإعترا ف على الأفراد بتكوينهم علاقة إيجابية مع ذاتهم تتضمن تقدير الذات بعد تقدير المجتمع لها لأن تقدير الذات يتأتى من خلال التقدير الإجتاعي الذي يقدمه المجتمع لها.

مفهوم المجتمع عند هونيث:

في كتابه المعروف الذي جاء بعنوان "مجتمع الاحتقار" الذي أتى متمما وعمقا لمفهوم الإعترا ف ومؤلفه "الكفاح من أجل الإعترا ف" يطرح هونيث العديد من التساؤلات المهمة والتي نذكر منها: لماذا مجتمعاتنا تخترقها الكثير من الحركات الاجتماعية؟، كيف نحقق السلام الداخلي مع الذات والسلام الخارجي مع الآخرين والعالم؟، وما هي شروط الحياة الطيبة؟، وللإجابة على هاته التساؤلات يقترح هونيث الانطلاق من سؤال ما هو المجتمع؟¹.

فحسب أكسل هونيث المجتمع هو ذلك المجال الذي تتقاطع فيه الأفكار وتتعارض فيه المصالح المعنوية والمادية، ففي قلب المجتمع نجد الحضور الكبير للتواصل البينداتي، أي الإعترا ف المتبادل بين الذوات والصراع من أجله².

من خلال هذا البراديفم قدم هونيث مواصفات المجتمع الجيد معرفا إياه بأنه المجتمع الذي يسمح لأفراده بتحقيق ذواتهم واستقلاليتهم من خلال توفير الظروف الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، كما أنه المجتمع الذي يسمح لأفراده بتحقيق أحلامهم بدون المرور على تجربة الاحتقار أو الإقصاء ومختلف مظاهر الجور الاجتماعي، ولهذا فالمجتمع الجيد هو الذي يضمن لأفراده شروط حياة جيدة³: ثم أن العدالة والسعادة لمجتمع ما تقاس بدرجة استعداده لضمان شروط الإعترا ف المتبادل التي تتشكل في ظلها الهوية الشخصية للفرد وتضمن نمو شخصيته في ظروف لائقة وجيدة⁴.

لأنه من خلال توفر قيم الإعترا ف في المجتمع بمختلف أشكاله ومستوياته يستطيع الأفراد بناء علاقة إيجابية بينهم وبين ذواتهم وهذا ما يسميه هونيث تحقيق الذات الذي بدوره يأخذ مستويات مختلفة ومتعددة ومن خلالها يستطيع الأفراد بناء هوياتهم وشخصياتهم وهذا بدوره يجعلهم يحيون حياة طيبة وسعيدة.

ويتناول الكاتب أفيشايمرغاليت (AvishaiMargalit) في كتابه "المجتمع اللائق" نفس توجه هونيث حيث يرى بأن المعاناة الاجتماعية الناتجة عن التهميش الذي يتعرض له بعض الناس هي بالتأكيد معاناة نفسية بحيث يتم نكران قيمتهم من دون سبب معقول، بل ويحرمون من الشعور بهويتهم الخاصة، وخاصة حينما يتعرض للإهانة والاحتقار من طرف الآخرين، ليس بسبب ما يفعله أو يصدر عنه من تصرفات أو أقوال وإنما بحكم وجوده وهويته ليس إلا، وبعبارة أخرى نقول أنه معرض لنكران الإعترا ف بإنسانيته؛ لذلك فالمجتمع اللائق بحسب مرغاليت هو المجتمع الذي لا يهين ولا يحتقر أفراد، بل ويحترمهم كبشر جديرين بالاحترام اللائق بهم⁵.

وعلى خلاف ذلك يبرز مواصفات المجتمع السيء وهو ذلك الذي تغيب فيه قيم الإعترا ف بدوائره الثلاثة المعروفة: الحب، الحق (القانون)، التضامن وتسود فيه قيم الظلم والجور والاحتقار والازدراء وهو ما يؤثر سلبيا على أفراد المجتمع خاصة

¹ نور الدين علوش، قراءة في كتاب مجتمع الاحتقار لأكسل هونيث، almothaqaf.com/index.php/qadaya2009/48894.html، تاريخ التصفح: ٢٠١٦/٠٥/١٦.

² نفس المرجع.

³ نورالدين علوش، حوارات في الفلسفة السياسية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص ٢١.

⁴ نورالدين علوش، المدرسة الألمانية النقدية، دار الفارابي، لبنان، ط ١، ٢٠١٣، ص ٩٣.

⁵ كمال بومير، أكسل هونيث فيلسوف الإعترا ف، منتدى المعارف، لبنان، ٢٠١٥، ط ١، ص ٧١.

فيما يتعلق بتشكيل هوية الفرد، لأن المجتمع الذي تغيب فيه قيم الإعراف لا يساعد الأفراد على تحقيق الثقة في أنفسهم كما يفقدون فيه احترام الذات ولا ينالون فيه التقدير الاجتماعي وهذا ما يفقداهم الاندماج الاجتماعي، ولهذا فالمجتمع السيء الذي يعيش حالة من العوز في قيم الإعراف نجده يشهد صراعات وتوترات ونزاعات مستمرة ومتواصلة ويسود فيه اللاندماج الاجتماعي.

ولهذا فالموقف الأخلاقي لنظرية الإعراف كما صاغها هونيث تمثل محاولة متميزة في تأسيس حياة خيرة (La vie bonne)¹؛ ولهذا يدعو هونيث إلى توسيع المفهوم التقليدي للأخلاق الاجتماعية، وذلك لأن المضمون المعياري لغرض أو مغزى الإعراف يجب إعادة بنائه ضمن إطار المفهوم الشكلي للحياة الطيبة².

من خلال هذا كذلك يمكن القول أن الصراع من أجل الإعراف قد حلّ محل مفهوم الصراع من أجل الوجود الذي لا يهدف إلا لحفظ الذات فقط، بينما الصراع من أجل الإعراف يعمل على تحقيق الإعراف بالذات وهو الأمر الذي يتحقق من خلال المجالات الثلاثة وهي: الحب، الحق (القانون)، التضامن؛ بينما لا تحقق الذات ذاتها بسبب أشكال الإذلال والإحتقار المختلفة التي تصيب الذات وهو ما يسميها هونيث بالتجارب الأخلاقية السلبية أو تجارب الإذلال، ويكمن الفرق بين النموذجين في أن نموذج الصراع من أجل الوجود قد يهدد النظام الاجتماعي في حين أن نموذج الصراع من أجل الإعراف يعتبر وسيطاً للاندماج الاجتماعي³.

وهنا تكمن أهمية هذا البراديجم في حماة الإنسانية من الحروب التدميرية، لأن الصراع من أجل الوجود قد يعني الدفاع عن الذات وحمايتها من إعتداء الآخر عليها وخطره وتهديداته لها وهذا قد يكون من خلال قتل الآخر وإقصائه وتهميشه وهذا ما يؤثر سلباً على البناء الاجتماعي.

بينما الصراع من أجل الإعراف يعمل على مساعدة الذات في تحقيق ذاتيتها وهويتها وهذا لا يتأتى إلا في ظل وجود الآخر وتفاعل هذه الذات معه، والتداوت معه في إطار تفاعل تبادلي وهذا ما يؤدي بدور إيجابي نحو البناء الاجتماعي وخلوه من الصراع التدميري والأمراض الاجتماعية المختلفة وهنا تبرز أهمية هذا البراديجم في الحياة المعاصرة ودوره في الوصول بالمجتمع إلى قمة الإنسانية والتعاونية والتضامنية الإيجابية بعيداً عن الإقصائية وروح الهيمنة والسيطرة؛ ودعنا هنا نستعير مفهوم مالك بن نبي لهذا العالم المبتدل المقسم بين خط طنجة جاكرتا وخط موسكو واشنطن فيما يتطلب من كلا الخطين تقديم الإعراف لبعضهما البعض أي الإعراف التبادلي وهذا قصد العيش في عالم خالي من الجور والظلم وقيم الإذلال والإحتقار والإهانة والحروب وأعمال السيطرة والهيمنة المختلفة.

أهمية إيتيقيا الإعراف:

يرى هونيث أن المعاناة والاحتقار والاذلال والاهانة التي يتعرض لها الفرد في حياته الاجتماعية من خلال تفاعله مع الآخرين تثير فيه مشاعر السخط والقصب وخيبة أمل نظر لعدم تحقيق الأهداف المنتظرة اجتماعياً، وهذا الأمر يدفعه إلى التفكير في الإنخراط في صراع تحرري من أجل الإعراف.

¹ زواوي بغورة، الإعراف من أجل مفهوم جديد للعدل، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٩.

² كمال بومنيير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٣.

³ زواوي بغورة، الإعراف من أجل مفهوم جديد للعدل، مرجع سبق ذكره، ص ص ١٨٨-١٨٩.

وهنا تؤكد الأطروحة القائلة بأن التحولات البنوية المعيارية للمجتمعات هي نتيجة قوة الدفع التي قدمها الصراع من أجل الاعتراف، أي أن هذا الأخير أسهم بأشكال عدة في تقدم أخلاقي وتغيير قيمي إلى الأحسن في المجتمع¹.

وهذا ما يؤكد هونيث في كتاباته من أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال تحقيق قيم التسامح وكرامة الإنسان وضمن حقوقه الأساسية المشروعة أخلاقيا وسياسيا وقانونيا إلا بواسطة مبدأ الاعتراف، وهنا تبرز أهمية نظرية الاعتراف كونها تلعب دورا مركزيا يتمثل في إعادة بناء شبكة العلاقات الاجتماعية والإنسانية قصد التخفيف من المعاناة والظلم الاجتماعي والسياسي واللامساواة وكل أشكال الاحتقار التي تعبر عن الأمراض الاجتماعية².

كما أن هونيث لم يكتف بتحليل نماذج الاعتراف، ولا بوصف أشكال عدم الاعتراف، وإنما حاول أن تقدم بديلا فلسفيا وسوسيولوجيا يستند على الإنعتاق بمختلف مستوياته، حيث أطروحة الصراع من أجل الاعتراف بشكل قوة أخلاقية تغذي وتنهي تطور وتقدم وازدهار المجتمع الإنساني، لأن تجربة الاحتقار والإذلال تشكل منبععا للوعي ومصدرا لمختلف حركات المقاومة الاجتماعية والانتفاضات الجماعية³؛ كما تؤدي مشاعر الإقصاء والإغتراب والاضطهاد الناتجة عن الإذلال والإحتقار إلى صراعات اجتماعية تأخذ شكل الحرب أيا كان ثورة أو حرب تحرير أو الاستقلال عن المستعمر⁴.

ولهذا يمكن اعتبار حالة الاعتراف المتبادل (La reconnaissance mutuel) تجاوزا لمسائل ومشاكل مرضية، وهكذا فإذا ما عرف الناس والمشرع للقانون والسياسي أهمية الاعتراف بالنسبة للإنسان نستطيع توقع مستقبلا مختلف المشاكل والصراعات التي يمكن أن تؤدي إليها حالات غياب وضياء الاعتراف ومختلف صور الإحتقار والإذلال، فلما يضع كل هؤلاء في الحساب قيمة الاعتراف ويصبح الناس أكثر وعيًا فمن شأن هذا أن يقدم تطور أخلاقي للقيم والمعايير الاجتماعية والقانونية في المجتمع التي من خلالها نصل إلى مجتمع أكثر تخلقا.

خاتمة:

إن ما قدمه أكسل هونيث من فكر ومشروع معرفي جلي إنما ينم عن قوة بصيرة ووضوح في الرؤية وتدبر عميق في قراءة ومراجعة للتراث الفكري والسوسيولوجي المتاح وتبصر كذلك في دراسته لواقع التجارب المعاشة ضمن الحياة اليومية للإنسان الحالي وعصر تسوده مظاهر التسليع والإستهلاك وتغلب عليه النزعة المادية وتنخر جسده شمولية عليلة تدفع نحو التدابر والتناحر والتنازع، وتكشف عن مجتمعات مترهلة تعيش عوز وفقير في قيم الإنسانية والتآخي والتضامن والتعايش.

ولهذا جاء مشروع هونيثالسوسيولوجي وخاصة براديفماإعتراف ضمن ضرورة معرفية وحاجة إنسانية لترقيع براديفم العيش المشترك هذا الأنموذج المتهالك والغائب في عديد الإجتهدات المعرفية وكثير الفضاءات العمومية في المجتمعات المعاصرة.

والوعي بهذا المفهوم البراديفم والخلق الإنساني من شأنه أن ينتج إنسان قويم يكتشف ضمن مجتمع جيد لائق قدراته ويحب ويثق في نفسه ويقدر ذاته التي تلقى الإحترام والتقدير الاجتماعي وينفتح على الآخر بقيم وأخلاق نابعة من كينونته

نورالدين علوش، المدرسة الألمانية النقدية، مرجع سبق ذكره، ص ٩٤-٩٥.

كمال بومنيير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٠.

زواوي بغورة، الاعتراف من أجل مفهوم جديد للعدل، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٨.

بول ريكور، سيرة الاعتراف، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٠.

الاجتماعية متصفا بالمؤانسة والضيافة والتعاون والتضامن لبناء مجتمعات تحوز شبكات اجتماعية قوية تحيا حياة خيرة طيبة (La vie bonne) مشكلة بذلك أنموذج قوي للعيش المشترك.

قائمة المراجع:

- ١- كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١١.
- ٢- زواوي بغورة، الإعتراف من أجل مفهوم جديد للعدل، دار الطليعة، لبنان، ط١، ٢٠١٣.
- ٣- بول ريكور، سيرة الإعتراف، ترجمة فتحي أنقزو، دار سيناترا، تونس، ط١، ٢٠١٠.
- ٤- نورالدين علوش، أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠١٣.
- ٥- كمال بومنير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، كنوز الحكمة، الجزائر، ط١، ٢٠١٠.
- ٦- نورالدين علوش، حوارات في الفلسفة السياسية المعاصرة، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠١٣.
- ٧- أكسل هونيث، النزاعات الإجتماعية ومسألة الإعتراف، ترجمة زواوي بغورة، مجلة الثقافة العالمية، الكويت، العدد ١٤، أول، ٢٠٠٠.
- ٨- كمال بومنير، مكانة مفهوم الجسد لميرلو بونتي في نظرية الإعتراف لأكسل هونيث، مقالة ضمن كتاب جمال مفرج وآخرون، الطريق إلى الفلسفة، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩.
- ٩- كمال بومنير، أكسل هونيث نحو نظرية نقدية جديدة، ضمن كتاب مدرسة فرانكفورت النقدية، مجموعة مؤلفين، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠١١.
- ١٠- محمد شوقي الزين، الإزاحة والإحتمال، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩.
- ١١- علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحدثة، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١١.
- ١٢- محمد عبد السلام الأشهب، أخلاقيات المناقشة، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٣.
- ١٣- نورالدين علوش، قراءة في كتاب مجتمع الاحتقار للمفكر الألماني أكسل هونيث ، almothaqaf.com/index.php/qadaya2009/48894.html، تاريخ التصفح: ٦/٢٥/٢٠١١.
- ١٤- نورالدين علوش، المدرسة الألمانية النقدية، دار الفارابي، لبنان، ط١، ٢٠١٣.
- ١٥- كمال بومنير، أكسل هونيث فيلسوف الإعتراف، منتدى المعارف، لبنان، ٢٠١١، ط١.

أسباب العنف المدرسي (النفسية، التربوية، الاجتماعية) من وجهة نظر الأساتذة

أ.بوراس كاهينة/جامعة مولود معمري تيزي وزو

ملخص:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن الأسباب التربوية والنفسية والاجتماعية للعنف المدرسي من وجهة نظر أساتذة التعليم الثانوي، ومن خلال دراسة ميدانية أجريت على عينة عشوائية أخذت من ثانوية متعددة الاختصاصات بدائرة معاتقة والتي بلغت 40 أستاذاً، وعلى إثرها تم صياغة ثلاث فرضيات وهي: تختلف أسباب العنف المدرسي من وجهة نظر الأساتذة باختلاف الأسباب. أما الفرضية الثانية: توجد فروق بين متوسط إجابات الأساتذة حول أسباب العنف المدرسي تبعاً لمتغير الأقدمية. وأخيراً توجد فروق بين الجنسين في أسباب العنف المدرسي لدى الأساتذة.

وقد تم الاستعانة في جمع المعلومات بأداة من أدوات البحث العلمي وهو الاستبيان وبعد حصولنا على الإجابات قمنا بتفريغها ومعالجتها وتحليلها تم الحصول على النتائج التالية:

-تختلف أسباب العنف المدرسي من وجهة نظر الأساتذة باختلاف الأسباب.

-لا توجد فروق بين متوسط إجابات الأساتذة حول أسباب العنف المدرسي تبعاً لمتغير الأقدمية.

-لا توجد فروق بين الجنسين حول أسباب العنف المدرسي لدى أساتذة التعليم الثانوي.

الكلمات المفتاحية: العنف- العنف المدرسي- التعليم الثانوي- مرحلة التعليم الثانوي.

مقدمة:

تعد المدرسة المؤسسة الاجتماعية الثانية في الأهمية بعد الأسرة من حيث مكانتها في التأثير على الطفل ورعايته، وتنمية مهاراته ومواهبه وقدراته، وتزويده بالمعلومات والمعارف. إضافة إلى أنها توفر له بيئة اجتماعية مليئة بالمتغيرات التي تعمل على استنفاد طاقاته الكامنة وتوجيهها بالاتجاه الذي يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع، وهي بهذا تحقق الأهداف العامة للتربية، وهو إعداد الناشئ ليكون مواطناً صالحاً في مجتمعه.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف تسعى المدرسة لتقديم الأفضل لطلبتها معتمدة على مبدأ التطوير المستمر لبرامجها وفعاليتها وأسلوب أدائها، لكي توفر له من خلال ذلك سبل تحقيق النمو السوي المتوازن والمتكامل عقلياً وجسدياً وعاطفياً واجتماعياً والذي يجع لهم يتمتعون بقدر وافر من الصحة النفسية والجسمية والالتزان الانفعالي.

ولما كانت المدرسة تحتضن عدداً كبيراً من الطلبة الذين أتوا إليها من المجتمع المحيط حاملين معهم الخبرات المختلفة، فإننا نتوقع ملاحظة اختلافات وفروقات كبيرة بين هؤلاء، من خلال التفاعل الاجتماعي مع بعضهم البعض.

ومن خلال عملية التفاعل التي قد تعترض الطلبة بعض الصعوبات والمشكلات التي تؤثر على تفاعلهم وتظهر عدم قدرتهم على التفاعل والتكيف السليم، والتي قد تعرقل سير العملية التربوية وتقف عائقا في تحقيق الأهداف التربوية.

وتعد مشكلة العنف ظاهرة اجتماعية في المجتمعات السابقة وتشير الى وجود خلل في مراقبة الأبناء ورعايتهم وحسن تربيتهم وتنشئتهم وتوجيههم. إذ أصبح العنف يستخدم كوسيلة بين الأفراد للوصول إلى أهدافهم المنشودة نظرا لانتشارها في المجتمعات وظهورها في عدة مجالات الحياة إذ سمحت للعديد من العلماء النفسانيين والباحثين من دراسة هذه الظاهرة وذلك للتعرف والكشف عن السبب الرئيسي حول هذه الظاهرة. وفي بحثنا هذا قمنا بدراسة الأسباب النفسية والاجتماعية والتربوية للعنف من وجهة نظر الأساتذة.

١- الإشكالية:

يعتبر العنف ظاهرة اجتماعية سلبية ذلك نظرا إلى ما لها من نتائج وخيمة على الحياة الاجتماعية، كما أنها عرفت انتشارا في الآونة الأخيرة في المجتمعات الحديثة. وهذا ما جعل العديد من الهيئات الدولية من بينها الحركة الدولية في نشر ثقافة السلم، حيث أطلقت بيان في سنة (٢٠٠٩) لمحاربة العنف.

وقد يكون العنف بدوافعه وأسبابه المختلفة عاكسا لاضطرابات الانفعالية والضغط النفسية والاجتماعية أو تمرد المراهق على طبيعة حياته في الأسرة والمدرسة بالرفض من قبل الرفاق وغياب التوجيه والإرشاد في المدرسة. ويعتبر من أخطر المشكلات فلم يقتصر ضحايا العنف على فئات معينة من المجتمع بل أصبح يشمل كثير من فئاته وشرائحه، فأصاب المعلمين في المدارس والأطفال^١.

فتعتبر المدرسة هي المصدر لجميع الضغوطات الخارجية، فيأتي التلاميذ المعنفون من قبل الأهل والمجتمع المحيط بهم إلى المدرسة ليفرغوا الكم القائم عليهم في شكل سلوكيات عدوانية عنيفة يقابلها طلاب آخرون من يشابهونهم الوضع في سلوكيات مماثلة وهذه الطريقة تتطور حدة العنف ويزداد انتشارها، وبينت دراسة هول^٢ (١٩٩٩) التي كانت تهدف إلى التعرف على أسباب العنف لدى المعنفون في المدارس الحكومية. حيث أجريت على (٥) طالب معنف من الذكور بين ١٤ و ٢٠ سنة حيث كان هؤلاء من انخفاض داخل الأسرة، انخفاض نسبة الذكاء كما كانوا يعانون من الإساءة الجسمية.

يعتبر العنف المدرسي كل تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى بالطلاب أو المدرسين أو الإدارة وكل أفراد المجتمع المدرسي سواء كان العنف ماديا متمثل في تخريب الممتلكات المدرسية أو بالعنف المعنوي وذلك بإلحاق الأذى بنفسية التلاميذ أو الأساتذة أو العنف الجسدي المتمثل في الضرب والركل والشتم والتحقير^٣.

لقد توصل شوقي وآخرون في سنة (١٩٩٩م) إلى أن المحيط المدرسي لا يحمي من العنف ومنهم قال بأنه تعرض داخل الثانوية للعنف على شكل إما شجار أو سرقة باستعمال القوة أو أنواع أخرى من العنف^٣.

بناءً على ما سبق ذكره، بالرجوع إلى الميدان المدرسي الجزائري، نجد أن التلاميذ يعانون الكثير من الضغوطات المدرسية وهذا ما يزايد من السلوكيات العنيفة مما يجعلنا نطرح التساؤلات التالية:

^١ طه عبد العظيم حسين، سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي، دار الجامعة الجديدة، مصر، ٢٠٠٧، بدون طبعة، ص ٢١.

^٢ خليل وديع شكور، العنف والجريمة، دار العربية للعلوم، بيروت، ١٩٩٧، ط ١.

^٣ ناصر ميزاب، المعاملة الوالدية للحدث الجانح وعلاقتها بمفهوم الذات (دراسة مقارنة)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، ٢٠٠٧، ص ١٠٨.

- هل تختلف أسباب العنف المدرسي من وجهة نظر الأساتذة باختلاف الأسباب؟
- هل توجد فروق بين متوسط إجابات الأساتذة حول أسباب العنف المدرسي تبعاً لمتغير الأقدمية؟
- هل توجد فروق بين الجنسين في أسباب العنف المدرسي لدى الأساتذة؟
- ٢- فرضيات البحث:

الفرضية الأولى:

تختلف أسباب العنف المدرسي من وجهة نظر الأساتذة باختلاف الأسباب.

الفرضية الثانية:

توجد فروق بين متوسط إجابات الأساتذة حول أسباب العنف المدرسي تبعاً لمتغير الأقدمية.

الفرضية الثالثة:

توجد فروق بين الجنسين في أسباب العنف المدرسي لدى الأساتذة.

٣- أهمية البحث:

رغم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، لكن لا تزال الظاهرة من أهم الظواهر النفسية والتربوية التي تتوحد وتنتشر بشكل مخيف في المؤسسات التربوية، خاصة وأنها تمس شريحة من هامة في المجتمع.

✓ العواقب التي سببها العنف المدرسي وجدت العديد من الدراسات تبحث عن الطرق المناسبة والعلاجات الملائمة للتخفيف منه، وهذا ما يعطي لنا أهمية دراسته.

✓ توفر جو ملائم لفهم كل المشكلات التي من شأنها أن تسبب انخفاض في المشكلة.

✓ تكمن أهمية هذه الدراسة في أن موضوع العنف المدرسي من وجهة نظر الأساتذة ظاهرة كثيرة الانتشار في المدارس، رغم أنها البيئة الثانية بعد الأسرة فهو المكان الذي يتمتع بالأمن والاستقرار والحرية والتعبير، إلا أنها وللأسف أصبحت مكان للعنف.

✓ كون مشكلة العنف مشكلة خطيرة وشديدة الانتشار في المجتمعات خاصة في المدارس.

✓ التدقيق ودراسة الاهتمام بمشكلة العنف.

✓ معرفة الأسباب التي تكون وراء ظاهرة العنف في المدارس.

✓ العنف المدرسي يؤثر على الحالة النفسية للتلاميذ.

٤- أهداف البحث:

محاولة التعرف على الأسباب المؤدية إلى ظهور العنف المدرسي، و أيضاً بيان مدى معاناة التلاميذ داخل المدرسة من ظاهرة العنف المدرسي، فهي من أهم المشاكل التي تعاني منها المدارس فالهدف من الدراسة هو إلقاء الضوء على هذه الظاهرة، فالأهداف متعددة نظراً لأهمية وخطورة الموضوع فنحن من خلال هذا البحث نهدف إلى تحسيس المسؤولين في القطاع التربوي كما نسعى إلى معرفة الأسباب والعوامل المساعدة في تشكيل ظاهرة العنف واقتراح حلول لها، وأيضاً معرفة ما إذا كان نوع العنف (مادي. معنوي) الممارس في المدارس.

٥- مفاهيم الدراسة:

١- **العنف:** يعرف سعد المغربي العنف بأنه استجابة تتميز بصبغة انفعالية شديدة تنطوي على انخفاض مستوى البصيرة و التفكير و ليس من الضروري أن يكون ملازما للتدمير حيث يكون ضرورة في موقف معين و ظروف معينة للتعبير عن واقع معين تعبيرا عميقا جذريا يقضي استخدام العنف أو العدوان^١.

٢- **العنف المدرسي:** هو نمط من السلوك يتسم بالعدوانية يصدر من طالب أو مجموعة من الطلاب أو المدرس ويتسبب في إحداث أضرار مادية أو جسمية نفسية لهم ويتضمن العنف، الهجوم، الاعتداء الجسدي، اللفظي، العراك بين الطلاب والتهديد، المطاردة، المشاغبة، والاعتداء على ممتلكات الطلاب الآخرين أو التخريب ممتلكات المدرسة و على هذا يتضمن العنف المدرسي جانبين: أحدهما معنوي يتعلق بالعنف نحو الأفراد (طلاب، مدرسين، عمال...) و الآخر مادي يتعلق بإتلاف و تخريب ممتلكات الأفراد أو ممتلكات المدرسة والإضرار بها^٢.

٣- **التعليم الثانوي:** ويرى (جون ديوي) أن التعليم الثانوي عبارة عن مؤسسة اجتماعية تسعى إلى تحقيق أهداف اجتماعية، وتعني بالقبليات المختلفة، وتعد التلاميذ إعدادا ثقافيا ومهنيا عاما يساعدهم على انتخاب مهنة لسد حاجاتهم الأساسية التي تفرض عليهم طبيعة الحياة الجديدة^٣.

٤- **مفهوم مرحلة التعليم الثانوي في الجزائر:** تعتبر مرحلة التعليم الثانوي في الجزائر المرحلة الممتدة للمرحلة التي تأتي بعد مرحلة التعليم المتوسط الذي مدته أربع (٤) سنوات، والتعليم الثانوي مدته ثلاث (٣) سنوات والذي شرع في تطبيقه سنة ٢٠٠٨، تشمل السنة الأولى جذوع مشتركة في الشعب الأدبية والعلمية. تتفرغ عنها في السنة الثانية عدة شعب تخصصية وتتوج هذه المرحلة في السنة الثالثة باجتياز امتحان شهادة البكالوريا، ويعتبر الحصول على هذه الشهادة الغالية التي ينشدها كل تلميذ لما تمثله من اعتبارات للحياة المستقبلية (وزارة التربية الوطنية، ٢٠٠٨)^٤.

الجانب التطبيقي:

١- منهج البحث:

كل بحث يتطلب منهجا، والمنهج تختلف من بحث لآخر حسب الموضوع المطلوب بحثه أو يمكن تتبع مناهج علمية مختلفة. وعليه اتبعنا المنهج الوصفي وذلك بتحديد طبيعة المشكلة المراد دراستها، ويقصد بمنهج البحث الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسة ظاهرة ما وتفسيرها.

والمنهج الوصفي هو نوع من أنواع أساليب البحث الذي يدرس الظواهر الطبيعية والاجتماعية والسياسية الراهنة دراسة كيفية توضيح خصائص الظاهرة توضح حجمها وتغيراتها ودرجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى، ويعتبر الأسلوب الوصفي ركنا

^١ طه عبد العظم حسين، سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي، دار الجامعة الجديدة، مصر، ٢٠٠٧، بدون طبعة، ص ١٧

^٢ طه عبد العظم حسين، المرجع السابق، ص ٣٥.

^٣ عباس عبد العلوات، التعليم الثانوي تجارب عالمية وعربية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٤، بدون طبعة، ص ١٣١.

^٤ وزارة التربية الوطنية، ٢٠٠٨.

أساسيا من أركان البحث العلمي فهو أول الخطوات التي يقوم بها الباحث حيث يتصدى لدراسة ظاهرة معينة من ناحية وهو الأسلوب الوحيد الذي يمكن من دراسة الموضوعات المتعلقة بالإنسان من ناحية أخرى¹.

٢- العينة: تم اختيار أفراد العينة بطريقة عشوائية بسيطة، والعينة العشوائية البسيطة قد عرفها أبو علام رجاء: "باحتمال اختيار أي فرد من أفراد المجتمع كعنصر من عناصر العينة"² فقد شملت العينة (٤) أستاذ من جميع المستويات (السنة الأولى، الثانية، الثالثة) في المرحلة الثانوية، وقد راعينا حسب مجموعة من الخصائص: الجنس، الخبرة المهنية كما هي مبينة في الجدول الآتي:

١- جدول رقم (٠) يبين توزيع أفراد العينة حسب الجنس:

الجنس	التكرار	النسبة المئوية
الذكور	١٧	%٤٢.٥
الإناث	٢٣	% 57.5
المجموع	٤٠	%١٠٠

٢- جدول رقم (٠) يبين توزيع أفراد العينة حسب الخبرة المهنية:

سنوات الخبرة	التكرار	النسبة المئوية
أقل من ٠.٥ سنوات	١٣	% ٣٢.٥
من ٠.٦ سنوات إلى ١٠ سنوات	١٢	% ٣٠
أكثر من ١٠ سنوات	١٥	% ٣٧.٥
المجموع	٤٠	% ١٠٠

٣- أداة الدراسة : حتى تتحقق أهداف البحث ونتحقق من فرضياته يتطلب استخدام أدوات علمية، فرعيننا، أن نقوم ببناء استبيان.

١٣- وصف الأداة: قمنا بإعداد استبيان خاص، موجه إلى أساتذة التعليم الثانوي بغرض معرفة أسباب العنف المدرسي من وجهة نظرهم، يتكون الاستبيان من (٢) عبارة، مقسمة في ثلاث محاور:

المحور الأول ويلم بمجموعة من الخصائص الانفعالية التي تكون سبب في صدور السلوك العنيف من طرف التلميذ ويتكون من (١) بنداً.

المحور الثاني ويتكون هذا المحور من مجموعة من العوامل الاجتماعية لها علاقة بالسلوكات العنيفة ويتكون من (٠) بنود.

أما المحور الثالث ويتحدث هذا المحور عن مجموعة من الأسباب التربوية من شأنها أن تسبب بالسلوك العنيف ويتكون من (٠) بنود.

¹ غريب سيد أحمد، الإحصاء والقياس في البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية للنشر، ١٩٩٥، ج١، ط ١، ص ١٠٧.

^٢ أبو علام، مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، دار النشر للجامعات، مصر، ٢٠٠٦، ط ٥.

٢٣- إجراءات الصدق والثبات للأداة:

١-٢٣- الصدق:

- صدق المحكمين: تم عرض الاستبيان في صورته الأولى على مجموعة من المتخصصين للإبداء ملاحظتهم حول عبارات الإستبيان، وطلب إبداء آرائهم حول الأسئلة التالية:

- هل تحتوي مفردات الاستبيان على عبارات غامضة؟

- هل تقيس كل مفردة من مفردات الاستبيان ما أردنا قياسه؟

- هل تلائم لغة أسئلة الاستبيان المستوى اللغوي لعينة الدراسة؟

- هل عدد الأسئلة المخصصة مناسب لكل محور؟

- هل توجد لديهم اقتراحات يفضل إضافتها للاكتمال الصورة النهائية للاستبيان؟

تم تفرغ تكرارات تقديرات المحكمين لكل مفردة واستبعاد المفردات التي اتفق المحكمين على عدم صلاحيتها والتي بلغ عددها ستة (٦)، وتعديل المفردات التي نصح المحكمون بتعديلها لتكوّن الصورة النهائية مكونة من (٢٨) عبارة التي بلغ نسبة الاتفاق عليها بين (٦.١٠٠.١).

الاتساق الداخلي للاستبيان:

تراوحت معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية الاستبيان و الدرجات المحورية بين (٦.٨٢١.٠) وهي جيعة دالة عند مستوى الدلالة (٠.٠) مما يعطي مؤشرا جيدا على الاتساق الداخلي الاستبيان .

٢٣٣- الثبات: لقد اعتمدنا على حساب الثبات للاستبيان بطريقتين:

- التجزئة النصفية: وذلك وبحساب معامل الارتباط بين درجات الأسئلة الفردية ودرجات الأسئلة الزوجية للإستبيان ككل، وللكل محور من محاوره على حدى. وتراوحت قيمة معامل الثبات بين (٦.٨٦٨.٠) وهذا يعني أن الإستبيان يتمتع بدرجة ثبات مقبولة.

- طريقة معامل ألفا: تم حساب ثبات الإستبيان باستخدام معامل ألفا كرونباخ، وتروحت قيم المعاملات الثبات لمحاور الإستبيان كما يلي:

جدول رقم (٣) يبين معامل الثبات ألفا:

معامل ألفا	الإستبيان
.٥٩٨	المحور الأول
.٧٦٥	المحور الثاني
.٧٩٦	المحور الثالث

ومما سبق ذكره يتبين أن الإستبيان يتمتع بدرجة مقبولة من الصدق والثبات والاتساق الداخلي ويمكن تطبيقه على عينة الدراسة الحالية.

I. عرض نتائج الدراسة: يعد تطبيق الاستبيان على العينة تم معالجة البيانات على برنامج (SPSS) وتوصلت الدراسة النتائج التالية:

١- عرض نتائج الفرضية الأولى:

الفرضية الأولى: تختلف أسباب العنف المدرسي من وجهة نظر الأساتذة باختلاف الأسباب.

جدول رقم (3) يمثل النسب المئوية لكل محور حسب إجابات الأساتذة:

المحاور	عدد البنود	النسبة المئوية للإجابات الإيجابية
الأسباب النفسية	11	٦٨,٤٥%
الأسباب الاجتماعية	09	٧٨,٦١%
الأسباب التربوية	08	٦٩,١٢%

يتضح من الجدول أعلاه (الجدول رقم ٣) أن أساتذة التعليم الثانوي لا يرجعون العنف المدرسي إلى سبب واحد إنما إلى عدة أسباب أهمها الأسباب الاجتماعية بنسبة (٧٨,٦١%) ثم تليها الأسباب التربوية بنسبة (٦٩,١٢%) وأخيرا نجد الأسباب النفسية بنسبة (٦٨,٤٥%) ورغم ذلك تبقى نسب هذه الأسباب متقاربة من بعضها.

٢- عرض و تفسير نتائج الفرضية الثانية:

الفرضية الثانية: توجد فروق بين متوسط إجابات الأساتذة حول أسباب العنف المدرسي تبعا لمتغير الأقدمية.

جدول رقم (4) يمثل حساب فروق متوسط إجابات الأساتذة بمعامل ANOVA :

مستوى الدلالة	درجة الحرية	قيمة ف	البيانات الفرضية
٠,١٧٩	٣٩	١,٨٠٠	الفرضية الثانية

يظهر من خلال الجدول رقم (٤) أنه لا توجد فروق بين متوسط إجابات الأساتذة حول لأسباب العنف المدرسي تبعا لمتغير الأقدمية، حيث قدرت قيمة ف بـ: (١,٨٠) عند مستوى دلالتها الإحصائية (٠,١) ودرجة الحرية بـ (٣٩) وهي قيمة غير دالة احصائيا. وبالتالي نرفض الفرضية التي منا بطرحها ونقبل الفرضية الصفرية.

٣- عرض و تفسير نتائج الفرضية الثالثة:

الفرضية الثالثة: توجد فروق بين الجنسين في أسباب العنف المدرسي لدى الأساتذة.

جدول رقم (9): يمثل حساب الفروق بين الجنسين باختبار (T):

البيانات	العينة	قيمة T	مستوى الدلالة الإحصائية	درجة الحرية	مستوى الدلالة المعتمدة	الدلالة
الفرضية الثالثة	40	-1,057	0,297	38	0,05	غير دالة

يظهر من خلال الجدول أعلاه (الجدول رقم 9) أنه لا توجد فروق بين الجنسين من خلال وجهات نظر أساتذة التعليم الثانوي حيث قدرت قيمة (T) بـ 1.09 (-) ومستوى دلالتها الإحصائية المحسوبة بـ 0.29، وبما أن قيمة دلالتها الإحصائية المحسوبة أكبر من قيمة مستوى الدلالة المعتمدة (0.05) وبالتالي نرفض الفرضية التي طارحناها سابقاً ونقبل الفرضية الصفرية.

II. مناقشة النتائج الفرضيات:

12- مناقشة نتائج الفرضية الأولى:

نصت الفرضية الأولى على: تختلف أسباب العنف المدرسي باختلاف الأسباب حسب وجهة نظر الأساتذة.

- أشارت نتائج الجدول رقم (3) أنه تختلف أسباب العنف المدرسي باختلاف وجهات النظر، حيث كانت نسبة كبيرة في محور الأسباب الاجتماعية بقيمة (78%) وكانت نسبة كبيرة، وجاءت نتائج هذه الدراسة تتفق مع نتائج ماكوي (199) حيث أن سبب العنف يعود إلى الخلافات الدائمة بين الوالدين، وكذا نجد التنشئة الاجتماعية للطفل تساعد على تكوّن السلوك العنيف عنده ويكون ذلك سواء من تصرفات الأب اتجاه الطفل أو اتجاه الأم أو الأفراد الآخرين، وأيضاً يكون من المحيط الذي يعيش فيه هذا التلميذ واحتكاكه بأقران غير مناسبين، وأيضاً نجد دراسة هول (199) حيث توصلت إلى أن معظم أسباب العنف تعود إلى المستوى الاقتصادي للأسرة، وكذا نجد بعض الأسباب المعرفية وهي انخفاض الذكاء والجسدية كالإساءة الجسمية. كما بينت النتائج الخاصة بأسباب العنف المدرسي في نظر الأخصائيين والمعلمين أن: المشكلات الأسرية من أهم الأسباب المؤدية للعنف بين الطلاب من وجهة نظر المعلمين حيث بلغت 5% و خروج المرأة للعمل نسبة 33% كما يساهم الإعلام في تفشي هذه الظاهرة بنسبة 33%².

وكذا نجد دراسة سلوى عثمان الصديقي أن معظم الأسباب تعود أيضاً إلى أسباب اجتماعية ونجد منها الإعلام³. وأيضاً في دراستنا يلهمنا الأسباب التربوية وهذا ما بينته دراسة الباحث عامر (199) أن أهم أسباب العنف المدرسي تعود إلى ضعف إدارة المدرسة وسيطرة الخوف بين المدرس والتلميذ (أي نوع العلاقة بين المعلم والتلميذ) بالإضافة لاشكال السيطرة الزائدة.

¹ أميمة منير عبد الحميد جادو ، العنف المدرسي، دار السحاب للنشر و التوزيع عمان، 2005، ط1، ص 86-88.

² أميمة منير عبد الحميد جادو ، العنف المدرسي بين الأسرة والمدرسة والإعلام، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، 2005، ط1، ص 91-92.

³ المرجع السابق، العنف المدرسي، ص 91-92.

٢٢- مناقشة نتائج الفرضية الثانية:

التي كان مفادها توجد فروق بين متوسط إجابات الأساتذة حول أسباب العنف المدرسي تبعاً لمتغير الأقدمية. أشارت نتائج الفرضية أنه لا توجد فروق بين متوسط إجابات الأساتذة حول أسباب العنف المدرسي تبعاً لمتغير الأقدمية، بعدما قمنا بتطبيق اختبار (ANOVA) لحساب الفروق تم التوصل إلى أن قيمة $F(1, 8)$ عند مستوى الدلالة الإحصائية المحسوبة $(1, 0)$ وهي غير دالة إحصائياً، ويرجع ذلك إلى عمل الأساتذة في مكان واحد، وفي سلك واحد وهي المرحلة الثانوية، وقد اعتادوا على التعامل مع هذه الفئة وهي فئة المراهقة المتأخرة، وأيضا نستطيع القول بأنه يعود هذا إلى التكوين الذي تلقاه الأساتذة حول كيفية المعاملة مع التلاميذ المتمدرسين في هذه المرحلة وأيضا قد يرجع إلى الظروف البيئية والقوانين السائدة في هذه المؤسسة فهي تؤثر كثيرا على سلوك العاملين وكيفية التعامل معهم.

٣٢- مناقشة نتائج الفرضية الثالثة:

كان مفادها: توجد فروق بين الجنسين في أسباب العنف المدرسي من وجهة نظر الأساتذة. توصلنا إلى: حيث بلغت قيمة $F(1, 0.05)$ وكانت مستوى دلالتها الإحصائية المحسوبة $(2, 0)$ ، فقد أكدت معظم الدراسات أن الذكور أكثر عنفا من الإناث ومنها دراسة بيتونين وبجور كوست (199) ، وذلك في مختلف الأعمار. فالتنشئة الاجتماعية هي أحد العوامل المسؤولة عن ظهور العدوان بشكل كبير لدى الذكور^٢. حيث يتم تنشئة الولد على انه رجل ويتعين عليه أن يكون قويا وشجاعا في حين يتم تنشئة البنت على أن تكون أكثر هدوءا واستكانة وينكر المجتمع على الإناث الغضب والانفعالات الشديدة^٣. فقد تعود الأسباب على عدم وجود الفروق وكذلك إلى العمل في نفس المؤسسة والتعامل مع نفس الفئة، وكان غالبا ما تظهر النساء تدمرهن من تصرفات التلاميذ، إلا أن في دراستنا لم تتوصل إلى هذه النتيجة، فأصبح في نظام المنظومة التربوية أنه قبل أن يتم تعيين أستاذ ما يجب أن يكون ملما بخصائص هذه المرحلة، إضافة إلى قيام بترتبات وملتقيات حول كيفية التعامل مع التلميذ في المحيط المدرسي.

- الإستنتاج العام:

إن الهدف من إجراء هذه الدراسة هو تسليط الضوء على موضوع العنف المدرسي من وجهة نظر الأساتذة، وذلك بسبب انتشاره الواسع في مختلف المجتمعات، فهي مشكلة كبيرة ذات جذور عميقة، تسبب أضرار تهدد كيان نفسية، ولكن ما هو مؤسف أنها ظاهرة مستمرة دون حلول إستراتيجية رغم أنها كبرت وترعرعت في كنف خلية المجتمع الأساسية ألا وهي الأسرة.

^١ المرجع السابق، العنف المدرسي بين الأسرة والمدرسة والإعلام.

^٢ سميرة عبدي، الضغط المدرسي وعلاقته بسلوكيات العنف والتحصيل الدراسي لدى المراهق المتمدرس ١٥، ١٧ سنة رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ٢٠١٠/٢٠١١، ص ٣٤.

^٣ أشرف اللافي محمد زيادة، السلوك العدواني عند الأطفال، مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية، العدد ٢٨، السداسي الأول، ٢٠١٣، ص ١٣٧-١٥٣.

فمن المؤكد أن هذه الدراسة ليست كافية، بل على المجتمع عامة وعلى الأسر خاصة إعطاء هذه الظاهرة القدر الكافي من الاهتمام، للوصول إلى الأساليب التي تضمن التربية النفسية السليمة، من خلال ألفاظ غنية بالحب والحنان والخالية من العنف والإساءة، خاصة في فترة المراهقة لأنها فترة الأزمات، ينشأ فيها الكيان، وتنبى فيها شخصية الفرد.

توصلنا من خلال النتائج التي تحصلنا عليها من الدراسة الميدانية، إلى تدعيم الجانب النظري الذي تعرضنا من خلاله إلى متغيرات البحث المتمثلة في الأسباب النفسية والاجتماعية، والتربوية للعنف المدرسي من وجهة نظر الأساتذة.

اتضح من خلال المعالجة الإحصائية صحة الفرضية الأولى التي تنص على: تختلف أسباب العنف المدرسي من وجهة نظر الأساتذة باختلاف الأسباب، حيث كانت النسبة المتحصل عليها في محور الأسباب الاجتماعية هي أكبر نسبة (٧٨%)، ما يجعلنا نقول إن البيئة المدرسية هي الأرض المهددة للسلوكات العنيفة.

لقد فسرنا نتائج الدراسة بطبيعة المرحلة العمرية التي يمر بها التلميذ، وكل المتغيرات التي تطرأ عليه، وكذا كون العنف المدرسي الذي يعيشه التلميذ داخل الثانوية متوقفاً إلى حد كبير على نوع المناخ المدرسي السائد، فالجو المدرسي الآمن يؤدي إلى ظهور الاستقرار النفسي والانفعالي، أما الجو غير الآمن والسلبى فيعيق عملية التعلم والنمو النفسي للتلميذ، ما يساعد على ظهور الاضطرابات السلوكية ويشجع على انتشار ظاهرة العنف، وتوصلت نتائج دراسة زيداني (٢٠٠٩) و الشهرلي (٢٠٠٩) إلى أن أهم أسباب العنف هي أسباب مدرسية، تمثلت في ضرب المعلم للتلميذ والتمييز بينه وبين زملائه، وعدم إلمامه بالمادة التعليمية^١، كما يرى الشامي و آل جبرال (٢٠٠٩) أن عدم توافق استعمال بعض الإدارات التربوية للشدة الزائدة كل هذه تعد عوامل أدت إلى تنامي ظاهرة العنف في المدرسة وهي أسباب تربوية أما في دراستنا فقد كانت الأسباب الاجتماعية هي الأسباب الرئيسية المؤدية للعنف المدرسي^٢.

كما توصلنا في نتائج الفرضية الثانية التي مفادها: توجد فروق بين متوسط إجابات الأساتذة حول أسباب العنف المدرسي تبعا لمتغير الأقدمية وبعدهما قمنا بتطبيق اختبار ANOVA لحساب الفروق، تم التوصل إلى أن قيمة (F=٠,٨) عند مستوى الدلالة الإحصائية المحسوبة (٠,١) وهي غير دالة إحصائياً، إذ نرفض هذه الفرضية ونقبل بالفرضية الصفرية، وهذه الدراسة تتوافق مع الدراسات الأخرى التي تتحدث حول الأقدمية في متغيرات أخرى سلبية مثل الضغوط.

كما توصلنا في تحليلنا لنتائج الفرضية الثالثة انه لا توجد فروق بين الجنسين في أسباب العنف المدرسي من وجهة نظر الأساتذة حيث قدرت قيمة (F=٠,٥) وكانت مستوى دلالتها الإحصائية التي قدرت (٠,٢) أكبر من قيمة مستوى الدلالة المعتمدة (٠,٠٥)، فقد راعينا في هذه الفرضية معرفة رأي الأساتذة - من كلا الجنسين - حول أسباب العنف فقد أكدت معظم الدراسات التي تناولت الفروق بين الجنسين أن النساء أكثر رقة وتفهماً لسلوكات المراهقين و خاصة منهن الأمهات. - التوصيات والاقتراحات:

اعتباراً لمسار هذه الدراسة عبر مختلف مراحلها وانطلاقاً مما توصلت إليه من نتائج رأينا أنه يجب تقديم بعض الاقتراحات من أجل استكمال جوانب أخرى في هذا الموضوع، تتعلق بالوسائل التربوية التالية:

- على الأسرة أن تقوم بتنشئة أبنائها تنشئة صالحة.

^١ خولة يحي أحمد (٢٠٠٠)، الاضطرابات الانفعالية والسلوكية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ص ٥٢.

^٢ عبدي سميرة، المرجع السابق، ص ١٩٢.

- تفعيل دور الأخصائي النفسي والاجتماعي في جميع المؤسسات التربوية.
- على مؤسسات الإعلام أن تقوم بنشر ثقافة الحوار عن طريق حملات التوعية.
- توفير ظروف مناسبة للدراسة من أجل تحقيق التوافق الدراسي.
- اقتراح برنامج إرشادي للتخفيف من حدة السلوك العنيف لدى المراهقين في التعليم الثانوي.
- تلبية حاجات المراهقين وذلك تجنباً للمشاكل الخطيرة التي قد يتعرضون لها.

قائمة المراجع:

١. أبو علام، مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، دار النشر للجامعات، مصر؛ ٢٠٠٥ ط٥.
٢. أشرف اللافي محمد زيادة، السلوك العدواني عند الأطفال، مجلة الحكمة للدراسات التربوية والتفسيية، العدد ٢٨، السداسي الأول، ٢٠١٠.
٣. أميمة منير عبد الحميد جادو، العنف المدرسي بين الأسرة والمدرسة والإعلام، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية ٢٠٠٥، ط١.
٤. أميمة منير عبد الحميد جادو، العنف المدرسي، دار السحاب للنشر و التوزيع عمان، ٢٠٠٥، ط١.
٥. خليل وديع شكور، العنف و الجريمة، دار العربية للعلوم، بيروت، ١٩٩٧، ط١.
٦. خولة يحي أحمد، الاضطرابات الانفعالية والسلوكية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان؛ ٢٠٠٠.
٧. سميرة عبدي، الضغط المدرسي وعلاقته بسلوكات العنف والتحصيل الدراسي لدى المراهق المتمدرس ١٧١٥ سنة رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ٢٠١٠/٢٠١٠.
٨. طه عبد العظيم حسين، سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي، دار الجامعة الجديدة، مصر؛ ٢٠٠٠، بدون طبعة.
٩. عباس عبد العلوات، التعليم الثانوي تجارب عالمية وعربية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، عمان؛ ١٩٩٩، بدون طبعة، ص١٣.
١٠. غريب سيد أحمد، الإحصاء والقياس في البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية للنشر، ١٩٩٥، ج١، ط١.
١١. ناصر ميزاب، المعاملة الوالدية للحدث الجانح وعلاقتها بمفهوم الذات (دراسة مقارنة)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر؛ ٢٠٠٠.
١٢. وزارة التربية الوطنية؛ ٢٠٠٠.

الإرشاد والتوجيه في المدرسة الجزائرية بين الراهن والمأمول

د.مصاييح محمد/المركز الجامعي أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت

ملخص:

لئن كان التوجيه والإرشاد النفسي يشمل كل مناحي الحياة الإنسانية، لجر المريض نحو السوي من أجل دمج ودمجه ورفع من قدراته، فإننا في مجال التربية والتعليم إليه أحوج، ذلك لأن مهمة المدرسة والمؤسسة العلمية هي صناعة الإنسان الإيجابي، ولا سبيل لبلوغ ذلك الوطر ما لم نفهم النفس البشرية، ونعالج مكامن الأمراض فيها، ومن هنا نؤكد أن مهمة الإرشاد والتوجيه قديمة قدم التربية الإنسانية، إلا أنها حالياً قد تطورت واكتسبت صفة العلمية، وهي إلى التعقيد وتقاطع المجالات المعرفية أقرب منها إلى الوضوح والبساطة، وهو الأمر الذي صعب من مهام المربين والباحثين في مجال التربية والتعليم.

الكلمات المفتاحية: الإرشاد التربوي-التوجيه النفسي-التوجيه والإرشاد المدرسي- راهن المدرسة الجزائرية.

استهلال منهجي:

يتعلق التوجيه والإرشاد عموماً بالحياة الانفعالية للفرد مع جميع جوانب شخصيته، الجسمية والعقلية والاجتماعية والأخلاقية والأسرية، والتربوية والمهنية، ويضطلع بتقديم والحلول والمساعدة للفرد في أن يفهم ويعي ذاته أولاً وقبل كل شيء، ثم بيئته ومحيطه الاجتماعي ثانياً، وذلك ليوقظ لديه الدافع والقدرة لأن يعمل شيئاً ذا قيمة لنفسه وبخلافه، ويحقق ذاته وفق ما يتاح لديه من الفرص.

حيث بدأ التوجيه والإرشاد بمرحلة التوجيه المهني أولاً، ثم التوجيه المدرسي حيث امتدت برامج التوجيه والإرشاد لتشمل المجالات التربوية، وقد ظهرت مرحلة علم النفس الإرشادي والذي يركز على الصحة النفسية والنمو النفسي. وفي السبعينيات اضطلع التوجيه والإرشاد النفسي بعملية اتخاذ القرار بهدف التقليل من قلق الطلاب، ثم تطور المفهوم بعد ذلك وأصبحت الاتجاهات نحو برامج التوجيه والإرشاد النفسي أكثر إيجابية وأخذ مكانته كعلم معترف به. الإرشاد والتوجيه الماهية والمفهوم:

يعد التوجيه والإرشاد جزءاً من العملية التربوية، وهو عملية عامة تهتم بالنواحي النظرية في أغلب الأحيان تشترط توفر الخبرة في الموجه وتعنى بوضع الشخص المناسب في مكانه المناسب، وبذلك فهو "عملية مساعدة الفرد في فهم حاضره وإعداد مستقبله بهدف وضعه في مكانه المناسب له وللمجتمع ومساعدته في تحقيق التوافق الشخصي والتربوي والمهني والاجتماعي حتى يحقق الصحة النفسية والسعادة مع نفسه ومع الآخرين في المجتمع المحيط به"⁽¹⁾. كما أنه وسيلة تجعل الفرد يفهم "إمكاناته وقدراته واستعداداته، واستخدامها في حل مشكلاته وتحديد أهدافه ووضع

¹ - كاملة الفرخ وعبد الجابر تيم، مبادئ الإرشاد و التوجيه النفسي، دار صفاء للنشر، ١٩٩٩، عمان، ص ١٣.

خطط حياته المستقبلية من خلال فهمه لواقعه وحاضره، ومساعدته في تحقيق أكبر قدر من السعادة والكفاية، من خلال تحقيق ذاته والوصول إلى أقصى درجة من التوافق بشقيه الشخصي والاجتماعي^(١)، ويعرفه أحمد لطفي بركات "هو مجموعة الخدمات التي تهدف إلى مساعدة الفرد على أن يفهم نفسه ويفهم مشاكله وأن يستغل إمكانياته الذاتية من قدرات ومهارات واستعدادات وميول، وأن يستغل إمكانيات بيئته فيحدد أهدافا تتفق وإمكانياته من ناحية وإمكانيات هذه البيئة من ناحية أخرى نتيجة لفهم نفسه وبيئته ويختار الطرق المحققة لها بحكمة وتعقل فيتمكن بذلك من حل مشاكله حلولا عملية تؤدي إلى التكيف مع نفسه ومجتمعه فيبلغ أقصى ما يمكن بلوغه من النمو والتكامل في شخصيته".^(٢) وقد عرفه على هذا النحو مجموعة من المهتمين والباحثين الغربيين في ميدان السيكولوجيا التربوية كبريور، وميلر، ومايرز، وغيرهم، مجمعين على أن التوجيه التربوي هو كل مجهود يبذل في سبيل نمو الفرد نموا إيجابيا يتماشى ومبتغيات الحياة الراقية، أو العادية على الأقل.

أما الإرشاد تحديدا فهو عملية نفسية أكثر منها إجرائية وتمثل الجزء العلمي في ميدان التوجيه وتقوم على علاقة مهنية (علاقة الوجه للوجه) بين المرشد والمسترشد في مكان خاص يضمن سرية أحاديث المسترشد وفي زمن محدود أيضا، والإرشاد عموما يتفرع بين عملية وقائية أو إنمائية أو علاجية كما يتطلب تخصصاً وإعدادا وكفاءة ومهارة، كون هذه العمليات فرعاً من فروع علم النفس التطبيقي وان خدمات التوجيه العامة وخدمات الإرشاد خاصة تجمل عادة في مفهوم واحد وهو التوجيه والإرشاد.

والإرشاد النفسي لدى نضال الموسوي، هو مجموعة من الإجراءات التي تتضمن النصائح والتشجيع وتقديم المعلومات وتفسير الاختبارات والتحليل النفسي كما تدل على تلك العلاقة التي يحاول فيها شخص متخصص تقديم مساعدة لشخص آخر حتى يفهم أو يحل مشاكله، ويعيد توازنه في مواقف الحياة المختلفة دراسية كانت أو مهنية أو اجتماعية.^(٣)

ويرى حامد زهران أن الإرشاد ما هو إلا عملية مساعدة للفرد في رسم الخطط التربوية التي تتلاءم مع قدراته وميوله وأهدافه، وأن يختار نوع الدراسة والمناهج المناسبة، والمواد الدراسية التي تساعد في اكتشاف الإمكانيات التربوية، وتساعد في النجاح وتشخيص المشكلات التربوية وعلاجها بما يحقق توافقه التربوي بصفة عامة.^(٤) وبذلك يتبين أن الإرشاد التربوي عملية منظمة ومخططة تهدف إلى مساعدة الطالب لكي يفهم ذاته ويعرف قدراته ويطور مهاراته ويحل مشكلاته ويحقق أهدافه في إطار القيم المجتمعية والأهداف العامة للتعليم في المجتمع وبالتالي تحقيق التوافق النفسي والتربوي والمهني والاجتماعي.

٢ - مقومات التوجيه والإرشاد:

يقوم التوجيه والإرشاد على دعائم هامة لا يمكن لأي مرشد التغافل عنها، وذلك انطلاقاً من كونه علم وفن في الآن نفسه، منها الفلسفية التي تتعلق بطبيعة الإنسان ووجوده والنظرة التفاضلية للحياة، مع الأسلوب الملائم للتدخل في كل حالة على حدا، ومنها الدعامة النفسية والتربوية التي تتعلق بالفروق الفردية والفروق بين الجنسين وما يتطلبه النمو، ومنها

١ - سهير كامل أحمد، التوجيه والإرشاد النفسي، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٠، مصر، ص ٦.

٢ - أحمد لطفي بركات ومحمود زيدان، التوجيه التربوي والإرشاد النفسي في المدرسة العربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٢٣.

٣ - ينظر: محمد عبد العزيز عبد ربه، تصميم برنامج إرشادي لتحسين مفهوم الذات عند أطفال المؤسسات الإيوائية، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة - جامعة عين شمس، مصر، ٢٠٠٠، ص ١٥.

٤ - ينظر المرجع نفسه، ص ١٤.

الأساس الاجتماعي المتعلق بالفرد والجماعة، وعلى أسس عصبية وفسولوجية تتعلق بالجهاز العصبي والحواس وأجهزة الجسم الأخرى^(١).

وفيما يلي مقومات التوجيه والإرشاد:

أولاً: الأسس النظرية والفلسفية:

١. مراعاة طبيعة الإنسان:

إن ذات الإنسان مع ما يجلبها من الوضوح تظل غامضة، تتزاحم حول ماهيتها العديد من الاتجاهات الفلسفية، حيث أن هذا المفهوم قد تخبطت فيه نظريات مختلفة، فالتحليلية الفرويدية (سيغمون فرويد) ترى أن الإنسان عدواني تتحكم فيه غرائزه، والإنسانية (كارل روجرز) ترى أنه خير بطبعه، والسلوكية ترى أنه محايد (سلي) تحركه المثيرات فيستجيب لها، والنظرية المعرفية الانفعالية ترى أنه يؤثر ويتأثر وأن أفكاره غير العقلانية السبب في اضطرابه^(٢). في حين أن ما جاء به الدين الإسلامي الحنيف في حق هذه الذات الغامضة، هو تمييز الله سبحانه وتعالى إلى الإنسان بالعقل والتفكير والبصيرة، وعلمه وكرمه على سائر المخلوقات، فهو مفطور على الخير ولديه شهوات، وهو محاسب على استخدام ذلك العقل، وفهم هذه الطبيعة يساعد المرشد التربوي على إنجاح عملية الإرشاد وفهم المسترشد.

٢. تميزه بالكينونة والصبورية:

الكينونة ومعناها أن الإنسان كائن وموجود، والصبورية معناها ما سيصير إليه من (تغير)، والصبورية والكينونة لا تنفك إحداها عن الأخرى، فمثلاً الشخص الذي أصبح راشداً كان طفلاً، وسيصير شيخاً، ويبقى ذلك الشخص كائناً له معنى، رغم التغير الذي يجري عليه أي أن هناك أموراً في الشخص تبقى كما هي بينما تتغير فيه أشياء أخرى. والعالم دائم التغير، لذا فالصبورية مفهوم دائم التغير، وحياة الإنسان مليئة بالتغيرات الجديدة بالملاحظة والتأمل، والإرشاد ينظر إلى الشخص ككائن يتغير سلوكه رغم بقائه نفس الشخص.

٣. الجمالية و المنطق :

يجب على المرشد أن يكون جميل النفس، يرى الوجود جميلاً، ويتحلى بنظرة تفاؤلية، كي يتغلب على روح الإكتئاب لدى المسترشد، ويساعده على نسيان الذكريات المؤلمة، وحال الضياع النفسي، ويحتاج المرشد أيضاً إلى الأسلوب المنطقي في مناقشته مع المسترشد أثناء المقابلة الإرشادية لتعديل السلوك، لذا يعتبر الإقناع المنطقي من أهم وأرقى الأساليب الإرشادية حيث يحدد المرشد مع المسترشد أسباب السلوك المضطرب من أفكار ومعتقدات غير منطقية وغير عقلانية والتخلص منها بالإقناع المنطقي للمسترشد، وإعادةه إلى التفكير المنطقي. ثانياً: المقومات النفسية والتربوية:

يراعي الإرشاد التربوي مجموعة من المقومات والدعائم النفسية والتربوية التي تظهر لدى الأفراد والتي يصح أن نصلح عليها بالفروقات، ومنها الفروقات الفردية التي تميز فرداً عن آخر، والفرق الجنسي بين الذكور والإناث، والفرقات أو التفاوتات لدى الفرد نفسه من جانب إلى جانب آخر، إذ يمكن أيجاز ذلك كله فيما يأتي:

^١ - ينظر: كاملة الفرج شعبان، مبادئ التوجيه والإرشاد النفسي، ص ٣٧.

- ينظر: الرجوع نفسه، ص ٥١-٧٣.^٢

أ - الفروقات الفردية:

يعد التفرد السمة المميزة لكل فرد، لذلك فهو حقيقة ثابتة، لا يمكن إغفالها البتة في عملية التوجيه والإرشاد النفسي، فالإنسان مخلوق فريد وعجيب في آن واحد، ولا يمكن أن نجد شخصين متشابهين تمام التشابه، شأنهم في ذلك شأن البصمات التي لا يمكن أن نجد منها شبيهين، وانطلاقاً من ذلك وصف الإنسان بالتفرد، في سلوكياته وثقافته وتنشئته، وطبعه كما تفرد في جيناته.

ب- الفروقات الجنسية:

إن الفروقات بين الجنسين جلية في الجوانب الفيزيولوجية والجنسية والاجتماعية والعقلية والانفعالية، وهذه الفروقات التي تعود إلى عوامل بيولوجية أصلاً وإلى عوامل التنشئة الاجتماعية التي تبرز هذه الفروقات أو تقلل من أهميتها، لذا فعملية الإرشاد ليست واحدة لكلا الجنسين لأن ما ينطبق على الذكور قد لا ينطبق على الإناث، والفروقات لها أهميتها ولا سيما في ميدان الإرشاد التربوي والمهني والأسري من جنس إلى آخر.

ج- الفروق في الفرد الواحد:

إن سمات ومظاهر القدرات والميول لدى الفرد الواحد لا يمكن بالضرورة أن تكون على درجة واحدة من القوة، وذلك مرده إلى التفاوت في درجات النضج من جانب إلى جانب آخر، فتارة يكتمل البناء الجسماني، ويتخلف البناء والنضج العقلي، أو الجانب الوجداني، وهو ما يؤثر مباشرة على الاندماج الاجتماعي على كل أصعدته الفكرية والعاطفية وال نفسية، وهذا مرتبط الفرس بالنسبة لكل مرشد وموجه ومربي.

ثالثاً: المقومات الاجتماعية:

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، "لذلك تسهم الأسرة والمدرسة والرفاق ووسائل الإعلام ودور العبادة، بصفة عامة في تنميته اجتماعياً، والإنسان يعيش في واقع اجتماعي له معايير وقيمه يؤثر ويتأثر بها وفي الإرشاد يوجد الارشاد الجماعي: إن الحضارة المتقدمة السريعة التغيير تجعل الإنسان بحاجة إلى الإرشاد،"⁽¹⁾ حيث تؤثر الجماعة المرجعية على سلوك الفرد، ويضاف إليها ميوله واتجاهاته الخاصة، ذلك لأن الفرد يتأثر بالجماعة والسلوك فردي اجتماعي، كما تؤثر ثقافة المجتمع التي ينتمي إليها الفرد من عادات وتقاليد وأعراف في ذلك الفرد، وبالتالي على المرشد أن يراعي ذلك في المسترشد.

رابعاً: المقومات العصبية والفسولوجية:

إن الجهاز العصبي المركزي الذي يسيطر على أجهزة الجسم الأخرى ويتحكم في السلوك الإرادي للإنسان من خلال الرسائل العصبية الخاصة التي تنقل له الإحساسات الداخلية والخارجية ويستجيب بإصدار تعليماته إلى أعضاء الجسم، فالجهاز العصبي الذاتي اللاإرادي يعمل بشكل لا شعوري أي لا تتدخل إرادة الإنسان في ذلك وهو مسئول عن السلوك الغير إرادي، مثل حركة الأمعاء والسيطرة على جميع الأجهزة الحيوية للجسم التنفسي والهضمي والدموي والتناسلي وجهاز الغدد والجلد وهو يعمل وقت تعرض الجسم للخطر بما يشبه إعلان حالة الطوارئ⁽²⁾.

وبما أن الإنسان جسم ونفس وكل منهما يؤثر في الآخر، فالحالة النفسية تؤثر في العمليات الفسيولوجية كالغضب الذي يؤدي إلى زيادة دقات القلب، ارتفاع حرارة الجسم، والحزن يؤدي إلى سيلان الدمع، كما أن

¹ - كاملة الفرخ شعبان، مبادئ التوجيه والإرشاد النفسي، ص ٤٥.

² - المرجع نفسه، ص ٤٦.

الأمراض العضوية تؤدي إلى الكآبة والقلق، وعند زيادة انفعال الغضب واستمراره يتأثر الجهاز العصبي بشكل لإرادي فتظهر الاضطرابات النفس جسمية (سيكوسوماتية) Psychosomatique كاحتجاج لا شعوري مثل ضغط الدم والقولون العصبي والصداع النفسي وقرحة المعدة والسكري والربو وبعض الآلام الهيكلية أو بعض الاضطرابات الجلدية والجيوب الأنفية، والمرشد الحاذق ينتبه دائما إلى شكوى المسترشد ويتعرف على مصادر انفعالاته.

٤- لماذا الإرشاد والتوجيه التربوي؟

-التوجيه والإرشاد عمل إنساني هادف يسعى لخدمة كل مسترشد حسب حالته الخاصة، ومتطلباته المحددة وما يتعلق بحياته الشخصية، لذلك نجد لهذا العمل الجليل أهداف عامة وكبرى:

-مساعدة الطالب والمتمدرس على إدراك ذاته بشيء من الموضوعية والحياد قدر الإمكان، فقد يكون سهلاً عليه أن يعرف غيره.. ولكنه يعنى أن يعرف نفسه، وأن تكون لديه الشجاعة الكافية لمواجهتها بواقع الضعف ثم أن يحملها على إصلاح الخطأ وتقويم المعوج لذا فإن من أهم أهداف المرشد النفسي هو تنمية بصيرة المسترشد لفهم ذاتيته.^(١)

- ترقية العملية التعليمية التعلمية: إن المؤسسات التعليمية بكل درجاتها وأسمائها من رياض الأطفال إلى الجامعة هي قبلة التوجيه والإرشاد وموضعه، وإذا عرفنا أن قطبي العملية التعليمية التربوية في المدرسة هما (المعلم والمتعلم) فإن عملية الإرشاد تتصل بهما معاً، كي تراعي الآتي:

- ١- التعرف على الفروق الفردية ورعايتها لدى الطلاب.
- ٢- إثارة الدوافع الإيجابية نحو التعلم والتحصيل للمنافسة الشريفة والتعزيز والثواب.
- ٣- ملاءمة البرامج الدراسية ومناهجها لاحتياجات الحياة وطموح الطلاب.
- ٤- تأكيد التوافق الشخصي: وذلك إنما يتم بإشباع الدوافع والحاجات الداخلية الأولية الفطرية والعضوية المكتسبة للطلاب.
- ٥- توفر الصحة النفسية: أن الهدف الأكبر والعام لعمليات الخدمة التوجيهية والإرشادية هو ضمان الصحة النفسية للطلاب.
- ٦- الحياة عموماً لكل فرد لا تخلو من مشكلات أو صعوبات أو عقبات. والإرشاد النفسي وما يسبقه أو يرافقه من توجيه مهني وتربوي. وما قد يلحق به من علاج نفسي إذا اقتضى الأمر كل ذلك يعمل بتسلسل وبتوازن لتحقيق الصحة النفسية التي هي عملية مستمرة ما دام الإنسان حياً.^(٢)
- ٧- توجيه الطالب وإرشاده إسلامياً في جميع النواحي النفسية والأخلاقية والاجتماعية والتربوية والمهنية لكي يصبح عضواً صالحاً في بناء المجتمع وليحيا حياة مطمئنة راضية.
- ٨- بحث المشكلات التي يواجهها أو قد يواجهها الطالب أثناء الدراسة سواء كانت شخصية أو اجتماعية أو تربوية.
- ٩- العمل على توثيق الروابط والتعاون بين البيت والمدرسة.
- ١٠- العمل على اكتشاف مواهب وقدرات الطلاب بمختلف أصنافهم.

^١ - الهاشمي، عبد الحميد محمد، التوجيه والإرشاد النفسي (الصحة النفسية الوقائية)، ط١٩٨٦، م دار الشروق للنشر، جدة، ص٢٦.

^٢ - ينظر: المرجع نفسه، ص٢٣-٢٦.

- ١١- مساعدة الطلاب على اختيار تخصصهم الدراسي والمهني.
 - ١٢- الإشراف والتأطير في إجراء البحوث والدراسات الأكاديمية والمهنية.
 - ١٣- العمل على توعية المجتمع المدرسي (الطالب والمدرس والمدير) بشكل عام بأهداف ومهام التوجيه والإرشاد ودوره في التربية والتعليم.
- ٥- كيف يجب أن يكون الموجه ؟
- أن يتحلى المرشد الطلابي بالأخلاق الإسلامية قولاً و عملاً وأن يكون قدوة حسنة في الصبر والأمانة وتحمل المسؤولية دون ملل أو ضجر أو يأس.
 - أن يتميز المرشد الطلابي بالمرونة في التعامل مع حالات المسترشدين (الطلاب) وعدم التقيد بأساليب محددة في فهم مطالبهم وحاجاتهم الإرشادية .
 - أن يتميز المرشد الطلابي بالرفق في معاملته للمسترشد (الطالب) بما يمنحه الشعور بالاهتمام به والسعي لمصلحته ومساعدته في حل ما يعترضه من صعوبات .
 - أن يتميز المرشد الطلابي بالإخلاص وتقبل العمل في مجال التوجيه و الإرشاد كرسالة ليس على أساس أنه وظيفة بل رسالة بعيداً عن الرغبات والطموحات الشخصية .
 - أن يكون لدى المرشد الطلابي وعي بذاته و دوافعه وحاجاته وعدم إسقاطها على مسار العمل الإرشادي
 - أن يتجنب المرشد الطلابي إقامة علاقات شخصية مع الطالب وأن تكون العلاقة بينهما علاقة مهنية
 - أن يسعى المرشد الطلابي إلى تحقيق السعادة والرفاهية للمسترشد وأن توجه العملية الإرشادية لتحقيق أهدافها الإرشادية .
 - يجب أن تكون لدى المرشد الطلابي معرفة تامة بالحدود الأخلاقية لمهنته وعدم تجاوزها وتجنب أي تصرف سيء إلى عمله المهني .
 - أن يكون المظهر الشخصي للمرشد الطلابي مقبولاً دون تكلف أو مبالغة .
 - أن يتعد المرشد الطلابي عن التعصب كافة والالتزام بأخلاقيات العمل المهنية .
 - أن يقوم المرشد الطلابي بمصارحة الطالب بحدود وإمكانات عمله المهني دون مبالغة أو خداع .
 - ألا يستخدم المرشد الطلابي أجهزة تسجيل أو أجهزة أخرى إلا بعد استئذان الطالب وأخذ موافقته .
 - ألا يقوم المرشد الطلابي بتكليف أحد زملائه من غير المرشدين في المدرسة للقيام بمسؤولياته الإرشادية بالإنابة عنه .
 - أن يوثق المرشد الطلابي عمله المهني بأقصى قدر من الدقة و الإتقان وبشكل يكفل استكمالته في حالة عدم استمراره في مهمته لأي سبب من الأسباب .

- في حالة تطبيق المرشد الطلابي اختبارات على الطالب فعليه إشعاره بأسباب التطبيق ونوع الاختبار وتفسير نتائجه مع الاحتفاظ التام بسرية المعلومات .
 - عند تأكد المرشد الطلابي واقتناعه بضرورة تحويل الطالب إلى جهة أخرى لاستكمال دراسة حالته فعليه إشعار الطالب بذلك وشرح أسباب تحويله .
- ٦ - التوجيه والمدرسة الجزائرية:

كما سبق وأن ذكرنا لا تخلو عملية تعليمية تعلمية مهما كانت بسيطة، من عملية الإرشاد والتوجيه، حتى يصل بنا التصور أحيانا أن التعليم في حد ذاته توجيه وإرشاد، لكن كما لا يخفى على الجميع أن العمل الحضاري يحتم علينا أن نضع للتوجيه والإرشاد في المؤسسة التربوية- كيفما كانت درجتها- إطارا قانونيا، يسهل للمربين مهامهم التوجيهية، لذلك جاءت أمرية 16 أفريل 1976 لتنظيم عملية التربية و التكوين في الجزائر و اعتبرت التوجيه جزءا لا يتجزأ من المنظومة التربوية و تتجلى أهداف التوجيه المدرسي و المهني ضمن هذه الأمرية من خلال مجموعة من المواد القانونية، نلخصها في الآتي: (١).

المادة 61: إن مهمة التوجيه المدرسي والمهني هي تكييف النشاط التربوي وفق:

- القدرات الفردية للتلاميذ- متطلبات التخطيط المدرسي - حاجات النشاط الوطني.

ويرتبط التوجيه المدرسي بمسيرة الدراسة في مختلف مراحل التربية و التكوين.

المادة 62: إن التوجيه المدرسي و المهني يهدف إلى ضبط الإجراءات التي يتم بها فحص مؤهلات التلاميذ لمعرفةهم.

المادة 63: تساهم مؤسسات التوجيه المدرسي و المهني بالاتصال مع مؤسسات البحث التربوي في أعمال البحث و التجربة و التقييم حول نجاعة الطرق التربوية و استعمال وسائل التعليم و ملائمة البرامج و طرق الاختبار .

المادة 64: يهدف التوجيه المدرسي و المهني إلى: - تنظيم حصص إعلامية حول المنطلقات الدراسية و المهنية، و كذا الفحوص السيكولوجية و المقابلات التي تسمح باكتشاف مؤهلات التلميذ - متابعة تطور التلاميذ خلال دراستهم - اقتراح طرق لتوجيه التلاميذ و استدراكهم - المساهمة في إدماج التلاميذ في الوسط المهني.

٧ - واقع التوجيه التربوي بالمدرسة والجامعة الجزائرية:

كما هو معلوم إن العملية التوجيهية الإرشادية في المؤسسة التعليمية والتربوية لا يمكن الاستغناء عنها أبدا، لعلاقتها الجدلية بالتعليم والتربية، لذلك لا تخلو مؤسسة تربوية من هكذا ممارسة، وهي تبدأ من الصف الأول الابتدائي، إلى آخر سداسي يقضيه الطالب في الجامعة، وتتجلى مهمة التوجيه والإرشاد في عملية الإشراف البيداغوجي المنظم، والذي يقدم لصالح المعلم والمتعلم على حد سواء، كما يقوم به المعلمون والمفتشون، ومدراء المؤسسات التربوية، بالنسبة للتعليم العام، أما في الجامعة فيضطلع به الأساتذة الجامعيون كل على حده كمشرف مباشر على بحوث الطلبة عند تخرجهم، وكفرق بيداغوجية مثل رؤساء الاختصاصات، ورؤساء الشعب، ومسؤولي الميادين بالنسبة لنظام (Imd).

^١ - فطازي كريمة، الإرشاد المدرسي بالمرحلة الثانوية في ظل المقاربة بالكفاءات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بملتقى التكوين بالكفايات في التربية ١٧-١٨-جانفي ٢٠١١، جامعة ورقلة، ص ١٦٥-١٦٨.

ومع ذلك يمكننا القول أن كل ما يعزى للمدرسة الجزائرية والجامعة من فشل مرده إلى فشلنا في الإشراف والتوجيه، وعجزنا عن القيام بهذه العملية في حينها ووقتها الذي يحتاج الممتدرس فيه أو الطالب للأخذ بيده، من أجل معالجة مشكل نفسي أو اجتماعي أو تقني محض، ولا أبالغ إن قلت بأن التوجيه والإرشاد منعدم تماما في المرحلة الابتدائية، نظرا لنقص تكوين المعلمين، وقلة احتكاك المفتشين بالميدان مباشرة، وبقائهم أطول مدة من الزمن في المكاتب أو في الإدارات المختلفة نظرا لنمط عملهم البيروقراطي المضني.

أما بالنسبة للتعليم في مرحلتيه المتوسطة والثانوية، فهو أحسن حالا من سالفه، لكن دور المرشد والموجه مقتصر في غالب الأحيان على بطاقات الرغبات الخاصة بالانتقال إلى تخصصات جديدة، ولا يقومون فيها بدور فعلي وحقيقي لإرشاد وتوجيه الطلبة، بناء على متابعة جادة لمسار كل طالب والكشف عن ميولاته، بل يتركون له الحرية التامة ولأبويه في الاختيار، حتى ولو كان والداه لا يفقهان شيئا في التوجيه.

وحتى لا أكون ذاتيا في الحكم بالنسبة لهذه القضية، أثرت اللجوء إلى بحث ميداني قام به الباحث الأستاذ: الصالح بوعزة⁽¹⁾ على عيني من الأساتذة والمفتشين، وسمه (واقع الإشراف التربوي في الجزائر من وجهة نظر الهيئة الإشرافية والتدريسية دراسة ميدانية بالمدارس القوسطة بولاية سطيف)، قدر فيه عدد المستجوبين في الاستبيان¹⁵ أستاذًا، و¹⁹ مفتشًا، و بني الاستبيان في ثمانية مجالات هامة هي: القيادة التربوية، النمو المهني والعلمي للمدرسين، التلاميذ، المناهج، طرق التدريس، الوسائل التعليمية، النشاط المدرسي، المجتمع المحلي، وللتأكد من مدى شموليته وموضوعيته وصدقه تم عرضه على لجنة التحكيم، واعتمد الباحث في تطبيق الأداة على طريقة الاتصال المباشر، وبعد تحليل ما توصل إليه الباحث من نتائج خلص إلى مايلي:

بناء على نتائج الدراسة واستنادا إلى بعض الدراسات المحلية حول واقع العملية الإشرافية في بلادنا تم الوقوف على (كثير من النقائص والسلبيات سواء على المستوى الفني أو العلائقي، دون إنكار محاولات للتحديث ومواكبة المستجدات في الميدان التربوي والإشرافي، لكنها تبقى محاولات بدون فلسفة واضحة المعالم من طرف الوزارة، مما خلق فجوة كبيرة بين التخطيط والتنفيذ. ولذلك على الوزارة المعنية أن تعمل على إحداث ثورة من أجل تغيير الذهنيات والمفاهيم والقوانين والاستراتيجيات والآليات والوسائل بغية اللحاق بركب التطور والتكيف مع المستجدات التكنولوجية العالمية).

٨- المأمول في مجال التوجيه والإرشاد بالمدرسة الجزائرية:

إن المنظومة التعليمية والتربوية في الجزائر لا تعوزها التشريعات والقوانين التي تنظم عملية التوجيه والإرشاد التربوي، بل يعوزها الترجمة الفعلية الميدانية لتلك المناشير والأمريات، التي تقاسم عنها غالبية المعنيين بها، ولجأوا للآلية في كل شيء، هذا من جهة ومن جهة أخرى جعلها تواكب التطور التكنولوجي المتسارع، لتستفيد منه وتوفر كثيرا من الجهد والوقت، وذلك عن طريق:

* إنشاء شبكة إلكترونية داخلية بين المؤسسات التربوية على مستوى الوطن.

* وجعلها في متناول المربين والتلاميذ والطلبة.

^١ - الصالح بوعزة ، واقع الإشراف التربوي في الجزائر من وجهة نظر الهيئة الإشرافية والتدريسية دراسة ميدانية بالمدارس المتوسطة بولاية سطيف، مجلة العلوم الاجتماعية العدد ١٦ ديسمبر ٢٠١٢.

*يتم من خلالها تبادل الخبرات المتاحة لدى جهات دون الأخرى.

*ويتم من خلالها طرح التساؤلات ومعالجتها على صعيد وطني.

* يلجأ إليها الأفراد كلما احتاجوا إليها، خاصة لما تكون أبواب التوجيه والإرشاد موصدة في مؤسساتهم.

* يجعل على رأسها فريق متخصص في مجال التوجيه والإرشاد التربوي والنفسي.

*يتم من خلالها التواصل بين المؤسسات والأولياء المهتمون، حتى تكون بديلا لدفاتر المراسلة التي نجدها في معظم الأحيان معطلة.

* يتم من خلالها التوجيه وفق الرغبات والميول، وذلك بإنشاء برامج توجيه إلكترونية متطورة، قريبة من تلك المستعملة في توجيه الناجحين في البكالوريا.

قائمة المراجع:

١-فالتيتنا وديع سلامة، فاعلية الأنشطة الفنية في تخفيض حدة السلوك العدواني، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، مصر: ٢٠٠٩

٢- صالح بن عبد الله وعبد المجيد بن طاش نيازي، الإرشاد النفسي والاجتماعي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض: ٢٠٠٩

٣-معجم علم النفس والتربية، الجزء ١، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجميات، المطابع الأميرية، مصر: ١٩٨٠

٤- كاملة الفرخ وعبد الجابر تيم، مبادئ الإرشاد و التوجيه النفسي، دار صفاء للنشر، عمان، ١٩٩٩

٥-عبد الحميد بن أحمد النعيم، أسس التوجيه والإرشاد النفسي، مركز التنمية الأسرية، جامعة الملك فيصل، الرياض: ٢٠٠٩

٦-سهير كامل أحمد، التوجيه والإرشاد النفسي، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٩، مصر.

٧-عبد العلي الجسماني، علم التربية و سيكولوجية الطفل، الدار العربية للعلوم، ط١، بيروت، ١٩٩٤

٩-عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية: ١٩٨٩.

١٠- عبد الرحمن العيسوي، اضطرابات الطفولة والمراهقة علاجها، دار راتب، ط١، بيروت، ٢٠٠٩.

١١- كلير فهيم، أولادنا والمدرسة، دار جهاد للنشر، ط١، مصر: ١٩٩٩

١٢- عبد المجيد الخليدي، الأمراض النفسية والعقلية والاضطرابات السلوكية عند الأطفال، دار الفكر العربي، ط١، بيروت ١٩٩٧

١٣- أحمد لطفي بركات ومحمود زيدان، التوجيه التربوي والإرشاد النفسي في المدرسة العربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة: ١٩٨٦

١٤- سعدون سلمان نجم الحلبوسي، عبد الأمير عبود الشمسي و وهيب مجيد الكبسي، التوجيه المدرسي و الإرشاد النفسي

بين النظرية و التطبيق، منشورات ELGA، 2002

- ١٥- جودت عبد الهادي وسعيد العزة، مبادئ التوجيه والإرشاد النفسي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان؛ ٢٠٠٠.
- ١٦- هادي مشعان ربيع، الإرشاد التربوي- مبادئه وأدواته الأساسية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان؛ ٢٠٠٠.
- ١٧- هدى الحسيني، المرجع في الإرشاد التربوي، أكاديميا، بيروت؛ ٢٠٠٠.
- ١٨- حامد زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب، القاهرة؛ ١٩٨٨.
- ١٩- محمد محروس الشناوي، العملية الإرشادية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة؛ ١٩٩٩.
- ٢٠- نزيه عبد القادر حمدي، الإرشاد والتوجيه في مراحل العمر، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان؛ ١٩٩٩.
- ٢١- سهام درويش أبو عيطة، مبادئ الإرشاد النفسي، دار الفكر للطباعة والنشر عمان؛ ١٩٩٦.
- ٢٢- سعيد جاسم الأسدي، مروان عبد المجيد إبراهيم، الإرشاد التربوي، دار الثقافة، الأردن ط٣؛ ٢٠٠٠.
- ٢٣- سعيد الاسدي ومروان إبراهيم، الإرشاد التربوي - مفهومه، خصائصه، ماهيته، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان؛ ٢٠٠٠.
- ٢٤- سعيد عبد العزيز وجودت عطوي، التوجيه المدرسي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان؛ ٢٠٠٠.
- ٢٥- عبد الفتاح محمد الخواجا، الإرشاد النفسي والتربوي بين النظرية والتطبيق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان؛ ٢٠٠٠.
- ٢٦- سعد جلال، التوجيه النفسي و التربوي و المهني، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، 1992.
- ٢٧- صائب أحمد الألويسي، عواد جاسم التميمي، الإرشاد التربوي في جامعات دول الخليج العربية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1999.
- ٢٨- حامد عبد السلام زهران، التوجيه و الإرشاد النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ط٣؛ ١٩٨٣.
- ٢٩- حامد عبد السلام زهران، دراسات في الصحة النفسية و الإرشاد النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ط١، 2003.
- ٣٠- فنطازي كريمة، الإرشاد المدرسي بالمرحلة الثانوية في ظل المقاربة بالكفاءات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بملتقى التكوين بالكفايات في التربية؛ ١٨١-جانفي ٢٠٠١، جامعة ورقلة.
- ٣١- الصالح بوعزة، واقع الإشراف التربوي في الجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية العدد ١٦ ديسمبر ٢٠٠١، جامعة سطيف.

مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة

د.عمر الريماوي/جامعة القدس، فلسطين

ملخص:

هدفت الدراسة التعرف إلى مستوى مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة في ضوء متغيرات الدراسة. وقد تم استخدام المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من (348) طالباً وطالبة، وقد تم اختيارهم بالعينة الطبقية العشوائية، لملاءمتها لطبيعة الدراسة الحالية ولتحقيق أهداف الدراسة تم تطبيق مقياس مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي، وللتحقق من ثبات الأداة تم حسب معادلة الثبات كرونباخ ألفا، وكانت الدرجة الكلية (0.83). وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية: أن مستوى المتوسط الحسابي لمشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي للدرجة الكلية (3.04) وانحراف معياري (0.47) أي بدرجة متوسطة. وأظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائية في مستوى في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لكل من المتغيرات التالية (متغير الجنس، السكن، المستوى الدراسي، الكلية).

الكلمات المفتاحية: مشكلات، الإرشاد، التسجيل الأكاديمي، جامعة القدس.

مقدمة:

يعتبر الإرشاد الأكاديمي محوراً أساسياً في نظام التعليم الجامعي، حيث تعد هذه العملية بمثابة الداعم الأول لمسيرة المتعلم الجامعية، من خلال تزويده بالمهارات الأكاديمية المتنوعة التي ترفع من تحصيله الدراسي، وتوعيته بأنظمة وقوانين الجامعة، ومساعدته في بلورة أهدافه واتخاذ القرارات المناسبة المتعلقة بمستقبله الأكاديمي والمهني، عن طريق الاستفادة القصوى من جميع الإمكانيات والبدائل المتاحة.

إذ يعد الإرشاد الأكاديمي نشاطاً أساسياً وضرورياً في مؤسسات التعليم الجامعي، لاكتشاف هوايات ورغبات وميول الطلاب وقدراتهم وتحديد أهدافهم واتجاهاتهم، ويعتبر بمثابة القناة التي توفر اتصالاً منتظماً بين المتعلم وجامعته، وتساعد على اكتشاف موقعه في العملية الدراسية، ومعرفة الخيارات المتاحة أمامه واختيار الأفضل منها.¹

كما أن الإرشاد الأكاديمي يعتبر الركيزة الأساسية للطلاب منذ التحاقه بالجامعة إلى حين تخرجه، وهو نظام يقوم على دعائم أساسية منه إرساء مبدأ التعليم الذاتي، والحرية الأكاديمية والشخصية في الاختيار من وسائل البدائل التعليمية

¹ - Kadar, S.: "counseling liaison model of academic advising". Journal of College Counseling, 4(2), 174-178, 2001.

المتاحة لأن الخطة الدراسية في هذا النظام هرمية الشكل، بحيث تقل المواد الإجبارية للتخصص كلما اتجهنا إلى القمة لتحل محلها المقررات الاختيارية، ومراعاة متطلبات الفروق الفردية للطلاب وفق استعداداتهم وقدراتهم وظروفهم، والتكيف مع الواقع التعليمي، وإن أي اخفاق في الإرشاد ينعكس على النظام كله بأنظمته ولوائحه وقوانينه¹.

كما أصبح الإرشاد الأكاديمي أكثر من مجرد تنظيم جدول الطالب الدراسي والخطة التي ينبغي أن يسجلها في السنوات القادمة، بل تعدى ذلك إلى مساعدة الطالب وتوجيهه في تقييم قدراته وحل مشكلاته الأكاديمية. وأن الطالب لا يسعه أن يستمع إلى إرشادات ونصائح المرشد الأكاديمي، فقط كل ما يحتاجه هو موافقه المشرف على برنامجه للتسجيل، مما يدفع بالمشرف في معظم الأحيان إلى التقليل من التوجيه والنصح للطلاب².

وتعتبر أهم المشاكل في الإرشاد الأكاديمي، كثرة عدد الطلبة بالنسبة لكل مرشد أكاديمي، وازدحام الطلبة لدى المرشد حيث أن مكان الإرشاد أو مكتب المرشد لا يتناسب مع عدد الطلبة. كذلك عدم تناسب ساعات المكتبة للمرشد مع ساعات فراغ الطلبة، مما يخلق توتراً لدى الطلبة حيث لا يستطيع أن يحل مشاكلهم³، وهناك العديد من الدراسات في مجال تأهيل عضو هيئة التدريس في الإرشاد الأكاديمي توصي بزيادة الوقت المخصص للمرشد الأكاديمي⁴.

ويرجع العديد من الدراسات إلى عدم نجاح عملية إرشاد الطالب الجامعي إلى جهل الطالب بوجود الخدمات أصلاً، كما أن هناك عدم اهتمام المرشد بمشكلات الطالب وعدم حضوره في فترة الإرشاد والتسجيل إضافة إلى عدم إعطاء الوقت الكافي للطلبة⁵.

إن مساعدتهم في اختيار المقررات الدراسية المناسبة حسب الخطة الدراسية الموضوعية للحصول على الدرجة العلمية بنجاح، من خلال تذليل العقبات التي تصادفهم أثناء دراستهم والتي تحول دون قدرتهم على التحصيل العلمي⁶.

وقد أظهرت نتائج دراسات متعددة⁷ أن برامج التهيئة الإرشادية التي تقدم للطلبة عند قبولهم في الجامعة تساهم في تحسين مستوى تكيفهم الأكاديمي، وتقلل من احتمالات التسرب بين الطلبة المشاركين، كما أنها ترفع معدلهم التراكمي، وتحسن من اتجاهاتهم نحو العمل الأكاديمي ونحو أنفسهم، وتقلل من القلق لديهم.

ويعد الرضا عن خدمات الإرشاد الأكاديمي المفتاح والمدخل لنجاح الطالب في الحياة الجامعية، فإن الإرشاد الأكاديمي الفعال سوف يساهم في تحقيق رضا داخلي لدى الطالب عن خياره المني والأكاديمي والتخصص العلمي الذي يدرسه¹. ويعمل

¹ - محمد الخوالدة؛ ولطفي غرابية: "مشكلات الإرشاد الأكاديمي في جامعة اليرموك من وجهة نظر الطلبة والعاملين في دائرة القبول والتسجيل"، دراسات العلوم التربوية. ١٩ (٣)، ١٠٤-١٢٧، ٢٠٠٠.

² - Gordon, N.: "Career decidedness types: A literature review". The Career Development Quarterly, 46(4), 386, 2000.

³ - سلوى فتحي؛ وراجحان حياة، وخديجة حريري؛ ومرتم سلامة : "الإرشاد العلمي، مفهومه ومعوقاته، دراسة تحليلية وتطبيقية". الندوة الأولى للإرشاد الأكاديمي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٢.

⁴ - Rossman, E.: "Released time for faculty advising: The impact upon freshmen". The Personnel and Guidance Journal, 47(4), 358-363, 1986.

⁵ - عبد المجيد نشواتي، وشاهر الحسن : "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، نظام الساعات المعتمدة والإرشاد الأكاديمي في التعليم العالي". المركز لبحوث التعليم العالي، دمشق، ١٩٨٤.

⁶ - نبيلة يوسف الكندري : "التوجيه والإرشاد في جامعة الكويت : دراسة ميدانية". المجلة التربوية، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي . ٣٢ (١٢٣) ٣٥٤-٣٧٣، ٢٠٠٦.

⁷ Baker, W., & Siryk, B.: "Exploratory intervention with a scale measuring adjustment to college". Journal of counseling psychology, 33(1), 31. 1986.

المُرشد الأكاديمي على مساعدة الطالب على تحقيق أهدافه من خلال التعاون معه، وبلورة هذه الأهداف، وتحقيقها بدقة، ووضع الخطط المناسبة لتحقيقها. كما يبصره بإمكاناته الشخصية، وبإمكانات الجامعة، والخدمات المتاحة التي تيسر له الوصول إلى الأهداف التربوية².

الدراسات السابقة:

دراسة الكريمين³ هدفت هذه الدراسة التعرف إلى أهم مشاكل الإرشاد الأكاديمي التي تواجه الطلاب والمرشد الأكاديمي من جهة والعاملين في وحدة القبول والتسجيل من جهة أخرى.

وقد استخدم الباحثون استبانة وزعت على (٣) مرشد أكاديمي و(٣) موظف في وحدة القبول والتسجيل و(١٣) طالب في جامعة البلقاء التطبيقية. وخلصت الدراسة بأن أكثر المشاكل الخاصة بالمرشدين الأكاديميين تتخلص في تغير المرشد الأكاديمي في كل سنة وأحياناً في كل فصل دراسي، إضافة إلى عدم تفعيل عملية الإرشاد إلكترونياً أثناء عملية التسجيل. أما من وجهة نظر الطلاب فكانت المشكلة الأهم هي عدم توفر سجل للطلاب عند مرشدهم الأكاديمي يبين ما تم إنجازه من خطته الدراسية، إضافة إلى التعديل المستمر على الخطط الدراسية. أما مشاكل العاملين في القبول والتسجيل فتمحورت حول عملية التسجيل نفسها حيث أنها تتم حسب ما هو متوفر من شعب وليس حسب توجيهات المرشد الأكاديمي.

دراسة سليمان⁴ هدفت هذه الدراسة إلى استكشاف مدى الرضا عن خدمات الإشراف الأكاديمي المقدمة لطلاب جامعة السلطان قابوس، وتكونت عينة الدراسة من (٧٦) طالباً وطالبة. أظهرت النتائج أن مستوى رضا الطلاب العام عن خدمات الإشراف الأكاديمي يقع في المدى المتدني. كما أظهرت النتائج أن مستوى الرضا عن خدمات الإشراف الأكاديمي جاءت لصالح الطلاب الذكور، كما هي لصالح الطلاب في كلية الآداب والعلوم الإجتماعية وكلية العلوم وكلية الطب، وكذلك لصالح الطلاب الذين تقديرهم مقبول فما دون. وأخيراً لم تظهر النتائج أثراً يعزى للسنة الدراسية في متوسط الرضا عن خدمات الإشراف الأكاديمي.

ودرسه الحكمان⁵ الحاجات الإرشادية من وجهة نظر طلبة الجامعات الخاصة بسلطنة عُمان. اشتملت عينة الدراسة على (٤١) طلاب وطالبات من ثلاث جامعات خاصة في سلطنة عُمان، وأظهرت الدراسة عن أن ترتيب مجالات الحاجات الإرشادية جاء على نحو ما يلي: الحاجات الأكاديمية ثم النفسية ثم المهنية ثم الإجتماعية، كما أسفرت نتائج الدراسة عن عدم وجود فروق يمكن أن تعزى للمتغيرات الآتية: الجنس، الجامعة، والسنة الدراسية إلا في مجال الحاجات الإجتماعية، وكانت لصالح السنة الثانية، ومتغير المعدل التراكمي.

¹ - Austin, W., Parrott, A., Korn, S., & Sax, J. : "The American freshman: Thirty-year trends". Los Angeles. CA: Higher Education Research Institute, UCLA, 1997.

² - Garnett, T.: "Developmental Advising--How? Why?", Proceedings of the Region VII Conference on Academic Advising.(4th, Little Rock, Arkansas, May 15-17, 1988).

³ الكريمين، رائد و الحياصيات، محمد؛ النابلسي، زينب : "مشكلات الإرشاد الأكاديمي من وجهة نظر المرشد الأكاديمي، الطلبة، والعاملين في وحدة القبول والتسجيل في جامعة البلقاء التطبيقية"، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، العدد (١٠٤)، ٢٤١-٢٧١. ٢٠١٠.

⁴ سليمان، سعاد: "الرضا عن خدمات الإشراف الأكاديمي لدى طلاب جامعة السلطان قابوس". مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة البحرين، ٩ (٢)، ١٤-٣٨. ٢٠٠٨.

⁵ الحكمان، ناصر: " الحاجات الإرشادية من وجهة نظر طلبة الجامعات الخاصة بسلطنة عمان"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ٢٠٠٨.

دراسة جودت¹ هدفت الدراسة إلى التعرف إلى المشكلات التي يواجهها طلبة الجامعة، والناجمة عن إجراءات التسجيل المتنوعة من جهة، وتكونت عينة الدراسة من ٤٨٦ (٨٦) طالباً وطالبة من جامعة الإسراء الخاصة الأردنية، وأظهرت النتائج أن أكثر المشكلات حدة والناجمة عن المرشد الأكاديمي تمثلت في الوقت المخصص من جانبه لكل طالب لإرشاده بطريقة سليمة طيلة الفصل الدراسي، وندرة محاولة المرشد الأكاديمي التعرف إلى خلفية الطالب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية قبل إرشاده أكاديمياً. وجود فروق ذات دلالة يعزى لمتغير الكلية.

وهدف دراسة الضامن وسليمان² إلى الكشف عن الحاجات الإرشادية لطلبة جامعة السلطان قابوس. وتكونت عينة الدراسة من ٣٢٥ (٣٢) طالباً وطالبة. وأشارت نتائج الدراسة إلى أن ترتيب مجالات الحاجات الإرشادية جاء على نحو ما يلي: الحاجات الأكاديمية ثم المهنية ثم الرفسية. كما أشارت نتائج الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائياً لصالح الكليات الإنسانية، ولصالح الإناث، بينما أشارت الدراسة إلى عدم وجود فروق دالة إحصائياً تعزى لمتغير المستوى الأكاديمي.

وأجرى الصارمي وزايد³ دراسة هدفت إلى التعرف على مدى رضا طلاب كلية التربية بجامعة السلطان قابوس عن خدمات الإرشاد الأكاديمي المقدمة لهم، واستطلاع توقعاتهم حول هذه الخدمات. أظهرت النتائج أن الطلبة في كلية التربية غير راضين بدرجة كافية عن الإرشاد الأكاديمي، كما أنهم يريدون مرشدين أكاديميين يمتلكون المعرفة بخطط الدراسة وأنظمة الجامعة. وأظهرت النتائج كذلك أن الطلبة مع تقدم الدراسة يصبحون أقل رضا عن خدمات الإرشاد الأكاديمي. كما أشارت تلك النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالات إحصائية بين درجة رضا الطلبة عن خدمات عملية الإرشاد الأكاديمي تعزى لمتغير الجنس.

وهدفت الدراسة التي قام بها المحاميد وعربيات⁴ إلى معرفة اتجاهات الطلبة نحو الإرشاد الأكاديمي وعلاقته بتكيفهم الدراسي في جامعة مؤتة، وقد اختيرت عينة عشوائية مكونة من ٣٥٥ (٣٥) طالباً وطالبة. أظهرت نتائج الدراسة وجود اتجاهات سلبية نحو الإرشاد الأكاديمي، فضلاً عن وجود علاقة بين الإتجاهات نحو الإرشاد والتوافق الدراسي لدى الطلبة. أشارت النتائج إلى أنه لا توجد فروق تعزى لمتغيري الجنس والكلية، والتفاعل بينهما على اتجاهات الطلبة نحو الإرشاد الأكاديمي.

وفي دراسة (Landrum,⁵ الإرشاد الأكاديمي وأثره في التكيف الدراسي، تألفت عينة الدراسة من ٦١٠ (٦١) طالب وطالبة من جامعة (أورلينز Orleans) يستدل عليه من خلال مستوى التحصيل الأكاديمي للطلبة. أشارت النتائج إلى وجود معامل ارتباط

¹ جودت، سعادة، وغازي، خليفة، ومحمد، عالية: "دراسة ميدانية لمشكلات التسجيل والإرشاد الأكاديمي الجامعي"، مجلة دراسات العلوم التربوية، ٣٤ (٢)، ٢٠٠٧، ص ٣١٩-٣٤٠.

² الضامن، مُنذر وسليمان، السعاد: "الحاجات الإرشادية لطلبة جامعة السلطان قابوس وعلاقتها ببعض المتغيرات"، مجلة العلوم التربوية والنفسية، ٨ (٤)، ٢٠٠٧، ص ١٦٢-١٧٨.

³ الصارمي، عبد الله؛ وزايد، كاشف: "مدى رضا طلبة كلية التربية بجامعة السلطان قابوس عن الإشراف الأكاديمي وطبيعة توقعاتهم منه"، مجلة كلية التربية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ٢١ (٢٣)، ٥٩-٨٨، ٢٠٠٦.

⁴ المحاميد، شاكراً وعربيات، أحمد، "اتجاهات طلبة جامعة مؤتة نحو الإرشاد الأكاديمي وعلاقته بتكيفهم الدراسي"، مجلة العلوم التربوية، ٦ (٤)، ٢٠٠٥، ص ١٥٢-١٦٩.

⁵ Landrum, J., Tankersley, M., & Kauffman, M. "What is special about special education for students with emotional or behavioral disorders?". The Journal of Special Education, 37(3), 148-156. 2003.

عالٍ بين اتجاهات الطلبة نحو الإرشاد الأكاديمي وتكفيهم الدراسي. وقد وجد أن هناك فروقاً بين طلبة الجامعة الخاصة والحكومية في اتجاهاتهم نحو الإرشاد الألتديبي لصالح طلبة الجامعة الحكومية.

كما قامت بني يونس^١ (٢٠٠١) بدراسة هدفت إلى الكشف عن الخدمات الإرشادية المقدمة للطلاب الجامعي في جامعة اليرموك والجامعة الأردنية في الأردن، وتم اختيار عينة عشوائية من (١٦٠) طالباً وطالبةً من جامعة اليرموك، و(٢٥٠) طالباً وطالبةً من الجامعة الأردنية. أشارت النتائج أيضاً إلى وجود فروق في مقدار الخدمات الإرشادية المقدمة لطلبة جامعي اليرموك والأردنية بحسب متغيرات الجامعة، والسنة الدراسية، وتفاعل متغيرات الجامعة والسنة الدراسية. في حين لم يكن هنالك فروق في مقدار الخدمات الإرشادية المقدمة لطلبة الجامعة باختلاف الجنس.

أما دراسة آل مشرف^٢ فقد هدفت إلى تحديد أهم مجالات المشكلات التي يعاني منها طلبة جامعة صنعاء ويحتاجون فيها إلى خدمات إرشادية، وطبقت القائمة على عينة تكونت من (٢٥٠) طالباً وطالبةً في السنة الأولى والرابعة، ومن التخصصات النظرية والعلمية. وأوضحت النتائج أن طلاب جامعة صنعاء يعانون الكثير من المشكلات، حيث جاءت مشكلات المجال الإرشادي في المقدمة، يليها مشكلات المجال الدراسي والقيمي، والنفسي والمعرفي، والانفعالي، كما كشفت نتائج الدراسة عن وجود فروق إحصائية دالة في متوسط القائمة الكلية في المجال الإرشادي والدراسي تبعاً لمتغير التخصص فقط، حيث اتضح أن طلاب التخصصات العلمية يعانون من مشكلات أكثر من طلاب التخصصات الأدبية. كما وجدت فروق إحصائية دالة بين الذكور والإناث في مشكلات المجال القيمي حيث يعاني الذكور من مشكلات أكثر من الإناث.

مشكلة الدراسة:

يواجه الطلبة في جامعة القدس الكثير من صعوبات الإرشاد الأكاديمي، شأنهم في ذلك شأن أي طلبة ينتقلون من دراسة مرحلة التعليم الأساسي إلى الجامعة، حيث إن عدداً لا بأس به يقعون تحت الملاحظة الأكاديمية وبعضهم ينتقل من كلية إلى أخرى لعدم رغبتهم أو قدرتهم على متابعة تخصصهم، والذي قد يعزى إلى عدم الاختيار الصحيح أو إلى تلبية احتياجات سوق العمل. وانعكاس ذلك كله على حالتهم النفسية والاجتماعية، وعلى تحصيلهم الدراسي، وأصبح الطلبة بحاجة ماسة للإرشاد النفسي والتربوي. ومن هنا جاءت الدراسة لتحديد طبيعة مشكلات الإرشاد الأكاديمي في جامعة القدس كما يتصورها الطلبة.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

جاءت هذه الدراسة للتعرف على مستوى مشكلات الإرشادية من الجانب الأكاديمي وذلك بهدف تحسين الإرشاد الأكاديمي في التعليم الجامعي والذي سيوفر بدوره مناخاً تعليمياً مناسباً. وسيتم تحقيق ذلك من خلال دراسة الاختلاف في متوسطات تقديرات أفراد عينة الدراسة لمشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة باختلاف المتغيرات التالية: الجنس، مكان السكن، المستوى الدراسي، الكلية؟

^١ بني يونس، تغريد: "الخدمات الإرشادية المقدمة لطلبة الجامعات الأردنية الرسمية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن. ٢٠٠١

^٢ آل مشرف، فريد: "مشكلات طلبة صنعاء وحاجتهم الإرشادية". المجلة التربوية، جامعة الكويت، ٥٤ (٥)، ١٧١-٢٠٧، ٢٠٠٠.

فرضيات الدراسة:

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$) في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير الجنس.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$) في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير مكان السكن.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$) في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير المستوى الدراسي.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$) في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير الكلية.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة من كونها تسعى للتعرف على المشكلات التي يواجهها الطلبة في الإرشاد الأكاديمية، والوقوف على حاجاتهم الإرشادية سواء أكانت شخصية أم أكاديمية أم مهنية، إذ إن تحقيق هذه الحاجات يمكنهم من التصدي للصعوبات التي تواجههم، وتسهم في تكيفهم التكيف السليم من الناحية الأكاديمية والنفسية والاجتماعية. تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية الهدف وهو بناء شخصية الطالب. لذا أضحى مستقبل الطالب الأكاديمي والهنوي أمراً مهماً جداً، ولا بد أن تضع جميع الجامعات خدمة الإشراف الأكاديمي على أولوية مهام الهيئة التدريسية. كما أن التوصيات يؤمل أن تخرج بها الدراسة ستمكن القائمين على الإرشاد والتسجيل والجهات الإدارية المسؤولة في الجامعة من التغلب على هذه الصعوبات، ووضع برامج إرشادية وقائية ونمائية، وعلاجية تسهم في زيادة كفاءتهم ومساعدتهم على تحقيق أهدافهم ومستقبلهم الأفضل.

حدود الدراسة:

- يتحدد إطار هذه الدراسة بالحدود التالية:
- المحدد البشري: طلبة جامعة القدس.
- المحدد المكاني: جامعة القدس.
- المحدد الزمني: أجريت هذه الدراسة في الأول من العام الدراسي (٢٠١-٢٠١٠).
- المحدد الإجرائي: تحددت الدراسة بالمنهج والأدوات والمعالجات الإحصائية المستخدمة في الدراسة.
- المحدد المفاهيمي: كما وتحددت الدراسة بالمصطلحات والمفاهيم الإجرائية الخاصة بالدراسة.

مصطلحات الدراسة:

الإرشاد الأكاديمي: هو عملية مساعدة الطالبة في اكتشاف قدراتها وإمكاناتها الدراسية ومعاونتها في وضع خططها الدراسية واختيارها التخصص المناسب وتحقيقها لشروط القسم الذي تلتحق به للوصول إلى متطلبات التخرج ومساعدة الطالبة في التغلب على أي صعوبات تعترض مسارها¹.

الإرشاد الأكاديمي: هو عملية منظمة تستهدف مساعدة الطلاب على مواجهة صعوباتهم ومشكلاتهم ومساعدتهم على التكيف مع زملائهم وبيئتهم الأكاديمية وفقاً للقيم المجتمعية وتنميتهم معرفياً ومهنياً، والعمل على زيادة دافعيتهم للتعلم، وإكسابهم المهارات والإتجاهات والخبرات الإيجابية والثقة بالنفس².

التعريف الإجرائي للدراسة، وتتحد إجرائياً بناءً على فقرات الاستبيان مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي المستخدم في الدراسة الحالية.

منهجية الدراسة وإجراءاتها:

منهج الدراسة:

اتباع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وهو المنهج الذي يهدف إلى وصف خصائص الظاهرة وجمع معلومات عنها، فقد تم استخدام هذا المنهج في صورته لأنه يلاءم طبيعة وأهداف الدراسة معتمداً على أسلوب الدراسة الميدانية في جمع المعلومات، ليفي بأغراضها ويحقق أهدافها واختبار صحة فرضياتها وتفسير نتائجها.

مجتمع الدراسة وعينتها:

تمثل المجتمع الأصلي للدراسة من جميع طلبة جامعة القدس، والبالغ عددهم (٩٠٩) طالب وطالبة.

قامت الباحثة باستخدام عينة من مجتمع الدراسة، بلغ عددها (٣٤٤) فرد من مجتمع الدراسة.

وصف متغيرات أفراد عينة الدراسة: جدول (١).

جدول (١): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغيرات الدراسة.

المتغير	المستوى	العدد	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	165	47.4
	أنثى	183	52.6
مكان السكن	مدينة	141	40.5
	قرية	188	54.0

¹ زهران، حامد عبد السلام: " المعلم المرشد ودوره في الإرشاد"، ط ١، القاهرة، عالم الكتب، ص ص ١٢-١٣. ٢٠٠٣.

^٢ الخوالدة، محمد؛ وغرابية، لطفى: "مشكلات الإرشاد الأكاديمي في جامعة اليرموك من وجهة نظر الطلبة والعاملين في دائرة القبول والتسجيل"، دراسات العلوم التربوية. ١٩ (٣)، ١٠٤-١٢٧. ٢٠٠٠.

5.5	19	مخيم	
21.8	76	أولى	المستوى الدراسي
29.3	102	ثانية	
19.3	67	ثالثة	
29.6	103	رابعة	
35.1	122	انسانية	الكلية
64.9	226	علمية	

أداة الدراسة:

قام الباحث بحصر المصادر والمراجع العربية والدراسات السابقة والمتشابهة، وذلك بهدف الحصول على مقياس مقنن ذات دقة عالية وذات صلة بموضوع الدراسة. إذ تم الاستعانة بالمقياس التي صممه كل من الخوالدة وغريبة (٢٠٩)، والمستخدم أيضا في دراسة الكريمين وآخرون (٢٠١)، لموضوعيتها وكون فقراتها تتميز بالوضوح وسهولة العبارات. وتكون من بالصورة الأولية من (٤٤) فقرة، وقدم إلى مجموعة من الخبراء للحكم على صلاحية فقرات القياس، فحذفت عشرة فقرات منه، لطبيعة مجتمع الدراسة. وبذلك أصبح عدد فقرات الاستبانة بصيغتها النهائية (٣٤) فقرة، وبعد التأكد من صدق أداة الدراسة وثباتها، وتحديد عينة الدراسة، وتم تطبيق الأداة على أفراد عينة الدراسة، وبعد أن اكتملت عملية تجميع الاستبانات من أفراد العينة وتم الإجابة عليها بطريقة صحيحة- تبين للباحث أن عدد الاستبانات المستردة الصالحة التي خضعت للتحليل الإحصائي هو (٣٤) استبانة فقط.

صدق الأداة:

تم التحقق من صدق أداة الدراسة بعرضها على مجموعة من المحكّمين من ذوي الاختصاص والخبرة، والذين أبدوا بعض الملاحظات حولها، وعليه تم إخراج الاستبانة بشكلها الحالي و صورتها النهائية. ومن ناحية أخرى تم التحقق من صدق الأداة أيضاً بحساب معامل الارتباط بيرسون لفقرات الاستبانة مع الدرجة الكلية للأداة، واتضح وجود دلالة إحصائية في معظم فقرات الاستبانة.

ثبات الأداة :

وللتحقق من ثبات الاستبانة تم حساب الدرجة الكلية لمعامل الثبات، لمقياس الدراسة حسب معادلة الثبات كرونباخ ألفا Cronbach Alpha، وكانت الدرجة الكلية (٠.٨٠)، وهذه النتيجة تشير إلى تمتع هذه الأداة بثبات يحقق أغراض الدراسة.

المعالجة الإحصائية:

بعد جمع الاستبانات والتأكد من صلاحيتها للتحليل تم ترميزها (إعطائها أرقاماً معينة)، وذلك تمهيداً لإدخال بياناتها إلى جهاز الحاسوب الآلي لإجراء المعالجات الإحصائية المناسبة، وتحليل البيانات وفقاً لأسئلة الدراسة بيانات الدراسة، وقد تمت المعالجة الإحصائية للبيانات باستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة من فقرات الاستبانة، واختبار

(ت) (t- test)، واختبار التباين الأحادي (One Way ANOVA)، ومعامل ارتباط بيرسون، ومعادلة الثبات كرونباخ ألفا (Cronbach Alpha)، وذلك باستخدام الرزم الإحصائية (SPSS) (Statistical Package For Social Sciences).

نتائج الدراسة:

توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج، وبيان أثر كل من المتغيرات من خلال استجابة أفراد العينة على أداة الدراسة، وتحليل البيانات الإحصائية التي تم الحصول عليها. وحتى يتم تحديد درجة متوسطات استجابة أفراد عينة الدراسة تم اعتماد الدرجات التالية:

الدرجة	مدى متوسطها الحسابي
منخفضة	٢.٣٣ فأقل
متوسطة	٢.٣٤-٣.٦٧
عالية	٣.٦٨ فأعلى

نتائج فرضيات الدراسة:

الفرضية الأولى: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$) في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير الجنس"

تم فحص الفرضية الصفرية الأولى بحساب نتائج اختبار "ت" والمتوسطات الحسابية لاستجابة أفراد عينة الدراسة في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير الجنس.

جدول (٣): نتائج اختبار "ت" للعينات المستقلة لاستجابة أفراد العينة في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير الجنس

الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	مستوى الدلالة
ذكر	١٦٥	٣.٠٠	٠.٤٧	-١.٠٠	٠.٢٩
أنثى	١٨٢	٣.٠٠	٠.٤٨		

يتبين من خلال الجدول رقم (٣) أن قيمة "ت" للدرجة الكلية (-1.03)، ومستوى الدلالة (٠.٢٩)، أي أنه لا توجد فروق في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير الجنس، وبذلك تم قبول الفرضية الأولى.

نتائج الفرضية الثانية: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$) في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير مكان السكن" ولفحص الفرضية الصفرية الثانية تم حساب المتوسطات الحسابية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير مكان السكن. جدول (٤): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة لمشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير مكان السكن

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	السكن
٠.٤٦٦	٣.٠٨	١٤١	مدينة
٠.٤٧٦	٣.٠٠	١٨٨	قرية
٠.٥٨٢	٣.١٢	١٩	مخيم

يلاحظ من الجدول رقم (٤) وجود فروق ظاهره في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير مكان السكن، ولمعرفة دلالة الفروق تم استخدام تحليل التباين الأحادي (one way ANOVA) كما يظهر في الجدول التالي:

جدول (٥): نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد العينة في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير مكان السكن

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"	مستوى الدلالة
بين المجموعات	٠.٦٨	٢	٠.٣٤	١.٤٨٦	٠.٢٢
داخل المجموعات	٧٩.٠٨٤	٣٤٥	٠.٢٢		
المجموع	٧٩.٧٦٥	٣٤٧			

يلاحظ أن قيمة ف للدرجة الكلية (١.٤) ومستوى الدلالة (٠.٢٢) وهي أكبر من مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$) أي أنه لا توجد فروق دالة إحصائية في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير مكان السكن.

نتائج الفرضية الثالثة: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$) في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير المستوى الدراسي" ولفحص الفرضية الصفرية الثالثة تم حساب المتوسطات الحسابية لاستجابة أفراد عينة الدراسة على مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير المستوى الدراسي.

جدول (٦): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد عينة الدراسة لمشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير المستوى الدراسي

المستوى الدراسي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أولى	٧٦	٢.٩٨	٠.٤١٢
ثانية	١٠٢	٢.٩٩	٠.٤٣٥
ثالثة	٦٧	٣.١٤	٠.٥٣٥
رابعة	١٠٣	٣.٠٧	٠.٥٢٠

يلاحظ من الجدول رقم (٦) وجود فروق ظاهره في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير المستوى الدراسي، ولمعرفة دلالة الفروق تم استخدام تحليل التباين الأحادي (one way ANOVA) كما يظهر في الجدول التالي:

جدول (٧): نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد العينة في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير المستوى الدراسي

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"	مستوى الدلالة
بين المجموعات	١.٣٠٠	٣	٠.٤٣٣	١.٨٩٩	٠.١٢٩
داخل المجموعات	٧٨.٤٦٦	٣٤٤	٠.٢٢٨		
المجموع	٧٩.٧٦٥	٣٤٧			

يلاحظ أن قيمة ف للدرجة الكلية (١.٨٩) ومستوى الدلالة (٠.١٢) وهي أكبر من مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$) أي أنه لا توجد فروق دالة إحصائية في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير المستوى الدراسي، وبذلك تم قبول الفرضية الثالثة.

نتائج الفرضية الرابعة: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$) في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير الكلية"

تم فحص الفرضية الصفية الرابعة بحساب نتائج اختبار "ت" والمتوسطات الحسابية لاستجابة أفراد عينة الدراسة في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير الكلية.

جدول (٨): نتائج اختبار "ت" للعينات المستقلة لاستجابة أفراد العينة في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في

جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير الكلية

الكلية	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "t"	مستوى الدلالة
انسانية	١٢٢	٣.١	٠.٤	٢.٠٣	٠.٠٤
علمية	٢٢٣	٣.٠	٠.٤		

يتبين من خلال الجدول رقم (٨) أن قيمة "ت" للدرجة الكلية (٢.٠٣)، ومستوى الدلالة (٠.٠٤)، أي أنه لا توجد فروق في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي في جامعة القدس من وجهة نظر الطلبة يعزى لمتغير الكلية، وبذلك تم قبول الفرضية الرابعة.

مناقشة نتائج الدراسة:

تفاوتت مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمية التي تواجه الطلبة في جامعة القدس من حيث طبيعتها إلا أن ذلك لا ينفي وجودها، فقد أسفرت النتائج عن أن المشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمية التي تواجه الطلبة جاءت بدرجة متوسطة للدرجة الكلية للمقياس، ومن أهمها الفقرات التي أخذت أعلى متوسط حسابي مثل: "لا يتم الأخذ برأي الطلبة عند طرح المسابقات والشعب" أو "الوقت المخصص لعملية الإرشاد غير كافية" وعدم توفر لدى المرشد سجل عن حالة الطالب في مختلف المراحل التعليمية " كما أن الأمر لا يقف عند هذا الحد، بل تجاوزه، فقد كشفت نتائج البحث أن الطلبة أنفسهم يكونوا سبباً في بعض المشكلات التي تواجههم بسبب عدم التزام بخطة دراسية محددة "وعدم التزامه بالأوقات المحددة للإرشاد، وعدم تفهمه لأهمية ودور المرشد الأكاديمي واللامبالاة بتوجيهات المرشد.

كما تبين عدم وجود فروق في مشكلات الإرشاد والتسجيل الأكاديمي يعزى لمتغير الجنس، والسكن، والمستوى الدراسي، والكلية. نعزو هذه النتيجة إلى التشابه في المعاملة والمشاكل التي تواجه الطلبة، حيث المرشدين هم أنفسهم يتعاملون من الذكور والإناث، وتتفق نتائج هذه الدراسة مع ودراسة الحكمان (٢٠٠٩)، ومع دراسة الصارمي وزايلاً (٢٠٠٩)، ومع دراسة المحاميد وعريبياش (٢٠٠٩)، ومع دراسة بني يونس (٢٠٠٩) ولم تتفق مع دراسة الضامن وسليمان (٢٠٠٩)، ومع دراسة آل مشرف (٢٠٠٩)

و ان المشاكل متساوية بغض النظر الى المستوى الدراسي، وأن المشاكل واحدة لكل. وتتفق نتيجة هذه مع دراسة سليمان (٢٠٠٩)، ومع ودراسة الحكمان (٢٠٠٩)، ومع دراسة الضامن وسليمان (٢٠٠٩) ولم تتفق مع دراسة الطحان وأبو عطية (٢٠٠٩)، ومع دراسة بني يونس (٢٠٠٩)، ومع دراسة آل مشرف (٢٠٠٩)

ونعزو هذه النتيجة إلى أنه لا يوجد فرق بين الكليات، وهذا يعني أن المشاكل واحدة في كل كليات الجامعة. وتتفق مع دراسة المحاميد وعريبياش (٢٠٠٩) ولم تتفق مع نتائج دراسة جودت وآخرون (٢٠٠٩).

التوصيات:

- العمل على توزيع دليل الطالب الجامعي قبل عملية التسجيل، مما يشجعه على الدقة في التطبيق والاستفسار من المرشد الأكاديمي عما يجهله من أمور التسجيل والإرشاد.

- طرح المسابقات ومراعاة التنوع والتوقيت وعدم التعارض في طرح المسابقات، وفتح العدد المناسب من الشعب للمسابقات المطروحة.
- العمل على التواصل الفعال بين الطلبة والاساتذة، لكي يستطيع أن يحدد حاجاتهم
- حث والزام الطلبة على إجراء السحب و الاضافة باستشارة المرشد والاستماع إلى نصحه و توجيهاته.
- تحديد ساعات معينة ليتواجد فيها المرشد في مكتبه والالتزام بهذه الساعات.

قائمة المراجع:

١. آل مشرف، فريد: "مشكلات طلبة صنعاء وحاجتهم الإرشادية"، المجلة التربوية، جامعة الكويت، ٥٤ (٣)، ٢٠٠٠.
٢. بني يونس، تغريد: "الخدمات الإرشادية المقدمة لطلبة الجامعات الأردنية الرسمية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٠.
٣. جودت، سعادة، وغازي، خليفة، ومحمد، عالية: "دراسة ميدانية لمشكلات التسجيل والإرشاد الأكاديمي الجامعي"، مجلة دراسات العلوم التربوية، ٣٤ (٢)، ٢٠٠٠.
٤. الحكمان، ناصر: "الحاجات الإرشادية من وجهة نظر طلبة الجامعات الخاصة بسلطنة عمان"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ٢٠٠٠.
٥. الخوالدة، محمد؛ وغرايبة، لطفي: "مشكلات الإرشاد الأكاديمي في جامعة اليرموك من وجهة نظر الطلبة والعاملين في دائرة القبول والتسجيل"، دراسات العلوم التربوية، ١٩ (٣)، ٢٠٠٠.
٦. زهران، حامد عبد السلام: "المعلم المرشد ودوره في الإرشاد"، ط١، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٠.
٧. سلوى فتحي، وخديجة حريري؛ ومريم سلامة: "الإرشاد العلمي، مفهومة ومعوقاته"، دراسة تحليلية وتطبيقية، الندوة الأولى للإرشاد الأكاديمي مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٠.
٨. سليمان، سعاد: "الرضا عن خدمات الإشراف الأكاديمي لدى طلاب جامعة السلطان قابوس"، مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة البحرين، ٩ (٣)، ٢٠٠٠.
٩. الصارمي، عبد الله؛ وزايد، كاشف: "مدى رضا طلبة كلية التربية بجامعة السلطان قابوس عن الإشراف الأكاديمي وطبيعة توقعاتهم منها"، مجلة كلية التربية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ٣٢ (٣)، ٢٠٠٠.
١٠. الضامن، منذر وسليمان، السعاد: "الحاجات الإرشادية لطلبة جامعة السلطان قابوس وعلاقتها ببعض المتغيرات"، مجلة العلوم التربوية والنفسية، ٨ (٤)، ٢٠٠٠.
١١. عبد المجيد نشواتي، وشاهر الحسن: "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، نظام الساعات المعتمدة والإرشاد الأكاديمي في التعليم العالي"، المركز لبحوث التعليم العالي، دمشق، ١٩٨٨.
١٢. الكريمين، رائد و الحياصيات، محمد؛ النابلسي، زينب: "مشكلات الإرشاد الأكاديمي من وجهة نظر المرشد الأكاديمي، الطلبة، والعاملين في وحدة القبول والتسجيل في جامعة البلقاء التطبيقية"، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، العدد (١٠٠)، ٢٠٠١.
١٣. المحاميد، شاكر وعربيات، أحمد: "اتجاهات طلبة جامعة مؤتة نحو الإرشاد الأكاديمي وعلاقته بتكليفهم الدراسي"، مجلة العلوم التربوية، ٦ (٣)، ٢٠٠٠.

- ١٤ . محمد الخوالدة؛ ولطفي غرايبة: "مشكلات الإرشاد الأكاديمي في جامعة اليرموك من وجهة نظر الطلبة والعاملين في دائرة القبول والتسجيل"، دراسات العلوم التربوية؛ ١ (٣)، ٢٠٠٤.
- ١٥ . نبيلة يوسف الكندري: "التوجيه والإرشاد في جامعة الكويت: دراسة ميدانية"، المجلة التربوية، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، ٣٣٢ (٢)، ٢٠٠٤.
16. Austin, W., Parrott, A., Korn, S., & Sax, J. : 'The American freshman: Thirty-year trends'. Los Angeles. CA: Higher Education Research Institute, UCLA, 1997 .
17. Baker, B., Boggs, R., & Arabasz, P. : "Student and faculty perspectives on e-learning support'. Educause Research Bulletin, 3, (16), 2003.
18. Garnett, T.:"Developmental Advising--How? Why"? Proceedings of the Region VII Conference on Academic Advising.(4th, Little Rock, Arkansas), May 15-17, 1988 .
19. Gordon, N. : "Career decidedness types: A literature review. The Career Development Quarterly", 46(4), 2000 .
20. Kadar, S.: "counseling liaison model of academic advising' .Journal of College Counseling, 4(2), 2001 .
21. Landrum, J., Tankersley, M., & Kauffman, M. : "What is special about special education for students with emotional or behavioral disorders?".The Journal of Special Education, 37(3), ,2003.
22. Rossmann, E. : "Released time for faculty advising: The impact upon freshmen". The Personnel and Guidance Journal, 47(4), 1986.

تاريخ وخصوصيات الإعلام الشعبي بدارفور

د. آدم محمد حسن ابكر/جامعة نيالا، السودان أ. فاروق احم يحي حسن/جامعة الجنيينة، السودان

ملخص:

أظهر البحث أنماط وخصوصيات الإعلام الشعبي في دارفور ومدى فاعلية تلك الخصوصيات في ترسيخ القيم، واتضح أن الإعلام الشعبي خدم أغراضاً إنسانية ووظائف اجتماعية لعبت دوراً ملحوظاً في ترسيخ قيم السلام المجتمعي في دارفور ولا زالت تلك القيم وأنماطها المتباينة موروثاً شعبياً يؤدي رسالته الإعلامية ومقاصده الثقافية، تميزت الدراسة بتناولها للإعلام التقليدي كالموقاي والهداي والبوشاني والحكمة وغيرها وهي لا تقل في وقتها عن الراديو والتلفاز والصحف اليوم، فالإعلام الشعبي يجسد حركة وواقع المجتمع وفي كثير من البيئات التقليدية الريفية يضيء على الإعلام المتطور.

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخ الوصفي وتوصلت إلى النتائج التالية:

- يعد الإعلام الشعبي وسيلة قوية لتحقيق السلام الاجتماعي.

- أوضحت الدراسة مفهوم الإعلام الشعبي ودوره في حركة المجتمع.

أهم توصيات الدراسة:

- نشر جديد من إنتاج الحكامات عبر وسائل الإعلام.

- توظيف تطبيقات الإعلام الجديد في نشر موضوعات الإعلام الشعبي.

- الإهتمام بالإعلام التقليدي الشعبي القديم وربطه بالإعلام الحاضر.

مقدمة:

تشكل أنماط ثقافة دارفور في ثلاثة أجناس أولها نمط الثقافة التلقائية التي فرضتها ضروب التعامل، وثانيها يتمثل في نمط التعبير الأيديولوجي ذي الطابع الإسلامي الذي صار ثقافة غالبية إبان السلطنات الإسلامية. أما النمط الثالث فهو نمط الثقافة الحديثة التي دخلت مع المجتمع، وذلك بعد احتلال دارفور ولكن ما يعيننا في هذا السياق هو الثقافة التلقائية والمتمثلة في أشكال التقبل التلقائي في مجتمع دارفور والمتمثل في الثقافة التعبيرية الشفهية المنبعثة من معطيات التراث الشعبي، الذي أوجدته سمة التباين والتنوع الثقافي، خاصة وأن دارفور تمثل شعباً كثيرة في حدود واحدة وتوجد بها نحو مائة قبيلة أو أكثر تتحدث عشرات الألسن واللهجات وأن لكل واحدة من هذه القبائل ثقافتها الخاصة بها التي تلتقي بغيرها من ثقافات القبائل الأخرى، وإن احتفظت بطابع يميزها. وأنها برغم هذا يطغى عليها نمط الثقافة العربية الإسلامية. هذا التباين العرقي صنع نتاجاً فكرياً يحتفظ بكثير من المقومات الثقافية من بينها الإعلام الشعبي في دارفور الذي تميز

بخصائص تراثية ظلت مختزلة داخل حاضنة الذاكرة السودانية عبرت عن وجودها بمفردات إعلامية لعبت دوراً أساسياً في ترسيخ القيم والفضائل النابعة من الذات الدارفورية.

إن الميزة الأهم للإعلام الشعبي هي قدرته على تحرير الأفكار من احتكار أصحاب القوة والنفوذ، فيمقدار ما تمتلك من أفكار إبداعية يكون لك تأثير، وهذا يعني أننا نتوجه نحو عالم أكثر عدالةً، يكون فيه تكافؤ فرص حقيقية ليعبر كل إنسان عن رأيه دون وصاية من أحد عليه، فما يفاضل بين البشر حقيقةً هو ما يملكونه من أفكار. فإذا تكافأت فرص الجميع في نشر أفكارهم فستكون العاقبة حتماً لأفكار الخير والعدل التي تنفع الناس وترتقي بحضارتهم.

أسباب اختيار البحث:

- محاولة استقصاء المادة التراثية المتعلقة بالإعلام الشعبي.

- اهتمام الباحث بموضوع الإعلام الشعبي من منطلق الحس الثقافي تجاه القضايا الإقليمية وأهدافها الإنسانية.

- محاولة التعرف على مدى إسهام الإعلام الشعبي في توجيه مجتمعات دارفور.

أهمية البحث:

يستمد البحث أهميته من حقيقة علمية نابعة من التراث الاجتماعي في دارفور ومدى فاعلية التواصل الثقافي المتمثل في الإعلام الشعبي باعتباره رسالة إعلامية تخدم المجتمع.

مشكلة البحث:

تظهر مشكلة البحث من خلال أهداف البحث الأساسية التي يمكن إظهارها في مدى فاعلية الإعلام الشعبي في حل القضايا الإنسانية وخاصة القضايا المتعلقة بفض النزاع وإحلال السلام بين المجتمعات إضافة إلى ترسيخ القيم الحميدة وتعزيزها وسط المجتمعات من خلال الواقع الذي يشكل حياة الشعوب في دارفور.

منهج البحث:

يعتمد على المنهج التاريخي الوصفي.

أهداف البحث:

١ - وصف بعض المعطيات والمفردات الإعلامية حول توجيه رسالة إعلامية هادفة.

٢ - التعريف بالإعلام الشعبي وسائله، أنواعه، أهدافه والعوامل المؤثرة عليه.

٣ - التعرف على الأجناس الإعلامية في دارفور ودلالاتها التلقائية.

٤ - دور المرأة كوسيط إعلامي من خلال الدور الإعلامي للحكامة.

فروض البحث:

- هنالك علاقة بين المكون الاجتماعي والبيئي حول صناعة الإعلام الشعبي.

- رسالة الإعلام الشعبي تتميز بمفاهيم وقيم تخدم أغراض إنسانية اجتماعية.

- الإعلام الشعبي مفردة من مفردات الأدب الشفاهي.

بعض الصناعات وثقافتها المادية ترمز لوسائل إعلامية ملهوسة .

خلفية تاريخية عن دارفور:

دارفور هي الموطن أو المملكة المنسوبة إلى شعب الفور، وقد تميزت بالعطاء الكثير في مجال تعزيز معالم الحضارة الإسلامية المتمثلة في بناء المساجد والعلاقة المتواصلة بأرض الحرمين الشريفين وآخر حكامها علي دينار بن زكريا والذي احتل الحكم الثنائي بلادة (١٩١ م).

وفدت إلى الإقليم قبائل من الشمال عن طريق النيل وعن طريق الصحراء من ناحية ومن النيل جاءت جماعات نوبية منها الميذوب على حين جاءت من الشمال جماعات ليبية وهي الزغاوة والبديات من شمال إفريقيا واستطاعت هذه القبائل النوبية والليبية أن تطرد جماعات السود (السكان الأصليين) إلى الجبال وأن تقيم في هذه المناطق ممالك خاصة بها.^(١) أما الهجرات العربية الرئيسية على هذا الإقليم فيبدو أنها جاءت من مصر وشمال إفريقيا عبر السهول والبراري الواقعة بين منطقة النوبة وإقليم تشاد.^(٢)

وتحتل دارفور الجزء الغربي كله من جمهورية السودان، وهي تجاور أربعة دول هي ليبيا وتشاد من الغرب وإفريقيا الوسطى من الجنوب الغربي ودولة جنوب السودان من الجنوب، بالإضافة إلى إحاطتها بولايتين سودانيتين هما الولاية الشمالية وولاية كردفان من الشرق. أغلب السكان في دارفور يحترفون الزراعة والرعي بدرجات متفاوتة حسب المناطق التي يسكنون فيها إذ يغلب على أهل الشمال رعي الإبل، ويغلب على أهل الجنوب تربية الأبقار لذا عُرفوا بالبقارة وقبائل دارفور عديدة منها:

١- العرب الأباله وهم رعاة الإبل في شمال دارفور منهم العطيقات، الزيادية، العريقات وبعض القبائل الصغيرة الأخرى.

٢- قبائل البقارة: وهم رعاة البقر في جنوب دارفور الهبانية، التعايشة، السلامات، بنو هلبة وفروع أخرى.

وهناك عرب مستوطنون وهنالك الفلاتة والهوسا، إضافة إلى السكان الأصليين منهم الفور البرقو، البرتي، المساليت، الزغاوة والميذوب.

هذا التنوع في القبائل أوجد تراثاً غنياً بالفنون المتعددة في منطقة واحدة وهي قبائل زراعية ورعوية أي أنها تتنافس على أرض زراعية أو رعوية. فهذا التنافس أوجد كثيراً من الإنتاج الأدبي الثر.

خصائص التراث الشعبي في دارفور:

خصوصية أنماط الثقافة في دارفور:

تتفرع الثقافة في دارفور إلى أنماط متباينة ذات أجناس فولكلورية متعددة، وقد برز هذا التعدد في الثقافة الشفاهية ذات النقل الشفاهي المتوارث وهي ثقافات سلوكية كونت الأجناس الأدبية الشعبية، وقد وضح ذلك النقل الشفاهي في نمط الثقافة الشعبية التلقائية الموسمية وارتبطت هذه بالمناسبات القومية وزيارات الوفود الرسمية والشعبية. ولما كان أهل الإعلام الشعبي يُدعون للمشاركة في الاحتفال المعني وطبيعة هؤلاء البشر أن يجئ كلامهم على السليقة وأن يكون الواحد

^١ لبابة الفضل، مقال بدورية، التراث الأهلي في ثقافة السلام (الخرطوم: مجلة الثقافة السودانية، ع ٢٨، ٢٠٠٤م)، ص ١١٥.

^٢ المرجع نفسه، ص ١١٦.

منهم مستعداً في كل الأوقات لتقديم وصلة غنائية أو أبيات شعرية ونحو ذلك، وهي أنماط تندرج في مضمون الإعلام الشعبي الذي يتأتى عفو الخاطر.

وهناك أنماط ثقافية أخرى تخدم اتجاهين الأول ثقافي والثاني إعلامي وتتمثل في :

الأشكال التراثية المادية ذات الطابع الإعلامي:

الطبق أو البرتال أُستغل لأداء رسالة إعلامية فهي أي الرسالة إما أن تكون إلى حبيب طال بُعده أو ترمز إلى رمز سياسي مثل (خاتم تاج الدين) وغير ذلك من الرموز. ولعلنا نسمع مغني دارفور يغني للماهرة في صنع البراتيل ومن أغانيهم: (مريسيلا بتشفي برتالاً سمح).

الإعلام الشعبي في دارفور:

مفهوم الإعلام في الاصطلاح:

-الإعلام هو إحاطة الرأي العام علماً بما يجري من أمور وحوادث سواء كانت في الشؤون الداخلية أو الخارجية.

-وهو نشر الأخبار والآراء عن الجماهير.

-وتزويد الناس بالأخبار الصادقة والمعلومات الصحيحة والحقائق الثابتة التي تساعد الجمهور على تكوين رأي صائب في واقعة معينة.⁽¹⁾

وظائف الإعلام:

للإعلام وظائف تتجدد وفقاً للتطورات التقنية في وسائل الإعلام.

ويمكن تحديد وظائف الإعلام في المقاصد التالية:

- ١ - عكس سياسة الدولة.
- ٢ - وضع السياسات والحلول وتنفيذها وتطبيقها.
- ٣ - نقل الأخبار والمعلومات التي تهم الأفراد.
- ٤ - نقل الخبرات والمهارات بُغية الاستفادة منها.
- ٥ - توضيح مفهوم الرسالة الإعلامية عن طريق التحليل والتقديم والتعليق بهدف الوصول لرؤية جماعية لدى أفراد المجتمع.⁽²⁾

الإعلام الشعبي المؤسسي في دارفور:

بعد تكوين هيئة الإعلام الشعبي وصدور قرار ولائي بذلك بدأت أشكال الثقافة الشعبية تُوظف لخدمة القضية في دارفور. وكانت الحكامات والهدايون والبوشانيون وغيرهم يُستنفرون للتغني لنبذ القبلية والفُرقة والحرب وتحقير رجال النهب المسلح.

^١ أحمد محبوب عثمان، دور الإعلام العربي في توجيه ثورات الشعوب (المجلة السودانية الدبلوماسية، ع ٩، ٢٠١١م)، ص ١٦٠.

^٢ أحمد عمر محبوب، المرجع السابق، ص ١٦٤.

تاريخ الإعلام الشعبي:

أنشئ أول مكتب للإعلام الشعبي في (مديرية دارفور) حينها في سنة (١٩٦٦ م)، وكان هذا المكتب خيرياً دعائياً يهتم بعكس أخبار حكومة الرئيس (عبود) والدعاية لها. بدأت وسائله في التعدد، وفي ذات الطريق وجدت السينما المتجولة، وهي - وإن كانت تخدم غرض توعية الجماهير عن طريق عرض النماذج النوعية صحية كانت أم اجتماعية - إلا أنها كانت تُوظف أساساً بغرض الأخبار والدعاية ثم كان هناك غرض آخر غير مباشر - متمثل في إلهاء الجماهير.

تطور وسائل الإعلام في دارفور:

تطورت وسائل الإعلام في دارفور ودخلت محطات تلفزيون في الضعين ثم نيالا وأنشئت أخيراً محطة تلفزيون في الفاشر وهي تعمل على البث المحلي منذ بدايتها ويشهد العمل تقدماً في مشروع محطة تلفزيون جبل مرة وإذاعة الجينية. إضافة إلى وجود صحيفة قومية تحمل اسم دارفور وإن كانت رسالتها وخطواتها الإعلامية تتعد عن دارفور حيناً وتقترب حيناً^(١).

إدارة الثقافة والإعلام:

ظلت الثقافة والإعلام في دارفور إدارة واحدة كما هو الحال في بقية أجزاء السودان، ومعروفاً أن عمل الحكومات منذ بداية الحكومات الوطنية وحتى اليوم ينصب على الجانب الإعلامي أكثر من الجانب الثقافي الذي يمثل الهدف الأساس لتنمية المهارات الإبداعية بما تحمله من أغراض هادفة وإن كانت هنالك بعض الإستراتيجيات رُسمت لبرامج العمل الثقافي في دارفور، حيث تسعى كل ولاية على حدة لتعزيز العمل الثقافي وفق أوضاع الولاية الاجتماعية وامكاناتها المادية، خروجاً من الجانب الرسمي والذي يظهر في الطابع الاحتفالي الغالب على الرسالة الإعلامية في المناسبات.

الأنماط الثقافية ذات الطابع الإعلامي واللفظ المباشر:

من خصوصيات البيئة الطبيعية وأبعادها الفكرية في دارفور أنها صاغت وضعية اجتماعية ذات أنظمة معينة^(٢). هذه الأنظمة في حاجة ضرورية للتواصل عبر وسائل إعلامية شعبية تنبع من دائرة المحيط الاجتماعي والمكون الثقافي الذان يدور البحث حولهما من منطلق المفردات الإعلامية الشعبية التالية:

- ١ - البوشاني.
- ٢ - الهداي.
- ٣ - السنجاك.
- ٤ - الموقاي.
- ٥ - الحكامة.
- ٦ - الأشكال التراثية المادية ذات الطابع الإعلامي:
- الطبق أو (البرتال).
- الكوراك.
- النحاس.

^١ علام محمد حسن سالم، الإعلام الشعبي المؤسسي والموروث الثقافي (الخرطوم: مجلة الثقافة السودانية، ع ٣٠ - ٣١) ص ٦.

^٢ بحر الدين عوض شقف، مقال بدورية، من خصوصيات البيئة وأبعادها الثقافية في دارفور (الخرطوم: مجلة دراسات الإفريقية، ع ٢٥)، ص ١٨٥.

-النار.

٧- الرقصات الإيقاعية ذات الدلالات الرمزية الدالة لقيم معينة.

البوشاني: يعتمد على الصوت.

الهداي: يعتمد على الصوت الغنائي مع الإيقاع الوتري استخدام آلة موسيقية واحدة (آلة الأم كيكي) أو غيرها من الآلات المشابهة. ويمكن وصف هذا النمط الموسيقي في اللحن بأنه لحن كلامي أي لا يعتمد على تداخل النغمات أو Melody وتركز مضامين أنشودة الهداي على مفردات ذات قيم فاضلة ومكارم أخلاق نابعة من تراث المجتمع الذي يعيش فيه الهداي نفسه، أما مضامين الأغنية في غرب السودان في كردفان ودارفور فنلاحظ بأن المحتوى العام لكلا المجتمعين يتمحور في الجوانب التالية:

١ - المضمون التاريخي.

٢ - المضمون الاجتماعي.

٣ - المضمون البيئي.

وهذا المضمون الأخير يضم ثلاثة مظاهر للبيئة هي:

أ- النباتات والحيوان والمعالم المكانية.

ب- أنماط العمل الممارس.

ج- التقاليد واللغة والأعراف المرعية.

الأغاني الشعبية تتضمن الكثير من تقاليد وعادات مجتمعتها وتعكس في نصوصها شيئاً من معتقدات المجموعة، فمن حيث العادات تشير عادة (الوشم) لتمييز مواشي الجماعات الرعوية حسب القبائل والفروع والبطون وبل (خشوم السيوت) فهناك وشم القبيلة الأم وتلحق أحياناً به إضافات تميز بطون تلك القبيلة.

مع التركيز على العامل اللغوي ويذكر في هذا فرح عيسى محمد ** حيث يقول (.. أما موضوع اللغة فهو من المضامين المهمة ذلك لأن بعض الألفاظ والتعابير التي تتضمنها الأغاني تدل دلالة مباشرة على الجماعة التي صاغت النص، ونجد أن أثر البيئة يعلن عن وجوده بصورة واضحة في اللغة، فمثلاً في كردفان يذكر الشخص (البيع) وهو يقصد الشراء وقد قال بفصاحة هذا الاستعمال بعض المحققين من اللغويين ويشيرون لورود مثل ذلك في بعض لهجات العرب) يقول المغني :

خرطوم بي الليل لبسوها

(بيعو) المحلب دلکوها

(بيعوها حير) جرتقوها

انتو لایل لا تتعبوها

عيل تقعد وتمسك أخوها.

فالمغني هنا يقول (بيعو المحلب) و(بيعو لها حير) وهو يريد (اشتروا المحلب) و (اشتروا الحير) لتزيين تلك الحساء، وهذا التعبير (البيع) كبديل للشراء فيه الدلالة على الهيئة الكردفانية ويمكن ملامسة ذلك حتى بقية بقاع السودان لغوياً ومن هذا الضرب الإمالة التي تلحق آخر اللفظ الضمير (أنا) فتصبح صورته (أني).

تحمل الأغاني أيضاً في مضمونها إشارات لبعض الأعراف التي يربها المجتمع بكل دقة لأن مخالفة ذلك تجر عليه مواقف اجتماعية معينة عليها فمثلاً الفرار أمام الخصم في الحرب يجر عاراً يلتصق ليس بفاعله وحده بل يتعداه إلى نسله، في العرف فيقضى على الفارس إذا تيقن من الهزيمة أن يفرش (فروته) ويجلس عليها واضعاً سيفه في حكره منتظراً الموت في شموخ الشجعان، ومن يفعل ذلك من الفرسان يشيد به المغنون و(الحكامات)⁽¹⁾.

السجاك:

يترنم بإبراز الصور الجمالية بصورة أكبر والتأثير على المجتمعات المحلية البسيطة بصورة أكثر ترسيخاً للقيم والأفكار، ونلاحظ أن جميع الفنون الشعبية تجمع بين الغناء والرقص معاً وفي إيقاعاتها على الصفقة الجماعية للرجال والنساء معاً على نفس النمط الإيقاعي تنطبق الصفقة الإيقاعية في رقصة (الجراري) فهي ينسجم إيقاعها مع الصفقة بالأيدي حيث يقف الرجال في صف وهم يمارسون (الكريز) وهو عبارة عن أصوات تصدر من حناجرهم مع الصفقة بأيديهم ويقف صف آخر من النساء يتكون من (كورس) بحيث تردد المغنية مقاطع الشعر الوصفي بينما يردد بعدها بعض الراقصات (مقطع الأغنية) وفي الإتجاه الآخر تخرج إحدى النساء لترقص متجهة نحو صف الرجال وتعتمد رقصتها على كل من صدرها ورقبتها بانثناءة لا تخلو من صعوبة واضحة⁽²⁾.

الموقاي:

هو شخصية درامية ويكاد يشبه شخصية المهرج في الأدب العربي فهو شخص مسرحي يتعامل مع الفضاء المسرحي للمكان والذي يتكون من الجمهور المجتمع في مكان ما أو في الفضاء الطلق، ويمكن أن يوصف الموقاي بأنه سامر الملك في الأدب العربي.

فهو يؤدي رسالة إعلامية بغرض التبليغ بما يأمره به السلطان نحو العامة. ولكن على الرغم من هذه الوظيفة والأداء الذي يقوم به فإنه يُحتقر وينظر إليه بعين الصغار. وقد وصفه أحد الشعراء بدارفور بأنه حقير (وأحقر القوم عند الناس موقاي).

وقد يصدق هذا الرأي عند العامة من الناس ثم إنه هو المكلف بنقل رأي السلطان إلى الشعب لذلك نجده قد لا يفتأ يكرر قوله الذي اشتو به: (الخشم خشبي لكن الكلام كلام سيدي) إذ هو الوسيط الإعلامي الرئيس بين السلطة والشعب ويكاد الموقاي بأن تقترب صورته من المهرج في المسرح العربي كما أسلفنا.

كيفية العرض المسرحي للموقاي:

١- يحاكي كثيراً في طريقته وأدائه أسلوب مسرح الرجل الواحد.

^١ فرح عيسى محمد، مقال بدورية، ثلاثة مضامين للأغنية الشعبية الكردفانية (الخرطوم: مجلة الثقافة السودانية، ع ٢٤)، ص ٦ - ١٠.

^٢ نفس المرجع، ص ٩.

مميزات شخصية الموقاي:

- شخصية متعددة المواهب.
- يهابه السلاطين والمشايخ والعمد، بمعنى آخر يعمل له السلاطين والعمد حساب.
- يتمتع بالحرية في الدخول إلى من يشاء منهم ومجالسته.
- يقترن الموقاي في صورته مع (سامر الملك).
- في جلوسه مع أحد السلاطين أو الملوك يقول ما يدور بخلده دون رقيب أو رهبة.
- إذا سيئت معاملته عند أحدهم ينتقل منه لآخر يحكي لغيره من الملوك والسلاطين، وقد كان يمثل جهازاً إعلامياً كاملاً.
- أصحاب القرار كانوا يهابونه على أنه لا يمثل شيئاً عند العامة.⁽¹⁾

الحكمة:

تعتبر الحكمة إحدى الأعمدة التي تستند عليها القبيلة كوسيلة إعلام شعبية لفرسان القبيلة التي يدافعون عنها أو حتى الذين يقومون بعمليات النهب أو الهمة وقيل أعوام قليلة كانت الحكمة تشعل نار الحرب بكلماتها القوية والتي تحث فيها أبناء القبيلة للاعتداء على القبائل الأخرى والدفاع عن القبيلة وأراضيها وثرواتها الحيوانية ورغم اخ تلافنا مع هذه القيم التي تدعو فيها الحكمة للحرب والصراع بين القبائل إلا أن ظاهرة النهب هذه كانت من الظواهر التي تتغنى بها الحكامات.

شاركت الحكمة في الدعوة للسلام ومحاولة جمع السلاح ومحو الأمية. ومصالحة القبائل، وقد اتجهت الدولة للنظام الأهلي وأرجعته للقبيلة من خلال دورها في الحماية والإنتاج وحفظ نسيج النظام الاجتماعي والقبيلة تعتبر أقوى مؤسسات المجتمع المدني قديماً وحديثاً في دولة السودان فالقبيلة ذات وضع خاص ونظام راسخ.

كانت الحكمة هي الأداة الأكثر فعالية حيث شاركت في استقرار المجتمع بما تعرف لأنها من ذات المجتمع. وهي تخاطب المجتمع من خلال البيئة التي تعيش فيها، فهي تتحدث بلغة تستفز مشاعرهم وتوحدهم لمخاطر الظواهر الاجتماعية والسلوكيات السالبة التي تصدر من شواذ أفرادها كالنهب والسرقة مثلاً، تستطيع الحكمة من خلال الكلمات البسيطة والتعابير الدالة على ما تتضمنه من مفردات أخاذا تهدف إلى معالجة ظاهرة من الظواهر الاجتماعية عن طريق الأمثلة التشبيهية والبلاغة الواضحة والأسلوبية بما تحويه من قيم إسلامية وأعراف شعبية تحث على إباء الضيم وإغاثة الملهوف والابتعاد عن الرزية والتخلي بالشهامة والعزة.

من ناحية نلاحظ دائماً بأن المجتمع ينتظر أن تمدحه الحكمة وتذكره بالصفات الحميدة ويخشى أن يحدث العكس، فالبوليس والجيش من هذا المجتمع أيضاً ينتظرون كلمات الحكمة لتحرك فيهم قيم المجتمع وتحثهم على جلب الخير له.

ومن خلال الكلمات التي تتبع من بيئة الحكمة ذات الوجدان الصادق استطاعت الحكمة أن تكون أداة فاعلة في رفع الروح المعنوية للذين يحفظون أمن وسلامة المواطن وكذلك ترى قوة رجال النهب المسلح من قوة الرجال الذين يطاردونهم، وقد يدور التوجيه المعنوي إذا تناقلت أبياتها هذه الرسالة وسائل الإعلام المختلفة وأفراد المجتمع وصلت إلى قطاع الطرق هؤلاء.

¹ جمعة جابر، مقال بدورية الأثر العربي في الموسيقى الشعبية بالفاشر (الخرطوم: مطبع الثقافة السودانية، ع ٤، ١٩٩٧م)، ص ٢٢.

هذا مشروع تبنت المرأة قضيته بل امتدت دعواتها إلى مشروعات ما بعد السلام، وشاركت بفعالية في الدعوة للمشروعات القومية المطروحة مثل مشروع محو الأمية. والصلح بين القبائل ومحاولة جمع السلاح.

الحكامة وحرية المرأة:

مدخل:

ارتكز قانون الإعلام الشعبي بدارفور على أن الحكامات وسيلة إعلام شعبي تخاطب الجماهير بلغتهم أو تتحدث عنهم لوسائل توجيه معنوي تحض على السلام قيمة تحتاجها البلاد ما بعد السلام وأهمها مشروع محو الأمية إلا بعد استفزاز الحكامات لهم وقد ذكرت إحدها (الطيب إبراهيم محمد خير، راجل المكانة.. عشاك زخيرتك، وفطورك جبخانه.. فتحت محو الأمية قريت صغارنا وكبارنا العاصي تور الجاموس جيت أسجل ليك زيارة. وقالت أخرى: (...قائدنا قائد الشعور.. كلامنا كيف أساس السور والكلام العديل في الكتاب منشور، والزول كان غلط ربنا رحيم غفور).

هذه العبارات الدالة والمعاني التعبيرية فلننا تمثل تعبيراً شفاهياً لصيق بالبيئة ونابعاً من التراث الأدبي ومضامينه الأخلاقية، وقيمه الروحية ونداءاته الإعلامية الهادفة نحو تحقيق السلام وغاياته المنشودة.

الموقف الإعلامي والرسالي للحكامة يؤكد لنا معنى حرية المرأة في دارفور منذ زمان طويل وهي حرية تجعلها تقول رأيها وتجهر به أمام الملأ حتى وإن كانت تشببت بفارس من الفرسان وأغرمت به ولا يعني ذلك نزع الحياء منها بل على خلاف ذلك نجدها لمكانتها في المجتمع ممتنعة في حياتها غير سهلة المنال. فإذا وقفت إحدها لتقول شيئاً كان قولها مؤثراً ولاقي قبولاً واستحساناً من المتلقين وألهبت حماسهم وحركت نخوتهم وربما دفعتهم إلى القتال وسببت حرباً. ذلك أن المرأة - لاسيما الحكامة- تجد قدرها عند رجل دارفور وبالتالي فمن العيب أن يسكت الرجال على أمر حرك المرأة فاستحسنته أو استجبته واستهجنته. ومن هنا تدور خطورة الدور الذي تلعبه في تشكيل الرأي العام والتأثير على السلوك الجمعي لمجتمع دارفور.⁽¹⁾

الأشكال التراثية ذات الطابع الإعلامي:

الطبق أو البرتال:

تتخلله رموز تشكيلية ترمز إلى رمز سياسي مثل علم الدولة أو رمز ديني مثل شكل الكعبة من الخارج وغير ذلك من الرموز.

الكوراك:

يمثل رسالة إعلامية يختلف باختلاف طبيعة (الكوراك) نفسه ويمثل رسالة إعلامية.

تختلف طبيعة (الكوراك) نفسه وأدائه حسب المنافسة والنقارة التي تضرب بطريقة لتوصيل رسالة ما.

النحاس: إرتبط النحاس بالسلطين.

النار: تمثل النار شيئاً من رموز الإعلام الشعبي وأدواته وطريقة تسليم القول، و لا نغفل هناك الأمثال والقصص والنكات التي تعمل بصورة فاعلة في تشكيل الرأي العام.⁽²⁾

¹ لبابة الفضل، مرجع سابق، ص ١١٨.

² المرجع السابق، ص ١١٢.

تطبيقات الإعلام الجديد وأثرها على الإعلام الشعبي:

إذا لم يكن ممكناً في السابق تمثيل هذه الأنماط الثقافية الإعلامية لدى الأجهزة والمؤسسات الإعلامية الرسمية (بصورتها التقليدية) وما تشمل من محطات التلفزة والإذاعات والصحف السيارة، فإن المجال الآن مفتوحاً أمام الإعلام الشعبي حتى يقدم نفسه بالصورة الكافية من خلال الاستفادة من تطبيقات الإعلام الجديد وما تشمله من مواقع للإنترنت وشبكات للتواصل الاجتماعي، فالآن لم يعد شرطاً أن يمتلك الإنسان ميزانية كبيرة ليكون قادراً على التأثير في الرأي العام، أو أن يكون صاحب ثقل سياسي، فقط ما يحتاجه اليوم هو أن يكون صاحب فكرة وأن يثابر في العمل من أجل فكرته حتى تنتشر وتملاً الآفاق. فالإعلام الجديد كسر احتكار فئة قليلة من أصحاب المال والنفوذ السياسي لعملية توجيه تفكير الناس، ووزع حق إسماع الصوت على الناس جميعاً بشكل متساو، فلم يعد الإعلام الرسمي هو النافذة الوحيدة التي لا يمكننا رؤية العالم إلا من خلالها، يوجهنا كيفما يشاء. وعليه فإن تطبيقات شبكة الإنترنت (المدونات، غرف الدردشة، فيس بوك، يوتيوب...) وغيرها من الوسائط قادرة اليوم على عكس المناشط الشعبية وبصورة تأخذ معها طابع الكونية والتفاعلية، ومن هنا تأتي أهمية الإعلام الشعبي الذي يديره الناس أنفسهم دون ترسيم أو تحديد أو رقابة من قبل السلطات الرسمية، ويعبرون فيه عن كل ما يخطر ببالهم من أفكار بطريقة عفوية تلقائية، فهذا اللون الجديد من الإعلام أتاحه ظهور الانترنت خاصةً مواقع التفاعلية مثل المنتديات والمدونات واليوتيوب والفيس بوك وغيرها.⁽¹⁾

خاتمة:

نستنتج مما سبق بأن للحكومات دور إعلامي وثقافي وغالبية التعابير الواردة في غناء الحكامات تنبعث من القيم والمثل، فلذلك تعتبر تلك الاشتشهاديات ذات أشكال ثقافية هدفها التواصل والاتصال الذي يهدف إلى تعزيز السلام.

نتائج الدراسة:

١- يعد الإعلام الشعبي وسيلة قوية لتحقيق السلام الاجتماعي.

٢- أوضحت الدراسة مفهوم الإعلام الشعبي ودوره في حركة المجتمع.

٣- تناولت الدراسة الإعلام الشعبي وركزت على دوره الإيجابي.

التوصيات:

١- دراسة ظواهر الأدب الشعبي بصورة شاملة وكاملة للاستفادة منها في معالجة الظواهر الاجتماعية.

٢- إعداد برامج تربوية وثقافية تدريبية للحكومات لترقية مستوى الفهم للقضايا المطروحة.

٣- تعزيز عملية التوثيق الجيد لإنتاج الحكامات عبر وسائل الإعلام المخ تلفة.

٤- نشر الجديد من إنتاج الحكامات عبر وسائل الإعلام.

٥- توظيف تطبيقات الإعلام الجديد في نشر موضوعات الإعلام الشعبي.

قائمة المراجع:

¹ See more at: <http://elaph.com/Web/opinion/2011/3/643141.html#sthash.bA6ZKbGE.dpuf>

- ١- أحمد عمر محجوب عثمان، دور الإعلام العربي في توجيه ثورات الشعوب، المجلة السودانية الدبلوماسية العدد ٩ الخرطوم، ٢٠١٠م.
- ٢- بحر الدين عوض شقف، مقال بدورية: (من خصوصيات البيئة وأبعادها الثقافية في دارفور) مجلة دراسات إفريقية، الخرطوم.
- ٣- جمعة جابر، مقال بدوريه (الأثر العربي في الموسيقى الشعبية بالفاشر)، مجلة الثقافة السودانية العدد الرابع أغسطس ١٩٩٧، الخرطوم.
- ٤- علام محمد حسن سالم، الإعلام الشعبي المؤسسي الموروث الثقافي مجلة الثقافة السودانية، العدد (٣١٣)، الخرطوم.
- ٥- فرح عيسى محمد، مقالة بدورية (ثلاثة مضامين للأغنية الشعبية الكردفانية) مجلة الثقافة السودانية، العدد ٢٤، الخرطوم، الصفحات.
- ٦- لبابة الفضل، مقال بدورية (التراث الأهلي في ثقافة السلام) مجلة الثقافة السودانية العدد ٢٨، الخرطوم، ٢٠٠٠م.

7- See more at: <http://elaph.com/Web/opinion/2011/3/643141.html#sthash.bA6ZKbGE.dpuf> .

La question de la santé reproductive dans le monde

L'énorme disparité entre le nord et le sud

Dr.Lakrouf Ali/Université de Batna

Resumé :

La présente recherche est consacrée à un examen global des aspects liés à la procréation et de la santé génésique dans le monde. On y traite de l'accession à l'âge fertile et de l'âge qui correspond à la fin de la période de capacité génésique, du comportement procréateur avec ses niveaux et tendances, de la contraception et son développement dans les pays en développement, de l'avortement, de la mortalité maternelle, ainsi que l'infertilité.

Mots clés : Fécondité, contraception, mortalité maternelle, avortement, stérilité.

Introduction :

La santé reproductive et les droits en matière de reproduction occupe une place centrale dans la stratégie mondiale de développement, c'est ainsi que parmi les 8 objectifs adopter lors de la conférence du millénaire pour le développement (OMD- tenue à New York en 2000) figure l'accès universel à la santé reproductive.

L'intérêt accorder à cette question commence dès 1994 lors de la Conférence Internationale pour la Population et le Développement (CIPD- tenue au Caire), qui élabore une définition - claire et précise - de la santé de la reproduction .Ainsi on entend par cette dernière "le bien-être général tant physique, mental que social de la personne humaine pour tout ce qui concerne l'appareil génital, ses fonctions et son fonctionnement et non pas seulement l'absence de maladies et d'infirmités"¹.

Cette définition recouvre – selon le rapport de la CIPD -un ensemble de composantes tel que :

La planification familiale, la sante maternelle et infantile, les infections sexuellement transmissibles y compris le VIH/SIDA, les autres affections de l'appareil reproducteur (cancers, infertilité, ménopause...), ainsi que la violence fondée sur le genre et la sélection génétique.

La CIPD a, par ailleurs, fixé des objectifs quantitatifs à atteindre à l'horizon 2015. C'est ainsi que les gouvernements se sont engagés, et s'engagent toujours à réaliser l'accès universel à la santé reproductive.

¹ - Nations Unies. Rapport de la Conférence Internationale sur la Population et le Développement, Le Caire 5 – 13 Septembre 1994.New York, 1995,P38.

A travers cette vision, Il nous a paru très utile de s'interroger sur l'état des lieux et l'évolution de certains indicateurs démographiques et sanitaires liés à la santé reproductive dans le monde.

L'étude regroupe les deux axes suivants :

Le premier aborde le comportement procréateur, dans lequel nous parlerons de la puberté du comportement procréateur, et de la contraception.

Le second traite les maladies et accidents liées à la santé reproductive : nous examinerons la mortalité maternelle, les avortements, ainsi que l'infertilité.

I-Comportement procréateur

I-1 L'âge fertile

L'être humain devient apte à se reproduire à partir de la puberté. Cette dernière intervient généralement pendant la deuxième décennie de la vie. Les différentes manifestations qui régissent l'accession à la maturité sexuelle ont des répercussions majeures sur la santé sexuelle et reproductive et sont d'importants déterminants de la fécondité.

Selon les études "l'âge de la puberté varie dans une fourchette d'environ cinq ans selon différents groupes démographiques. L'âge moyen pour chaque région révèle que la puberté est plus précoce dans les régions développées que dans les régions moins développées"¹.

Les jeunes sont pubères en moyenne à 13 ans pour les filles et à 14 ou 15 ans pour les garçons, mais les transformations de la puberté commencent en fait plus tôt entre 9 et 12-13 ans.

Des études ont révélé aussi que l'âge de la puberté baisse progressivement, cette baisse est proportionnelle à l'amélioration des conditions de vie et au développement économique et social, "il semble d'ailleurs que le processus de développement soit proche de sa fin dans les classes les plus favorisées des pays industrialisés et par exemple l'âge moyen de la puberté féminine ne s'abaissera guère au-dessous de 12 ans"².

Concernant la fin de la période de capacité génésique, on distingue l'andropause chez l'homme qui n'a pas de limites définies, certains hommes ayant pu engendrer jusqu'à plus de 80 ans, et la ménopause chez la femme, qui intervient autour de la cinquantaine. Ce phénomène constitue une étape incontournable dans la vie d'une femme c'est à dire l'arrêt de fonctionnement des ovaires, caractérisée notamment par la disparition définitive de la menstruation, elle représente par conséquent la fin de son besoin en contraception.

La ménopause, comme la puberté, elle est également très étroitement liée à l'origine ethnique, sociale et géographique de la femme. En France, par exemple ce phénomène se produit à 51 ans, en moyenne³. Elle survient à des âges plus précoces de trois à quatre ans en Tunisie (48,3 ans) et en Égypte (46,7 ans)⁴.

I – 2 Fécondité

Dans la plupart des pays les couples veulent maintenant avoir et ont moins d'enfants que dans le passé. Dans les pays développés, c'est au cours des 150 dernières années qu'à la faveur

¹ Nations Unies. Droits liés à la procréation et santé génétique, rapport concis. New York.1997, p4.

² Centre international de l'enfance. Sexualité et santé dans l'adolescence, in l'enfant en milieu tropical, N° 180, Paris. 1989,p8

³ - <http://www.doctissimo.fr/html/dossiers/menopause/articles/8432-menopause-premiers-symptomes.htm>

⁴ - <http://bmsap.revues.org/2862>

de la diffusion de l'éducation, de l'amélioration de la santé publique et l'émancipation de la femme, la tendance des familles à être moins nombreuses s'est progressivement dessinée. Par contre, dans les pays en développement, le changement a été beaucoup plus rapide au cours des quatre dernières décennies. Dans beaucoup de pays d'Asie et d'Amérique latine, le nombre moyen d'enfants par femme a régressé. L'Afrique SubSaharienne est la seule région où la plupart des femmes veulent encore avoir beaucoup d'enfants.

Comme le montre le tableau 1, entre 1970 - 1975 et 2005-2010, le nombre moyen d'enfants par femme dans le monde a régressé de 43% (de 4.44 enfants par femme à 2.53). Toutefois, l'évolution profonde du comportement procréateur des couples diffère fortement selon les régions. Ainsi presque toutes les régions développées ont des indices synthétiques de fécondité inférieurs au seuil de remplacement des générations (2,1 enfants par femme) depuis la fin des années 1970. Les régions moins développées ont connu une importante baisse de leur indice synthétique de fécondité, qui est passé de 5.36 enfants par femme au cours de la période 1970 –1975 à 2.69 au cours de la période 2005 – 2010, ainsi l'indice de fécondité a régressé d'environ 50%. Le groupe des pays les moins avancés a connu la plus forte fécondité, l'indice synthétique de fécondité n'y ayant dans l'ensemble pas été inférieur à 4.53 enfants par femme tout au long de cette période, néanmoins, il a perdu 33 % de sa valeur initiale (6.75 enfants/femme).

Tableau 1 : Indice synthétique de fécondité par principales régions du monde (1970-1975,1980-1985, 1985-1990, 1990-1995 ,1995- 2000,2005-2010)¹

Principales zones et régions	☆ Indice synthétique de fécondité				
	1970-1975	1980-1985	1990-1995	2000-2005	2005-2010
Monde, Total	4.44	3.6	3.04	3.1	2.53
Régions plus développées	2.15	1.8	1.67	1.7	1.66
Régions en développement	5.36	4.2	3.38	3.5	2.69
Pays les moins avancés	6.75	6.5	5.77	5.4	4.53

Les études démographiques ont montré que le recul de l'âge du premier mariage a contribué de façon décisive à la baisse de la fécondité dans beaucoup de pays², car la plupart des naissances interviennent toujours dans le cadre du mariage.

Par ailleurs, d'importants progrès dans les techniques contraceptives ont permis de parvenir à ces taux de fécondité très bas dans les pays développés et d'amorcer une baisse rapide de la fécondité dans un nombre de pays en développement.

I – 3 Contraception

Parmi les facteurs déterminants qui influencent les niveaux et les tendances de la fécondité, figure l'utilisation de la contraception. Depuis qu'ils étaient découverts dans les années 60, on

¹ United Nations. World population prospects ,revision 2012. New York, 2013, P12.

² Kouaouci, Ali. Eléments d'analyse démographique ,OPU .Alger,1992, p 49.

☆ Selon les Nations Unies, il existe en 2014, 41 pays développés, 48 pays moins avancés, et 108 pays en développement.

constate un accroissement soutenu du recours à la contraception, bien que les moyens d'empêcher la conception et d'éviter les naissances aient été connus et utilisés pendant toute l'histoire humaine.

Au début du 19^{ème} siècle la régulation des naissances s'est répandue dans toute l'Europe. L'abstinence, le retrait et l'avortement provoqué doivent donc avoir existé dans les temps plus anciens.

En fait, la demande en contraceptifs efficaces, sans risque pour la santé a augmenté par suite des transformations économiques et sociales. Grace ces moyens, considérés depuis quelques décennies comme instrument de la santé publique, des centaines de milliers de couples ont pu éviter des grossesses non désirées, survenant à un moment inopportun ou impliquant des risques particulièrement graves.

Au cours des 3 dernières décennies, la pratique contraceptive a été largement adoptée dans la plupart des populations d'Asie, d'Amérique latine et dans le monde Arabe, et on note actuellement un changement en Afrique subsaharienne.

Tableau 2: Taux moyen d'utilisation des moyens de contraception par région(1998¹ - 2011²) .

Principales zones et régions	Taux moyen d'utilisation de contraception	
	1998	2011
Monde, Total	58	63.2
Régions plus développées	72	70.1
Régions en développement	55	62.1
Pays les moins avancés	/	35.9

Toutefois, selon le FNUAP(Fonds des Nations Unies pour la population) “près de 230 millions de femmes, dans le monde, soit une femme sur six en âge de procréer, ne disposent toujours pas d'une méthode efficace de contrôle des naissances permettre de retarder ou d'éviter de futures naissances”³.

Selon les données disponibles (voir tableau 2) le taux d'utilisation de contraceptifs au niveau mondial est passé de 58% en 1998 à 63.2 % en 2011, soit un gain de 5.2 points.

Dans les pays développés, le taux d'utilisation reste invariable au cours de la même période. Le taux dans les pays en développement s'est accru de 7.1 points, soit 0.5 points par an (il n'y en avait que 38 % en 1980)⁴ .

Comme le montre le tableau 3, le choix des méthodes contraceptives appliquées diffère fortement selon les régions du monde. Le pourcentage de stérilisation féminine dans les régions en développement (20.6%), est supérieur d'environ deux fois et demie à ce qu'il est dans les régions plus développées (8.4%). Le condom qui est la méthode qui se situe au premier rang des

¹ United Nations. World Contraceptive Use 1998, department of economic and social affairs. New York, 1999.

² United Nations. World Contraceptive patterns, department of economic and social affairs. New York, 2013.

³ FNUAP. Espoirs et réalités, pour réduire l'écart entre les aspirations des femmes et leurs expériences de la procréation. New York, 1999.p2.

⁴ United Nations. Recent levels and trends of contraceptive use as assessed in 1983. New York, 1984.p28.

préférences dans les régions développées (18.4%), est 7 fois plus répandu qu'aux pays les moins avancés (2.7%), ce qui a des incidences aussi sur la prévention des maladies sexuellement transmissibles par cette méthode. Les femmes qui emploient des contraceptifs oraux sont deux fois et demi plus nombreuses dans les régions développées (17.7%) que dans les a régions en développement (7.5%). Quant aux stérilets (DIU), ils servent à 14.7% de la population féminine des pays en développement, 8.9% de celle des régions développées et 1% seulement de celle des régions moins développées.

Tableau 3:Taux d'utilisation des moyens de contraception par région (2011)¹

Principales Régions	Stérilisation		DIU	Cond	Pill	Autres méthodes modernes	Méthodes traditionnelles
	Fem	Mas					
Monde	18.9	2.4	13.9	8.0	8.9	5.0	6.1
Régions développées	8.4	5.3	8.9	18.4	17.7	2.4	9.0
Régions en développement	20.6	1.9	14.7	6.3	7.5	5.4	5.6
Pays les moins avancés	3.0	0.7	1.0	2.7	10.4	11.7	6.4

La fréquence des méthodes sans produits (traditionnelles) diffère plus nettement entre les pays en développement (5.6%) et les pays développés (9%). Cette catégorie comprend l'abstinence périodique, le retrait et d'autres recettes populaires. Le fait que ces méthodes soient plus largement utilisées dans les pays développés reflète la persistance d'habitudes prises en vue de maîtriser la fécondité avant l'avènement des méthodes modernes.

II- Maladies et accidents liés à la santé reproductive

II –1 Mortalite et morbidite maternelle

De tous les indicateurs de la démographie et de l'épidémiologie, le taux de mortalité maternelle est, de loin, celui qui manifeste les disparités les plus frappantes selon les degrés de développement.

On s'accorde de plus en plus à admettre que la mortalité maternelle est un indicateur sensible de la condition des femmes dans la société, de leurs accès aux soins médicaux et de l'adéquation du système de soins par rapport à leurs besoins.

Il est extrêmement difficile d'évaluer les niveaux de la mortalité maternelle. Pour ce faire, il faut connaître la cause du décès et si la femme était ou non enceinte au moment du décès ou peu avant.

Globalement, la décennie 1990 a enregistré un total de décès maternel le plus élevé dans les temps modernes avec 600000 femmes qui meurent chaque année dans le monde suite à des causes liées à la procréation. 99% de ces décès surviennent dans les pays en développement². En 2013 Ce chiffre était divisé par deux, l'OMS donne en effet un total de 289 000 décès maternel au cours de cette même année³.

¹ United Nations. World Contraceptive patterns, Ibid.

² World Health Organization. Reproductive Health Research, Biennial Report 1996 – 1997. Geneva, 1998, p98.

³ <http://www.who.int/mediacentre/factsheets/fs348/fr/>

Ce progrès a été le fruit des efforts réalisés dans le domaine de l'obstétrique et des soins prénatals, l'usage des antibiotiques et les transfusions sanguines, la plus grande fréquence des accouchements en milieu hospitalier et l'amélioration de l'état nutritionnel des femmes enceintes, ainsi que l'usage de moyens efficaces de contraception et la pratique de l'avortement sans risques.

L'analyse de la mortalité maternelle selon les régions du monde, fait ressortir que le taux de mortalité lié à la maternité enregistré en 2010 dans les pays les moins avancés est estimé à 430 décès pour 100000 naissances vivantes (voir tableau 4), il est 27 fois plus élevé que celui des régions développées (16 décès pour 100000 naissances vivantes).

Tableau 4: Taux de mortalité liés à la maternité dans les principales régions du monde (pour 100000 naissances vivantes) 1997¹ -2010²

Principales zones et régions	Taux de mortalité maternelle	
	1997	2010
Monde, Total	460	210
Régions plus développées	/	16
Régions en développement	500	240
Pays les moins avancés	/	430

Par ailleurs, le risque de décès maternel à la suite d'une grossesse (probabilité pour une femme de mourir d'une cause liée à la maternité) mesuré en 2008 (tableau 5) varient de 1 sur 120 en Afrique subsaharienne à 1 sur 4300 si la future mère vit dans un pays développé.

Parmi les 172 pays couverts par les estimations, c'est en Afghanistan que le risque était le plus important (1 sur 11), alors que l'Irlande avait le risque le plus faible (1 sur 48 000).

Tableau 5: Chance d'une femme de mourir à la suite d'une grossesse, d'un accouchement ou d'un avortement dangereux durant sa vie³

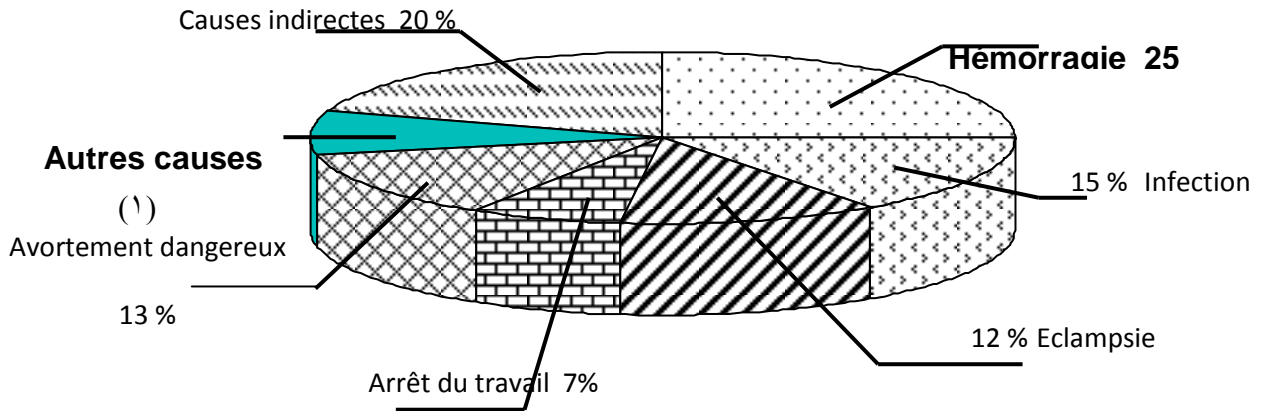
Régions	Chance de décès
Afrique subsaharienne	1 sur 120
Pays développés	1 sur 4300
Irlande	1 sur 48 000
Afghanistan	1 sur 11

S'il est difficile de dénombrer la totalité des décès maternels, il est encore plus difficile d'en estimer les causes. On trouvera dans la figure 1, une estimation de l'incidence des cinq principales causes des décès maternels. L'hémorragie, l'infection et l'avortement sont responsables de 53% de la mortalité maternelle.

¹ United Nations. World Population Data Sheet, Demographic data and estimates for the countries and regions of the world. Washington, 1998.

² United Nations. World abortion policies, department of economic and social affairs. New York, 2013.

³ OMS et al. Mortalité maternelle en 2008. Genève, 2011, p2.

Figure 1 : Causes des décès maternels dans le monde¹

II – 2 Avortement

En matière d'avortement, on distingue l'avortement spontané dû à une maladie ou sans cause connue, de l'avortement provoqué, pratiqué soit pour des raisons thérapeutiques, soit pour des raisons non thérapeutiques et appelé alors interruption volontaire de grossesse (IVG). Ce dernier constitue l'une des plus anciennes méthodes de régulation de la fécondité et l'une des plus largement employées. Il est pratiqué tant dans les sociétés rurales, que dans les grands centres urbains et dans toutes les régions du monde. Bien qu'avec des conséquences différentes, lorsqu'il est illégal et donc clandestin, il est souvent pratiqué dans des conditions dangereuses aboutit fréquemment à de graves complications.

D'après les estimations de l'OMS (rapport biennal 1996 – 1997), il y a chaque année 40 à 50 millions de grossesses dans le monde qui se terminent par un avortement et quelque 20 millions sont pratiqués dans des conditions dangereuses².

Dix plus tard ces chiffres sont restés invariables, avec une légère différence dans les taux d'avortement selon les régions du monde. En effet, selon World Abortion Policies, 38 millions d'avortements ont été pratiqués dans les pays en développement en 2008, avec un taux de 24 avortements pour 1000 femmes âgées de 15-44 ans, contre 6 millions dans les pays développés, pour un taux de 29 avortements pour 1000 femmes âgées de 15-44 ans³.

On constate également un écart considérable de la fréquence de l'avortement selon les pays du monde (voir tableau 6). Ainsi, le nombre d'avortements pour 1000 femmes en âge de procréer était estimé à 37.9 en Russie (pays où l'avortement est libre) et à 1.1 à Qatar (pays où avortement est restreint).

¹ WHO, ibid, p111.

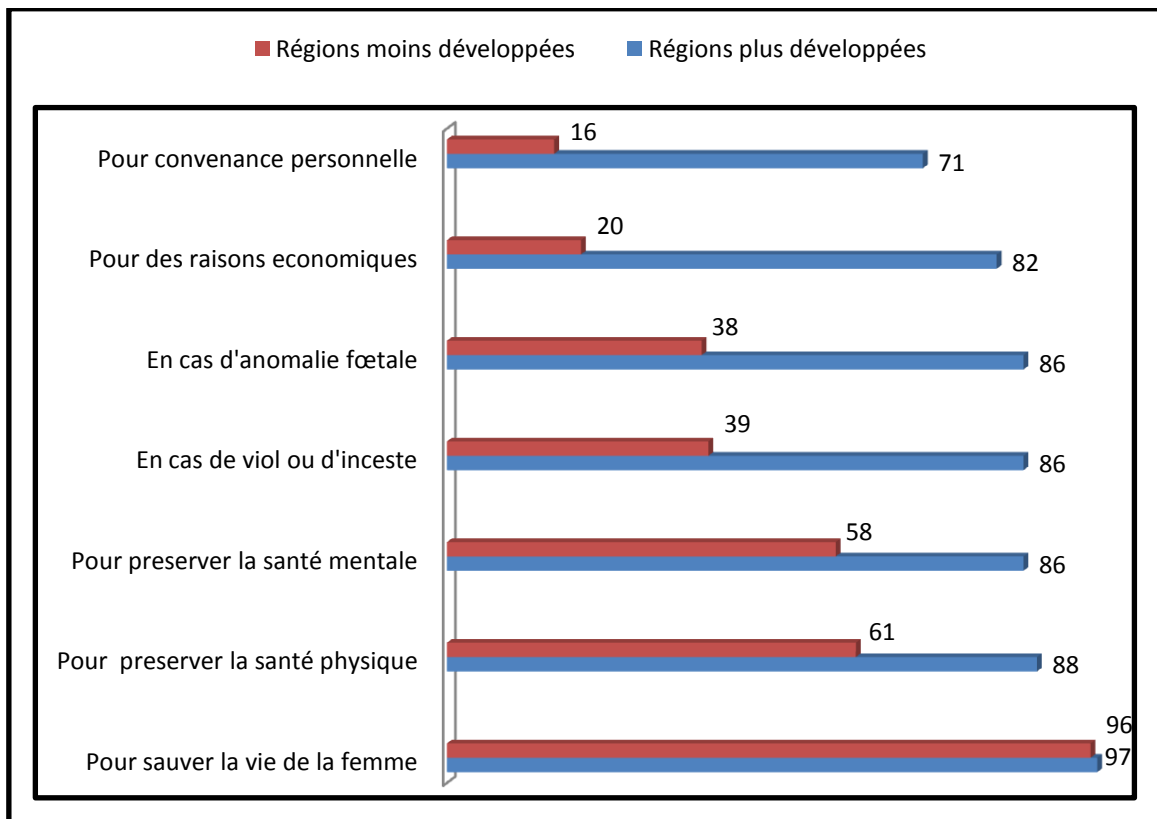
² WHO, opcit, p98.

³ <http://www.gutmacher.org/sections/abortion.php>

Tableau 6 : Taux d'avortement dans quelque pays¹

Pays	Année	Taux d'avortement pour 1000 femmes en age de procréer
Tunisie	2009	5.5
Afrique du sud	2010	5.7
chine	2010	19.2
Japon	٢٠٠٩	٩.٢
Russie	2010	37.4
Qatar	2010	1.1
Allemagne	2010	6.1
Etats-Unies	2010	19.6
Cuba	2010	28.9

Figure 2: Raisons pour les quelles l'avortement est autorisé²



L'étude de la pratique de l'avortement selon les textes juridique et en terme de développement économique (figure 2) , montre que 96% des pays en développement et 97% des pays développés autorisent l'avortement s'il épargne la vie de la femme ,on constate par

¹ United Nations, World Abortion Policies ,opcit.

² United Nations, World Abortion Policies ,ibid.

ailleurs que l'avortement est libre dans 16% des pays en développement et 71% des pays développés.

II –3 Infertilité

On s'accorde de plus en plus à penser que la prévention, le diagnostic et le traitement de la stérilité constituent l'un des volets fondamentaux de la santé en matière de reproduction.

Selon le dictionnaire médical la stérilité se définit comme « l'incapacité de concevoir, de porter et de donner naissance à un enfant »¹. Le corps médical et les démographes considèrent généralement un couple comme stérile après avoir eu pendant 2 ans de rapports sexuels réguliers, normaux et sans contraception.

La stérilité humaine est caractérisée par quatre types de particularités, à savoir :

Le taux d'infertilité serait de plus de trois fois plus élevé en Afrique subsaharienne (15 à 30%) (5 à 10%)².

-Sa perception diffère également d'une société à l'autre : elle est moins dramatique dans les sociétés modernes que dans les sociétés traditionnelles, où elle représente une véritable angoisse pour de nombreux couples. Elle est souvent associée à la virilité de l'homme et à la marginalisation de la femme, en particulier en Afrique et dans les pays arabo musulmans où elle est durement ressentie.

-Selon les quelques recherches menées dans le domaine, il semble que l'origine de l'infertilité est équitablement répartie entre les hommes et les femmes³, remettant ainsi en cause l'origine de l'infécondité du couple qui était attribuée souvent à la femme.

- la stérilité est en corrélation positive avec l'âge des femmes c'est-à-dire plus l'âge augmente plus la fréquence de la stérilité s'amplifie⁴.

Conclusion

La situation de la santé reproductive dans le monde est caractérisée par des disparités très importantes entre le monde développé et le monde en développement.

Les données ont montré, d'une part que l'âge de la puberté est en baisse régulière, et d'autre part un recule de la ménopause. Une différence significative est constatée dans ce domaine entre les pays avancés et leurs homologues les moins avancés.

L'étude fait ressortir que des progrès impressionnants ont été réalisés en matière de réduction de la fécondité. Ainsi, entre 1970-1975 et 2005-2010, le nombre moyen d'enfants par femme a régressé de 43% (de 4.44 enfants par femme à 2.53). Toutefois, l'évolution du comportement procréateur des couples diffère fortement selon les régions.

L'étude révèle également que 37.9 % de tous les couples qui vivent dans les pays les moins avancés se servent d'une méthode contraceptive, 63.1 % dans les régions en développement et 70.1% dans les régions développées.

¹ <http://www.larousse.fr/archives/medical/page/943>

² <http://www.enqueteplus.com/content/le-drame>

³ Ouald Larbi, Larbi. La stérilité du couple dans tous ses états. Editions dar el gharb. Oran, 2004, p 8.

⁴ Pressat Roland. Dictionnaire de démographie, PUF. Paris, 1979, p203.

La situation est caractérisée également par un niveau très élevé de décès maternels dans certaines régions du monde ce qui reflète les inégalités dans l'accès aux services de santé et met en lumière l'écart entre les riches et les pauvres. Ainsi le taux de mortalité maternelle estimé à 430 décès pour 100000 naissances vivantes dans les pays les moins avancés, est 27 fois plus élevé que celui des pays développés (16 décès pour 100000 naissances vivantes).

Les données montrent également que 40 à 50 millions d'avortement sont pratiqués chaque année dans le monde, dont 20 millions sont réalisés dans de mauvaises conditions.

On note, en fin d'importantes disparités en matière de fréquence de stérilité entre les pays plus riches de ceux qui sont plus pauvres.

Références :

1. -Centre international de l'enfance. Sexualité et santé dans l'adolescence, in l'enfant en milieu tropical, N° 180.Paris. 1989.
2. FNUAP. Espoirs et réalités, pour réduire l'écart entre les aspirations des femmes et leurs expériences de la procréation. New York, 1999.
3. Kouaouci, Ali. Eléments d'analyse démographique ,OPU .Alger,1992.
4. -Nations Unies. Droits liés à la procréation et santé génétique, rapport concis. New York.1997.
5. Nations Unies. Rapport de la Conférence Internationale sur la Population et le Développement, Le Caire 5 – 13 Septembre 1994.New York, 1995.
6. OMS et al .Mortalité maternelle en 2008.Genève.2011.
7. Ouald Larbi, Larbi. La stérilité du couple dans tous ses états. Editions dar el gharb. Oran, 2004.
8. Pressat Roland. Dictionnaire de démographie, PUF.Paris, 1979.
9. United Nations. Recent levels and trends of contraceptive use as assessed in 1983.New York,1984.
10. United Nations. World Population Data Sheet, Demographic data and estimates for the countries and regions of the world. Washington,1998.
11. United Nations. World Contraceptive Use 1998, department of economic and social affairs. New York,1999.
12. -United Nations.World population prospects ,revision 2012.New York, 2013.
13. United Nations. World Contraceptive patterns, department of economic and social affairs. New York, 2013.
14. United Nations. World abortion policies, department of economic and social affairs. New York, 2013.
15. World Health Organization. Reproductive Health Research, Biennial Report 1996 – 1997.Geneva,1998,p98.
16. <http://www.who.int/mediacentre/factsheets/fs348/fr/>

17. -<http://www.doctissimo.fr/html/dossiers/menopause/articles/8432-menopause-premiers-symptomes.htm>.
18. -<http://bmsap.revues.org/2862>
19. <http://www.gutmacher.org/sections/abortion.php>
20. <http://www.larousse.fr/archives/medical/page/943>
21. <http://www.enqueteplus.com/content>



جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2016

ISSN 2311-5181